

دروس من

عَهْدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي الْأَكْثَرِيَّةِ

هينما وراه على مصر

ألقاها السيد

عبد الملك بن عبد الرحمن بن الحسين

ذو الحجة ١٤٤٣هـ

الله أكبر
الصوت أمريكا
الصوت إسرائيل
اللغة على اليهود
النصر للإسلام

الطبعة الأولى
١٤٤٤ هـ

كل الحقوق
محفوظة

تم الصف والإخراج في

الوحدة الفنية

بمكتب السيد / عبد الملك بدر الدين الحوثي

موقع شبكة البينات الثقافية : [/https://albaynat.net.ye](https://albaynat.net.ye)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الفهرس

١٣	١- الدرس الأول
٣٥	٢- الدرس الثاني
٦٣	٣- الدرس الثالث
٨٧	٤- الدرس الرابع
١٠٧	٥- الدرس الخامس
١٣٣	٦- الدرس السادس
١٥٥	٧- الدرس السابع
١٧٥	٨- الدرس الثامن
٢٠١	٩- الدرس التاسع
٢١٧	١٠- الدرس العاشر
٢٣٧	١١- الدرس الحادي عشر
٢٦١	١٢- الدرس الثاني عشر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطاهرين.
أما بعد.. فهذه لمحة سريعة عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، نوردها هنا للتبرك بذكره،
وإلا فهو عليه السلام أشهر من أن يعرّف.

هو أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وإمام المتقين، وخليفة النبي الأمين، أعظم
الناس جهاداً، وأكثرهم علماً، وأرفعهم مقاماً، وليد الكعبة، وشهيد المحراب، القرآن
الناطق، والمؤمن السابق، والعلم الفارق، الذي لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا
منافق، من حاز كل المناقب، وتزده عن كل النقائص والمعائب، الإمام علي بن أبي
طالب، صلوات الله عليه.

والده أبو طالب سيد البطحاء، وحامي الحمى، وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم،
فهو يلتقي مع رسول الله ﷺ من قبل الأب في عبد المطلب، ومن قبل الأم في هاشم،
وهي أوّل هاشمية ولدت لهاشمي، وأول امرأة بايعت رسول الله ﷺ لما دعا النساء
إلى البيعة، وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها، وكفنها رسول الله ﷺ بقميصه^(١).

نظقت بمناقبه آي الكتاب، وقلده النبي الأكرم أعلى أوسمة الشرف دون جميع
الأصحاب، فبين أنه قرين القرآن، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، وأنه باب
مدينة علمه، وأن الحق يدور معه حيث دار، وأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله،
وتوج ذلك كله بإعلان ولايته على الناس في يوم الغدير، في ذلك التجمع والحشد الكبير.

١- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة. المكتبة الشاملة.

ولد ﷺ في جوف الكعبة المشرفة، وترى في حجر النبي الأكرم، فكان يتنسم عطر النبوة، ويشم عُرف الرسالة، ويتبع النبي في كل أفعاله وخصائصه ومميزاته، حتى أضحي ظل النبي الذي لا يفارقه طول حياته، والامتداد الحقيقي للولاية الإلهية بعد وفاته، هادياً للأمة ومربياً، ومعلماً وقائداً.

زوجه النبي ابنته الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، بأمر من الله العلي الأعلى.

بويع له ﷺ بالخلافة يوم الجمعة بعد العصر بالمدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتثاني عشرة خلت من ذي الحجة - على أثبت الروايات - سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وهو اليوم الذي قُتل فيه عثمان^(١)، وما إن وصلت الخلافة إليه حتى جن جنون حركة النفاق والارتداد، التي سعت لوضع العراقييل في طريقه لإعاقته عن مواصلة مشوار الرسالة المحمدية والإسلام الأصيل، فاشتعلت فتنة الناكثين، فكانت معركة الجمل بقيادة طلحة والزبير وعائشة، ثم الحرب الكبرى من قبل القاسطين وهم معاوية وأهل الشام فكانت وقعة صفين. تلاها حركة المارقين الخوارج المجرمين يوم النهروان.

وهكذا عاش ﷺ حياة زاخرة بالجهاد والعطاء، والتضحية والفدى، وعانى أشد المعاناة في الدفاع عن الدين، وعن عباد الله المستضعفين، وفي السعي لإعادة الأمة إلى الطريق المستقيم، حتى قبضه الله إليه شهيداً في محرابه وهو يصلي بمسجد الكوفة، حيث ضربه أشقى الأشقياء عبد الرحمن بن ملجم المرادي، بإيعاز من رأس الفتنة وزعيم النفاق والطغيان؛ معاوية ابن أبي سفيان، وذلك في ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان.

والتحق بالرفيق الأعلى ليلة إحدى وعشرين من الشهر على أثبت الروايات، سنة أربعين من الهجرة، وله من العمر ثلاث وستون سنة، وكانت الفترة الزمنية منذ بيعته العامة بعد مقتل عثمان إلى حين استشهاده عليه السلام أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً على أصح الروايات.

وما بين مولده في بيت الله الحرام، وسقوطه شهيداً في محراب الصلاة؛ مسيرة عطاء، ومدرسة نموذجية كبرى، ترجمت المنهج الإلهي، وأنارت الدنيا بضياءه الزاهي، استنارت بأنوارها الأجيال، وتخرج منها الأئمة الأعلام، وانطلق منها العظماء والمجاهدون الأبطال، واستمر عطاؤها عبر الدهور والأزمان، وإلى يومنا هذا ونحن نستلهم منها الدروس والعبر، ونواجه كل التحديات والمؤامرات الاستعمارية، بقيادة أمريكا والصهيونية العالمية، وأذناهم من منافقي العرب وشذاذ البرية

إنها مدرسة الإسلام الأصيل، أستاذها عبقرى الأمة، وتلميذ الوحي، وباب مدينة العلم، الذي سطر بخطبه ومواعظه، وحكمه ووصاياه؛ عصارة تجربته في الحياة، وخلاصة علومه ومعارفه التي ارتشفها من معين القرآن، واقتبسها من هدي وسيرة خير الأنام، فوصلتنا صافية وافية، شاملة لكل ما تحتاج إليه الأمة المجاهدة في صراعها مع قوى الكفر والنفاق، وما يتطلبه السير في طريقها نحو المجد والعزة والسيادة، والخير والاستقرار والسعادة.

وفي هذا السفر العظيم الذي بين يديك، نترك أخى المؤمن مع (دروس من عهد الإمام علي عليه السلام لملك الأشر) تلك الدروس المهمة التي كان من نعم الله على الأمة، أن وفق السيد القائد عبد الملك بن بدر الدين الحوثي - حفظه الله وأيده - لتقديمها، لتكون نوراً نهتدي به في متعرجات الحياة، ودستوراً نمضي على

أساسه للارتقاء بواقعنا إلى المستوى المطلوب، في إرساء دعائم العدل، ورفض الجور والظلم، وبناء الدولة الإسلامية الفتية، التي تقود الأمة نحو البناء والتطور، والازدهار والتحضر، وتهدى إلى الحياة الكريمة.

إنها الدروس الاثني عشر، التي استهلها السيد القائد في اليوم الأول من أيام العشر من ذي الحجة سنة ١٤٤٣هـ. وقدمت متلفزة عبر قناة المسيرة وغيرها من القنوات اليمنية، وقد تم إفراغها وتنقيحها وإخراجها في هذا الكتاب المبارك، والذي نرجو من الله أن يوفقنا جميعاً للاستفادة منه كما ينبغي، وأن يجزي السيد القائد عنا خير الجزاء، بحق محمد وآله، والحمد لله رب العالمين.

الناشر

ترجمة مختصرة لمالك الأشتر

بسم الله الرحمن الرحيم

هو: مالك بن الحارث الأشتر النخعي، كان فارساً شجاعاً، رئيساً من أكابر الشيعة وعظمائهم، شديد التحقق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصرته، محباً له متبعاً، وفي حديث له عندما بويع أمير المؤمنين عليه السلام: (أيها الناس هذا وصي الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ولا الأوائل)^(١).

وهو من رؤساء اليمانيين في الكوفة، وكان له نفوذ كبير بين أهلها، وكان ساعد أمير المؤمنين الأيمن في حروبه وجهاده، شهد مشاهد الوصي جميعها، وكان له في الجهاد فيها الحظ الأكبر، والنصيب الأوفر، فكان يلقي بنفسه في مهالك الحروب، وكان شديد البأس، معظماً في الناس، رئيساً حليماً، فصيحاً شاعراً، وتوفي رحمة الله عليه شهيداً مسموماً، سنة تسع وثلاثين، حيث كان متوجهاً إلى مصر والياً عليها من قبل أمير المؤمنين عليه السلام، فلما علم به معاوية أرسل إليه من بني أمية من سقاه سماً، فاستشهد منه قبل أن يصل إلى مصر في القلزم، فقال الطاغية معاوية: إن لله جنوداً من عسل!. ولما بلغ أمير المؤمنين وفاته حزن حزناً عظيماً، وغم غماً كبيراً لامتزيد عليه، وقال فيه: (رحم الله مالكا، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله ﷺ).^(٢)

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٩.

(٢) شرح النهج ١٥ / ٩٨.

ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام كتبه إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر: (أما بعد: فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله، لا ينأى أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعات الروح، أشد على الفجار من حريق النار، وهو: مالك بن الحارث أخو مذحج^(١)، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، ولا نابي الضريبة^(٢)، فإن أمركم أن تنفروا فانفروا، وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فإنه لا يقدم ولا يحجم، ولا يؤخر ولا يقدم إلا عن أمري، وقد آثرتم به على نفسي لنصيحتته لكم، وشد شكيمته على عدوكم... إلخ)^(٣).

ومن كتاب له عليه السلام أيضاً كتبه إلى أميرين من أمراء جيشه: (وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر، فاسمعا له وأطيعا، واجعلاه درعا ومجناً، فإنه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل)^(٤).

ومن كتاب كتبه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر يذكر فيه الأشتر فيقول: (إنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيِّهُ أَمْرٌ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقِدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَوَلَّاقَى حِمَامَهُ وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ.. إلخ)^(٥).

(١) مذحج: إحدى القبائل اليمنية الكبرى.

(٢) الكليل: الذي لا يقطع، والظبة: حد السيف ونحوه. والنابي من السيوف: الذي لا يقطع. والضريبة: المضروب بالسيف.

(٣) نهج البلاغة / ١ / ٤١١.

(٤) شرح النهج / ١٥ / ٩٨.

(٥) نهج البلاغة / ١ / ٤٠٧.

ولما بلغ أمير المؤمنين استشهاده مالك الأشتر قال: (إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين، اللهم إني أحسبه عندك، فإن موته من مصائب الدهر - ثم قال -: رحم الله مالكا فقد كان وفي بعهد، وقضى نجه، ولقي ربه، مع أنا قد وطئنا أنفسنا أن نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله ﷺ، فإنها من أعظم المصائب) (١) وعن جماعة من أشياخ النخع قالوا: دخلنا على علي أمير المؤمنين حين بلغه موت الأشتر، فوجدناه يتلهف ويتأسف عليه، ثم قال: (لله در مالك، وما مالك! لو كان من جبل لكان فئداً (٢)، ولو كان من حجر لكان صلداً، أما والله ليهدنّ موتك عالماً، وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي، وهل موجود كالك!) وقال علقمة بن قيس النخعي: فما زال على يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً (٣).

فرحمة الله ورضوانه عليه وعلى جميع الشهداء في سبيل الله

والحمد لله رب العالمين.

الناشر

(١) شرح النهج ٦ / ٧٧.

(٢) الفئد: هو المنفرد من الجبال والجفجف أفناد.

(٣) شرح النهج ٦ / ٧٧.

يقول

الشهيد القائد السيد

حسين بن بدر الدين الحوثي عليه السلام:

(عندما تقرأ في نهج البلاغة تجد

كيف ترك حتى فيما يتعلق بالوعي السياسي

للناس، ترك تراثاً هاماً جداً، مثل عهده إلى مالك
الأشتر، تجد نصوص خطبه وتوجيهاته - مع أنه قد

يكون فقط قليل، ما وصل إلينا في نهج البلاغة

قليل - كيف هو فعلاً عمل الإنسان الذي يفهم

السلطة في الإسلام ما هي، يفهم الدين من حيث

هو بالنسبة للإنسان ما هو دوره، أن الله

كرم الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

([الإسراء من الآية: ٧٠])

سلسلة دروس رمضان الدرس الثالث

والعشرون

دروس

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الصفحة: ١٣

الدرس: الأول

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛

نبارك لكل أمتنا الإسلامية بمناسبة دخول هذا الشهر المبارك: شهر ذي الحجة الحرام، الذي هو من الأشهر المباركة، وفيه تؤدى فريضة من فرائض الله الكبرى، وركن من أركان الإسلام، هي فريضة الحج، وأيامه العشر في بعض

الروايات أنها هي العشر المقصودة بقوله ﷺ مقسماً في سورة الفجر عندما قال ﷺ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^(١)، في بعض الروايات أنها العشر الأولى من شهر ذي الحجة.

وفيه أيضاً في العاشر منه الذكرى العظيمة والمهمة لنبيين من أنبياء الله، من صفة أنبياء الله، هما: خليله إبراهيم ﷺ، وابنه نبي الله إسماعيل ﷺ، في القصة التاريخية التي تتضمن درساً وعبرة عظيمة وكبيرة ومهمة لكل المؤمنين، في التسليم لأمر الله ﷻ، والاستجابة العملية لله ﷻ، في الاختبار الكبير الذي جرى لهما في قصة الذبح المعروفة.

وفيه أيضاً كانت حجة الوداع، التي ودّع النبي ﷺ فيها أمته، وقدم فيها تعليمات مهمة جداً لأمته، وفي عودته منها بلغ ما أمره الله به من إعلان ولاية أمير المؤمنين عليّ ﷺ، وفي ذلك أيضاً كانت النعمة الكبرى في إتمام نعمة الله على عباده في دينهم بكمال الدين، وتمام النعمة.

فهي مناسبات متنوعة، وعظيمة، ومتعددة، وذات أهمية كبيرة للأمة، ولمستقبلها إلى قيام الساعة، كل هذه المناسبات في هذا الشهر المبارك.

وفي إطار هذه المناسبات، وأجواء هذه البركات، رأينا أن نقدم دروساً متعلّقة بإدارة شؤون الأمة في الإسلام، وفق هدي الله ﷻ وتوجيهاته وتعليماته، بالاستفادة من عهد الإمام عليّ ﷺ لمالك الأشر حين ولّاه مصر؛ باعتبار هذا العهد وثيقة مهمة، قدّمت المهام، والمسؤوليات، والضوابط، والمعايير، لإدارة شؤون الأمة في كل مواقع المسؤولية، وفي كل وظائف الدولة، وما يرتبط بذلك من معايير، وضوابط وفق أمر الله ﷻ وتوجيهاته.



هذه المسألة لها أهمية كبيرة في الدين الإلهي، ولها علاقة أساسية بإيماننا بالله ﷻ؛ لأن مما نؤمن به في عقيدتنا الإيمانية بالله ﷻ: أنه القائم بالقسط، كما قال ﷺ في كتابه المبارك في القرآن الكريم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾^(١)، يعني: شهدوا بذلك، شهدوا لله بأنه الواحد الأحد، لا شريك له في الألوهية، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾^(٢)، فهو ﷻ الواحد الذي لا شريك له، ولا إله إلا هو، وهو القائم بالقسط، قائم بالقسط في تدبيره لأمر خلقه وعباده، قائم بالقسط في تشريعه لعباده، قائم بالقسط في هدايته لعباده، في التدبير، والتشريع، والهداية، وما يتصل بذلك، هو القائم بالقسط، ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)، وتفيد الاستمرار على ذلك على الدوام، هو القائم بالقسط في كل مراحل تاريخ البشرية، وما قبل ذلك، وما بعد ذلك، هو العدل ﷻ، الذي لا يجور في شيء من أحكامه، ولا تشريعاته، ولا هديته.

حاجة البشرية إلى القسط لاستقرار الحياة وصلاحها

والقسط مفهوم مهم، من أكبر وأهم مصاديقه العدل، وهو يشمل أيضاً إنزال كل شيء في مكانه، تدبير الله ﷻ، وتشريعه، وهدايته، إدارته لشؤون خلقه بمقتضى الحق، والعدل، والحكمة، كل ذلك يتطابق تماماً مع العدل، والحكمة، والخير، والحق، والمصلحة الحقيقية، والصلاح الحقيقي، هذا التوافق التام مع مقتضى ذلك يعتبر قسطاً.

(١) آل عمران: من الآية ١٨

(٢) آل عمران: من الآية ١٨

(٣) آل عمران: من الآية ١٨

فهذا يعود إلى إيماننا بالله ﷻ، أن نؤمن بأنه القائم بالقسط، لا يهمل عباده، لا يتركهم من دون أن يرسم لهم وأن يشرع لهم في شؤون حياتهم ما يتحقق به العدل في واقع حياتهم، إن التزموا به، إن ساروا عليه، إن تحركوا على أساسه.

ولذلك يقول في القرآن الكريم عن رسالته ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١)، فرسالة الله ﷻ مع كل رسله، وإلى كل أنبيائه، كان من أهم غاياتها وأهدافها الرئيسية للبشر (للناس): أن تساعدهم، وأن تهديهم، وأن تبصرهم، وتقدم لهم ما ينهضون به بمسؤولياتهم الكبيرة في إقامة القسط؛ لأن إقامة القسط مسؤولية جماعية على الناس، وعلى المؤمنين، هي مسؤولية لا تستقر حياة الناس ولا تصلح حياة الناس إلا بإقامتها، البديل عنها هو الظلم، هو الجور، هو انعدام العدل؛ وبالتالي اختلال شؤون الحياة في كل شيء، فالله ﷻ قدّم لعباده في منهجه، عندما قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، قدّم فيه وبإشراف وإقامة من الرسل أنفسهم، هم أول من يسعون وفي بداية من يسعون لإقامة القسط من خلال كتب الله، وتعليماته، وهديه، وما أرساه من دعائم العدل في ذلك لعباده.

ثم إضافةً إلى ذلك يأتي مع منهج الله الحق، الذي تتحقق من خلاله العدالة؛ لأن العدل يحتاج إلى منهج يُعتمد عليه، وإلى آليات صحيحة يُعتمد عليها لتنفيذ ذلك المنهج الحق، الذي يحقق العدالة للناس، مع ذلك بقية المتطلبات الأساسية، عندما قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾؛ لأنه لا بد أيضاً من أن يكون هناك قوة تساند إقامة الحق، وتساعد في التصدي للطغاة والظالمين والمجرمين، هذه مسألة

مهمة، بدون منهج الله الحق لا يمكن أن تتحقق العدالة الحقيقية في واقع الناس. نحن في هذا الزمن نشاهد ونعيش في واقعنا ما تعانيه البشرية من الظلم، فالأرض ملئت ظلماً وجوراً، ونشاهد كيف أنّ قوى الطاغوت المستكبرة في العالم، وعلى رأسها أمريكا، ومعها إسرائيل، ومن معهم من أعوانهم وأنصارهم، بالرغم من أنهم يقدّمون آليات معينة، ويعتمدون على أساليب معينة، يزعمون أنها تحقق للبشرية العدالة، إلا أننا رأينا كيف أنهم بكل ما معهم من نظريات، وآراء، وآليات، وأساليب، وطرق، إنما ملأوا الدنيا بالجور والظلم، إنما اضطهدوا الشعوب، وأنّ آلياتهم، ونظمهم، وقوانينهم، وأساليبهم، ووسائلهم، لا يمكن الاستناد إليها لتحقيق العدل، ولإقامة العدل، بل ربما تكون هي- بنفسها- وسيلة من سائل الظلم، وطريقة من طرق الطغيان والإجرام.

نشاهد- مثلاً- في فلسطين ماذا يحصل؟ تصدر قوانين باسم (الكنسيت الإسرائيلي)، لاغتصاب ممتلكات الشعب الفلسطيني، ولنهب ممتلكاته، ولنهب أراضيه، ولتدمير منازل الفلسطينيين، ولاغتصاب حقوقهم، وباسم قانون، الآلية: آلية جهة معينة محددة هي (الكنسيت)، والاسم هو: قانون، والطريقة: تصويت بالأغلبية، وينتهي الأمر.

أو مثلاً في القضاء الإسرائيلي، قضاء! والعنوان عنوان قضاء، والمسمى حُكْم صدر من القضاء، آليات تقدّم بأنها الآليات التي تكفي لأن تتخذ بها قرارات، وسياسات، ويبنى على أساسها فيما يعمله الناس مسمى قانون وفق آليات معينة، وبطرق معينة، ولكنه قد يكون وسيلة- بنفسه- للظلم، وسيلة- بنفسه- للطغيان، وسيلة- بنفسه- لارتكاب الجرم بحق الناس.

أما منهج الله الحق فهو يشكّل الضمانة، الضمانة التي إن أخذ الناس بها تحقق العدل، ولا يحصل الظلم إلا بمخالفتها، إلا بالابتعاد عنها، ولأهمية هذه المسألة كانت من المسؤوليات الأساسية، والالتزامات الإيمانية في دين الله على عباد الله المؤمنين، فالله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(١)، إقامة القسط في الحياة، في كل واقع الحياة، في كل مواقع المسؤولية، ((كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته))، الجميع في الواقع الإيماني من ضمن التزاماتهم الإيمانية الأساسية هو إقامة القسط، والتزام العدل، حتى على مستوى النفس، أن تنصف من نفسك، أن تقبل بإقامة القسط والعدل حتى على نفسك، ﴿أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾، على الغني والفقير، ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾^(٢)، في كل الحالات، في الأمور الكبيرة والأمور الصغيرة، هي مسألة ذات أهمية كبيرة؛ لأن من أكبر ما يعاني منه المجتمع البشري بشكل عام، والمسلمون بشكلٍ أخص، هو المعاناة من الظلم، من انتشار الظلم، انتشار الظلم من الحكومات، انتشار الظلم من الدول، انتشار الظلم من المسؤولين، انتشار الظلم في واقع الناس أنفسهم، القوي يظلم الضعيف، حتى في الواقع الاجتماعي يتظالم الناس فيما بينهم، حتى أحياناً على مستوى الأسر، في داخل الأسرة قد يكون هناك ظلم من القوي على الضعيف، من الرجل أحياناً على المرأة والعكس، حالات كثيرة ينتشر فيها الظلم، إقامة القسط هو مسؤولية مهمة، وفي واقع الدولة، في نظام الإسلام العظيم، في شريعة الله، في منهج الله الحق، تعتبر من أهم مسؤولياتها والدور الرئيسي لها هو إقامة القسط، ومن أهم مصاديق القسط العدل بشكلٍ عام.

(١) النساء: من الآية ١٣٥

(٢) النساء: من الآية ١٣٥



فتضمّنت وثيقة عهد الإمام عليّ عليه السلام مالك الأشر، رؤية قرآنية تعبّر عن منهج الله الحق، فيما يتعلق بإقامة القسط، فيما يتعلق بالسياسات، والتوجيهات، والضوابط، والمعايير، التي ينبغي أن يلتزم بها الإنسان في أي موقع كان من مواقع المسؤولية، في أي وظيفة كان من الوظائف في الدولة، وإن شاء الله نتحدث على ضوءها بما يفيدنا، ويفيد الإخوة المسؤولين، والمعنيين... والجميع بحاجة إلى أن يعرف كيف هي الرؤية التي تعبّر عن القرآن الكريم في ذلك.

الإمام عليّ عليه السلام هو كما قال عنه رسول الله ﷺ: ((عليّ مع القرآن، والقرآن مع عليّ))، الإمام عليّ عليه السلام قدّم من خلال القرآن الكريم، من خلال هداية الله ﷻ، هذا المحتوى في هذه الوثيقة المهمة، وهو مفيدٌ جداً.

قال عليه السلام:

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))
**هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ
 الْأَشْطَرِ، فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وُلِّاهُ مِصْرًا**

الإمام عليّ عليه السلام عندما ولى مالك بن الحارث الأشر على مصر، في إطار دولة الإسلام آنذاك، كتب له هذا العهد؛ ليكون دستوراً يعتمد عليه في إدارته لشؤون ذلك الإقليم من أقاليم العالم الإسلامي.

وعندما نتأمل في هذه الافتتاحية، نجد أولاً أنه افتتحها بقوله:

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ))

وهذا- للأسف- ما كان قد أزيح في كثير من بلدان العالم الإسلامي، وأصبحوا يقلّدون الغرب في أن يصدرُوا أي قرار من قراراتهم، وأي وثيقة رسمية بعبارة: [بسم الشعب]، بدلاً من قولهم: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)).

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)) هي التي كان حتى أنبياء الله يصدرّون كتبهم ووثائقهم بها، حتى فيما ذكره الله عن نبيه سليمان عليه السلام في كتابه ورسالته إلى سبأ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١)، وهي كذلك الجملة المهمة، التي نحن كمسلمين مأمورون أن نصدرّ بها كل وثائقنا، وأن نفتتح بها كل أعمالنا، هذه مسألة مهمة جداً؛ لأننا ننطلق في شؤون حياتنا من منطلق الإيمان بالله، والاستجابة لله، والطاعة لله تعالى، ووفق توجيهات الله، وأوامر الله تعالى، وهذا يشمل كل شؤون حياتنا.

منهج الله الحق ليس منهجاً يختص فقط بالتعليمات الروحية لأداء الصلاة، والعبادة في المساجد، بل هو نظامٌ لكل شؤون حياتنا، ويتعلق بجانب المعاملات في حياتنا الكثير من التشريعات الإلهية، والتوجيهات، والتعليمات من الله تعالى القائم بالقسط في عباده، وفيما شرعه لهم.

فأول ما ينبغي أن نلتفت إليه هو هذا؛ حتى لا نقلد أعداءنا من الكافرين، الذين قرروا أن يتجهوا في حياتهم بعيداً بشكل تام وبشكلٍ منفصلٍ كلياً عن تعليمات الله تعالى وتوجيهاته؛ لأنهم لا يؤمنون بمنهج الله الحق، فلا ينبغي أبداً أن يُقلّدوا، وأن يتبعوا، أن يتجه الناس وفق طريقتهم التي يعتمدون فيها على فصل شؤون حياتهم عن تعليمات الله، وعن توجيهات الله، وعن تشريعات الله تعالى.

ثم بعد البسملة قوله عليه السلام:

((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ))

عادةً تأتي التوصيفات لمن هم في موقع ولاية الأمر، من الرؤساء، والملوك، والزعماء، مجموعة من الألقاب، التي تتضمن التضخيم لهم، والثناء عليهم، والتمجيد لهم، والإشادة بهم، والتعبير عن علو مقامهم، وعن عظيم منزلتهم

ومكانتهم، وعن طبيعة المسؤولية التي هم فيها، فيقولون: [صاحب الفخامة، والسمو، والمعالي...]، وغير ذلك من الألقاب والأسماء.

نجد هنا أنه أتى بهذا الوصف المهم: **((عَبْدُ اللَّهِ))**، أمير المؤمنين عليه السلام يصف نفسه حتى قبل الصفة التي تعبر عن موقعه في المسؤولية، الصفة الرسمية كانت هي عبارة: **((أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ))**، هذه عبارة تعبر عن الصفة الرسمية له في موقعه في إدارة شؤون الأمة، في مسؤوليته العليا في إدارة شؤون الأمة، ولكن قبل ذلك أتى بهذا الوصف: **((عَبْدُ اللَّهِ))**، وهذه مسألة مهمة، ودرس كبير؛ لأن الإنسان في أي موقعٍ من مواقع المسؤولية، حتى وإن كان يدير شؤون الأمة في أعلى مستويات المسؤولية، في أعلى الهرم في إدارة شؤون الأمة، يجب أن ينطلق من منطلق أنه عبدٌ لله تعالى، وأن يؤدّي وظيفته كوظيفة عبودية، وهذا يعطينا نظرة صحيحة عن المنصب، عن السلطة، عن موقع الإنسان في إدارة شؤون الأمة، في أي مستوى كان هذا الموقع؛ لأن الكثير من الناس ينظرون إلى المنصب، وإلى السلطة، أنها موقع ليحظى الإنسان من خلاله بالامتيازات المادية، والصلاحيات، وأنه موقع يعتبر مغنماً، ومكسباً شخصياً، يطمح الإنسان في الوصول إليه؛ ليحقق لنفسه طموحاته، وآماله، ورغباته المادية والمعنوية.

كثيرٌ من الناس ينظر إلى المنصب بهذه النظرة، ولهذا الكثير من الناس يطمعون في المناصب والوظائف؛ لأنهم ينظرون إليها كمكاسب شخصية، ومن منظار المصلحة الشخصية، وأنها مواقع للاستعلاء، وأنها مواقع يصبح الإنسان فيها صاحب أهمية كبيرة، وصاحب نفوذ، وصاحب سلطة وصلاحيات، يستطيع أن يستغلها ويوظفها من أجل مصالحه الشخصية، وحتى على المستوى المعنوي، أن الإنسان يرى أنه أصبح له أهمية؛ لأنه أصبح له منصب معين، أو وظيفة معينة، أو أصبح في موقعٍ من مواقع المسؤولية، فهو يرى نفسه أنه ذو أهمية

في الناس، وله نفوذه، وله تأثيره، ينظر إليها من هذا المنظار، وينظر إليها أيضاً باعتبارها كذلك مكسباً يمكن أن يستغله لتحقيق مصالح مادية، ومكاسب مادية، وهي النظرة الخاطئة التي ترسّخت لدى الكثير من الناس، ينظرون إليها بهذه النظرة الخاطئة.

ففي الإسلام، في منهج الإسلام، وفي تربية الإسلام، يرسخ الإسلام لدينا النظرة إلى المنصب، إلى المسؤولية العامة، إلى الموقع الذي نكون فيه في موقع مسؤولية لإدارة شؤون الناس، في أي مستوى من المستويات، أنه وظيفة عبودية، عليك فيها التزامات إيمانية، تؤدّي فيها ما تؤديه كقربة إلى الله ﷻ، وكعمل صالح، عليك فيه التزامات بضوابط معينة، بمعايير معينة، وأن تكون أيضاً ملتزماً فيما يتعلق بالحلال، والحرام... وغير ذلك.

وهذا مهم على المستوى النفسي والتربوي، على المستوى النفسي والتربوي، أنّ الإنسان في موقع المسؤولية مهما كان منصبه: رئيس، أو ملك، أو وزير، أو مدير... أو في أي موقع من مواقع المسؤولية، في أي مستوى من مستويات المسؤولية، يجب أن يرسخ في نفسه على الدوام أنه عبد، عبد لله ﷻ، عليه أن يخضع لله، أن يطيع الله، أن يلتزم بأمر الله ﷻ، عليه أن يتجه دائماً نحو الله ﷻ في السعي لرضوان الله ﷻ.

((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ حِينَ وُلَّاهُ مِصْرَ:))

يعني: أمر به مالكا، ما تضمنه هذا العهد في عهده إليه حين وُلَّاه مصر. وأمر باعتبارها تعليمات إلزامية ومهمة.

ثم بعد ذلك حدد له المهام الأساسية، في أربع مهام تشمل كل التفاصيل التي تتعلق بالمهام الأساسية في الدولة في النظام الإسلامي:

((جِبَايَةِ خَرَايجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا))

أول عنوان هو قوله:

((جِبَايَةِ خَرَايجِهَا))

يعني: إدارة الموارد المالية، التي سَيَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي التَّمْوِيلِ، لِإِدَارَةِ شُؤُونِ الْأُمَّةِ، فِيمَا يَحْقُقُ الْمَصَالِحَ الْعَامَةَ لِلشَّعْبِ، لِلْأُمَّةِ، لِلنَّاسِ، وَعَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْقِسْطِ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَهْمَةٌ جَدًّا، مَعْرُوفٌ فِي كُلِّ الدُّنْيَا بِمُخْتَلَفِ نِظْمِهَا، وَقَوَانِينِهَا، وَدِيَانَاتِ شُعُوبِهَا، وَأَفْكَارِهِمْ، أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَمْوِيلٌ لِإِدَارَةِ شُؤُونِ النَّاسِ، وَنِظْمِ شُؤُونِهِمْ، لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَمْوِيلٌ، وَهُنَاكَ سِيَاسَاتٌ لِمَسْأَلَةِ التَّحْصِيلِ الْمَالِيِّ، وَنُظْمٌ لِمَسْأَلَةِ جَمْعِ الْمَالِ وَالتَّحْصِيلِ الْمَالِيِّ، وَعَادَةً مَا تَسُنُّ فِي مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ وَالنِّظْمِ تَسُنُّ قَوَانِينَ مَعِينَةً، أَوْ تَعْتَمِدُ رُؤْيَا مَعِينَةً لِذَلِكَ.

الإسلام له رؤيته، الإسلام له منهجيته في إدارة الموارد المالية، فيما يحقق أهدافاً عادلة، أهدافاً لمصلحة المجتمع، أهدافاً عظيمة ومقدّسة، تنسجم مع مبادئ الأمة الإسلامية وانتمائها للإسلام، وانتمائها للدين الإلهي الحق، بما يبنى النهضة الحضارية الإسلامية المتميزة ويحقق القسط في واقع حياة الناس، ويعالج مشكلة الفوارق الاجتماعية، من خلال تخصيص جزءٍ من المال، لرعاية الفقراء، ولمساعدة المساكين، ولإعانة الغارمين... وما شاكل ذلك.

وأيضاً جزء آخر من المال يتجه لتمويل المهام الأساسية، لرعاية الناس في شأنهم العام، لحماية الأمة، لتنفيذ بقية المهام، التي قال عنها: **((وَجِهَادٌ عَدُوَّهَا))**، هذا يحتاج إلى تمويل، والأمة بحاجة إلى الحماية من أعدائها، الأمة لها أعداء يستهدفونها في كل شيء، يسعون إلى السيطرة عليها، يسعون إلى الاستعباد لها، إلى الاحتلال لأوطانها، إلى السيطرة على ثرواتها، إلى القهر لها، وإذلالها، للاستهداف لها في دينها ودينها، فالأمة تحتاج إلى حماية، ولكي يتحقق هذا الهدف، يحتاج إلى تمويل.

أيضاً في قوله: **((وَاسْتِصْلَاحُ أَهْلِهَا))**، وقوله: **((وَعِمَارَةُ بِلَادِهَا))**، كل هذه المهام تحتاج إلى تمويل، وستأتي التفاصيل المتعلقة بجباية الخراج، أو ما يقوم مقام هذا التعبير فيما يعنيه إدارة الموارد المالية لتحقيق الأهداف المهمة لصالح الأمة، وإقامة العدل في واقعها، ورعاية حقوق المستضعفين فيها. فجباية الخراج واحدٌ من المهام الأساسية كي يكون على أساسٍ صحيح، ينسجم مع مبادئ الأمة، وعلى أساس القسط والعدل، وكذلك في حمايته فيما بعد عملية التحصيل؛ لأنه سيأتي التفاصيل عن عملية التحصيل المالي، وكيف تدار الموارد المالية على أساسٍ صحيح، وكيف تكون حمايتها فيما بعد؛ لكي تسخر، ولكي توظف، ولكي تكون عملية صرفها ضمن ما شرعه الله ﷻ فيما يخدم المجتمع، ويحقق مصالحه، ويحمي الأمة.

قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

((وَجِهَادٌ عَدُوَّهَا))

هذا من المهام الأساسية للدولة في النظام الإسلامي: جهاد العدو، وحماية المجتمع المسلم من كل أشكال الاستهداف من جانب الأعداء؛ لأن الأعداء

يستهدفون الأمة: عسكرياً، وأمنياً، واقتصادياً، وثقافياً، وفكرياً... بكل أشكال الاستهداف، فلا بدّ من أن يكون هناك عمل كبير ضمن المسؤوليات والاهتمامات الكبرى والأساسية لحماية الأمة، لبناء واقعها؛ لكي تكون أمةً قويةً، عزيزةً، تتمتع بالمنعة أمام أعدائها، لا تكون أمةً مستضعفةً، ذليلةً، يطمع فيها أعداؤها، لا تكون فريسةً سهلةً، يسعى أعداؤها لاستغلالها، يكون واقعها بنفسه منيعاً من خلال بنائها على المستوى العسكري، على مستوى القدرات العسكرية، والإمكانات العسكرية، وعلى مستوى الروح المعنوية، وعلى مستوى - كذلك - القوة العسكرية فيما يتعلق بالجيش، فيما يتعلق بالتعبئة العامة... فيما يتعلق بكثير من التفاصيل ذات العلاقة التي سيأتي الحديث عنها بشكلٍ تفصيلي.

ما يتعلق أيضاً بحمايتها أمنياً، الأمة تحتاج إلى الحماية الأمنية، العدو يستهدفها بالاغتيالات، بالتفجيرات، يستهدفها بكل وسائل الاستهداف، في زمننا هذا تطورت وسائل الاستهداف، بأكثر من أي زمنٍ مضى، فالأمة بحاجة إلى الحماية على المستوى الأمني.

بحاجة إلى الحماية على المستوى الثقافي والفكري والإعلامي؛ لأنها مستهدفة في ذلك بالحرب الناعمة، يسعى العدو إلى إضلالها وإلى إفسادها، وإلى تدمير قيمها المعنوية؛ حتى يتمكن من السيطرة عليها؛ لأن العدو يعرف أنّ من أهم عوامل القوة والمنعة هو: العامل المعنوي، إذا كانت الأمة تحمل الإيمان، تحمل القيم العظيمة، تحمل المبادئ العظيمة التي تحصّنها من أعدائها، تجعلها على المستوى المعنوي والعملي في مستوى أن تتحرك لمواجهة التحديات والأخطار، والتصدي للأعداء مهما كانت التضحيات، مهما كانت المخاوف، مهما كانت الصعوبات، فالعدو يستهدفها لتجريدتها من العامل المعنوي؛ لمعرفته بأهميته في ذلك.

فالأمة تحتاج إلى عمل واسع تحت عنوان الجهاد، الجهاد في سبيل الله ﷻ هو أساساً لحماية الأمة؛ لأن الجهاد ليس للدفاع عن الله، هو الغني، هو القوي العزيز، ولكنه وسيلة لدفع الشر، لدفع الفساد، لدفع الطغاة والمجرمين، لحماية عباد الله المستضعفين، ((وَجِهَادَ عَدُوِّهَا)).

((وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا))

من المهام الأساسية التي هي متعلّقة بأداء الدولة في النظام الإسلامي: العمل على إصلاح المجتمع؛ ليكون المجتمع مجتمعاً صالحاً، هذه من المهام الرئيسية، أن يكون هناك عناية كبيرة بالمجتمع، كباراً وصغاراً؛ لكي يكون مجتمعاً صالحاً، مجتمعاً من خلال التربية الإيمانية، من خلال التعليم النافع الصحيح، من خلال العمل الإعلامي، من خلال البرامج العملية الواسعة، يكون مجتمعاً صالحاً، يتربى على الإيمان، على القيم الفضلى، والقيم العظيمة، على مكارم الأخلاق، على الاستقامة السلوكية والعملية، هذا ما لا بدّ منه لتصلح حياة المجتمع، لكي يكون مجتمعاً بعيداً عن الرذائل، عن الجرائم، عن المفاسد، التي تشكّل خطراً عليه، وعلى حياته، وعلى استقراره، وعلى نظامه العام، فلا بدّ من أن يكون هناك اهتمامات واسعة:

- تتعلق بالتربية الإيمانية.
- تتعلق بالتعليم النافع الصحيح.
- تتعلق بالبرامج العملية.
- تتعلق بالنظام نفسه، الذي يكون نظاماً يساعد على صلاح المجتمع، يتصدى لكل أشكال الفساد، لكل أشكال المنكر، لكل أشكال المؤامرات، التي تستهدف المجتمع لإفساده، أو لإضلاله، أو لنشر الرذيلة فيه، أو لنشر الجرائم فيه.

والمجتمع أيضاً بحاجة إلى البناء والتأهيل، الإسلام يأخذ بعين الاعتبار العناية بالإنسان لبنائه وتأهيله، ليسمو، لتتكامل له إنسانيته، ليؤدّي دوره في الحياة كمستخلفٍ لله في الأرض على أرقى مستوى، وهذا التأهيل يحتاج إلى مبادئ، إلى قيم، يتربى عليها الإنسان، تترسخ في وجدان الإنسان قناعةً وإيماناً، يحتاج إلى اكتساب مهارات عملية تساعد له لكي يكون بهذا المستوى الفاعل في أدائه، وفي النهوض بمسؤولياته، وفي القيام بدوره كخليفةٍ لله في الأرض.

وللإسلام مشروعه الحضاري المتميز، الذي يختلف عن أي حضارةٍ أخرى؛ لأنها حضارة تأخذ بعين الاعتبار السمو بالإنسان، ليست حضارةً ماديةً بحتة، تبني العمران، وتهدم قيم الإنسان، هي تبني الإنسان، فيبني الحياة على أساسٍ صحيح، وعلى أساسٍ من القسط، وبشكلٍ راقٍ، وإلاً فإذا لم يلحظ هذا في واقع الإنسان، مهما كانت الحضارة على المستوى المادي عملاقة، فهو في واقع حياته سيشفق، يشقى بانتشار الرذائل، بانتشار الجرائم، بانتشار المفاسد، كما يحصل مثلاً في الغرب؛ لأنه لاحظ جانباً واحداً من جوانب الحضارة، وهو الجانب المادي، وأهمل الجانب الآخر، ((وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا)).

((وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا))

وهذا يشمل كل الجوانب الخدمية، التي تتعلق بخدمة المجتمع، والاقتصادية، والنهضوية، والعمرانية، فهي عبارة تشمل جوانب كثيرة، وستأتي الكثير من التفاصيل التي تتعلق بهذه العناوين الأربعة.

فما الذي أمره به، بعد أن حدد له هذه المهام الرئيسية، التي تتفرع عنها

بقية التفاصيل؟

((أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ))

تقوى الله هي الضابط الذي يضبط أداء الإنسان في مسؤوليته، يؤدي مسؤوليته في أي موقع من مواقع المسؤولية على أساس تقوى الله ﷻ، من حيث أداء المسؤولية وفق توجيهاته من دون تجاوز وطغيان أو تفريط وإهمال وهذا ضابطٌ مهمٌّ جدًّا؛ لأن- الكثير من الناس- عندما يصل إلى منصب معين، وبالذات إذا كان منصباً كبيراً، والبعض من الناس لا يحتاج حتى إلى منصب كبير، البعض كما يقولون في المثل الشعبي: [يسكر من زبيبة]، البعض ولو كان منصبه منصباً صغيراً يطغى؛ لأنه وصل إلى منصب معين، يتعامل مع الناس بطغيان، وتكبر، وتجبر، ويظلم، ويسيء، وتتغير سلوكياته، ويفقد أسلوب التواضع في معاملته مع الناس.

فالإنسان بحاجة إلى أن يرسخ في نفسه هذا الضابط المهم جدًّا؛ ليضبط أداءه العملي في أي موقع من مواقع المسؤولية على أساس: تقوى الله ﷻ، أن تستشعر أنك وأنت في أي موقعٍ من مواقع المسؤولية: كرئيس، أو وزير، أو مدير، أو مسؤول، أنك تخضع لرقابة الله ﷻ، وأنت قبل أن تكون مسؤولاً أمام الناس، أنت مسؤولٌ أمام الله ﷻ، وأنَّ الله شهيد عليك، يعلم ما تفعل، يعلم بكل تصرفاتك، وأنه سيحاسبك، وسيجازيك، جزءٌ من حسابه وجزائه يأتي في عاجل الدنيا، يعاقبك ببعض من العقوبات في عاجل الدنيا، والجزء الكبير، الجزء الرهيب في عالم الآخرة، ولهذا لتعرف أنك خاضعٌ للمواخظة إن انحرفت، إن ظلمت، إن طغيت، إن تجبرت، إن استكبرت، إن انحرفت عن مبادئ الحق والعدل والخير، أن الله سيؤاخذك، لا تتصور أنك قد صرت في حَصَانَةٍ.

البعض وبالذات في بعض النظم، وفي بعض الدول، يكون هناك ما يسمونها بالحصانة لبعض المسؤولين، ولكبار المسؤولين، حصانة من المحاسبة، حصانة من المؤاخذه، لكنهم لن يكونوا في حصانةٍ من الله، ومن حساب الله، الله سيحاسب الإنسان، لا يمكن أن تكون في منعة، تستطيع أن تدفع سخط الله، وغضب الله، وعذاب الله عنك في الدنيا والآخرة، فأنت في موقع المسؤولية في موقع المؤاخذه من الله، أن الله سيعاقبك، سيحاسبك، ستناك عقوبته مهما كنت تتصور أنك في منعة، في قوة، في عزة؛ لأنك أصبحت في منصب معين، أو تمتلك سلطةً معينة، فعليك أن تحذر، أن تحذر مما يسبب سخط الله عليك، غضب الله عليك؛ لأن الله ﷻ يعلم بكل أحوالك، بكل تصرفاتك، مهما كان لديك من الحيل، أو مهما تصورت أنك فيه من منعة؛ لأنك في منصب معين، أو تمتلك سلطةً معينة.

((أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَإِيثارِ طَاعَتِهِ))

أن تعرف أنك في موقع المسؤولية مهما كان هذا الموقع عبد من عباد الله ﷻ، وظيفتك وظيفه عبودية لله ﷻ، وخدمة لعباده، وإحسان إلى عباده، عليك أن تكون مطيعاً لله، لا تتصور أنك باسم أنك أصبحت في منصب معين، أو سلطة معينة، أصبحت فقط مطاعاً، لا تفكر إلا في أن يطيعك الآخرون، وتنتظر من الآخرين فقط أن يطيعوك، عليك أن تكون أنت مطيعاً لله، أنت في موقع المسؤولية، أنت في منصب معين، لكي تطيع الله قبل كل شيء، قبل أن تطيع هوى نفسك، قبل أن تطيع أهواء الآخرين، قبل أن تنتظر من الآخرين فقط أن يطيعوك، وتنتظر أنك في الموقع الذي لم تعد فيه مطيعاً لأحد، وإنما تنتظر من الآخرين فقط أن يطيعوك. وأن تُؤثر طاعة الله فوق كل شيء، (إِيثارِ طَاعَتِهِ): أن تجعل طاعة الله فوق طاعتك لهوى نفسك ولأهواء الآخرين.

((وَاتَّبَعَ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ فَرَائِضِهِ، وَسُنَنِهِ، الَّتِي لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا))
 أن تكون متبوعاً لما أمرك الله به في كتابه، المنهجية التي تعتمد عليها في نظامك، في سياساتك، في قراراتك، في مواقفك، في منطلقاتك، أن تكون هي هدى الله ﷻ، ما أمر به الله ﷻ، ألا تخالف أوامر الله في شيء.

ولهذا نحن في بلداننا في العالم الإسلامي يجب أن يكون ما يعتمد عليه الناس في نظامهم، من قرارات، من أنظمة، من قوانين، تحت أي مسمى، أن تكون وفق أوامر الله ﷻ، ألا يخالفوا أوامر الله في شيء؛ لأن هذا مقتضى انتمائنا للإسلام، انتمائنا للإيمان، إقرارنا بالقرآن، بالرسالة الإلهية، برسول الله، وأنبيائه، وكتبه.

وكذلك البعض قد يتصور أنه في موقع المسؤولية عندما يصبح باسم وزير، أو محافظ، أو مسؤول، أو مدير، في أي موقع من مواقع المسؤولية، أصبح فقط يصدر الأوامر وفق ما يريد، وفق مزاجه، وفق أهوائه؛ وبالتالي يرى أنه لا يجوز أن تخالف، أن على الناس أن ينفذوها فوراً، ألا يخالفوا شيئاً منها.

ليس هناك في الإسلام صلاحيات مطلقة، فالكل عبيد لله ﷻ، وفي موقع المسؤولية عليك أن تكون أنت متبوعاً لأوامر الله ﷻ، وتسعى أن تنفذها، وأن ينفذها معك الآخرون؛ باعتبار الجميع عبيداً لله ﷻ.

ثم مع إيمان بأن منهج الله، وما أمر الله به، هو الذي فيه الخير للناس، هو الذي يسعد به الناس في حياتهم، هو الذي تتحقق به مصالحهم، نحن نؤمن بأن هدى الله، وأن منهج الله، وأن شرع الله، وأن توجيهات الله، وأن تعليمات الله، هي التي تصلح بها حياة الناس، ولا تستقيم إلا بها، أي شيء يخالفها،

يعارضها، يُقَدِّم ليكون بديلاً عنها، ليس فيه إلا الشقاء، ليس فيه إلا إفساد حياة الناس، السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية... وغيرها؛ لأنه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(١)، من هو الأرحم بنا من الله؟ من هو الأحكم، حتى يقدم نفسه أنه أحكم حتى من الله، والأعلم بمصالح الناس حتى من الله؟ لا أحد؛ ولذلك فأوامر الله، وتوجيهاته، وفرائضه، وشرائعه، وسننه، هي التي تحقق الخير لنا في حياتنا، وتستقيم بها حياتنا، ونؤدّي فيها دورنا في بناء حضارة إسلامية راقية ومتميزة في الواقع البشري.

((لَا يَسْعُدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا))، الشقاء يكون:

- **إمّا بجحودها:** عندما يأتي من يجدها بالكامل، لا يؤمن بها، لا يقبل بها، يرفضها رفضاً تاماً، ويعتبرها غير صالحة كنظام للحياة، تدار به شؤون الناس.
- **أو الإضاعة:** يكون مقراً ومعتزفاً بها، ولكن يغيّبها من واقع الحياة.

وهذا يحصل في كثير من البلدان الإسلامية، ترى في الدستور مادة أساسية: أنّ الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي، أو الرئيسي- أو بحسب مختلف التعبيرات- للتشريع، ولكن يأتون فيما بعد ليعتمدوا الكثير من القوانين، والسياسات، والنظم، التي تخالف الإسلام، ولا تنسجم بأي حال من الأحوال مع الإسلام، أو يغيّبوا الكثير من المعايير والضوابط، التي لا بدّ منها حتى فيمن يتحمّلون المسؤولية، تغيّب تلك المواصفات القيمة والأخلاقية، والمؤهلات الدينية والأخلاقية والمعرفية وغيرها، ذات الصلة بإدارة شؤون الناس؛ فينتج عن هذا الضياع شقاء في واقع الناس، خلل في واقع الحياة، لا تستقيم حياة الناس،

تظهر مشاكل كبيرة في واقعهم السياسي، في واقعهم الاقتصادي، في شؤونهم الأمنية والاجتماعية.

فالثمرة الحقيقية والنتائج الطيبة تتحقق للجهود العملية في إدارة شؤون الناس عندما تنطلق على هذا الأساس، لتنفيذ أوامر الله وتوجيهاته.

((وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ، وَيَدِهِ، وَلِسَانِهِ))

لأنه في سياق العمل على تنفيذ أوامر الله ﷻ، وتوجيهاته، وتعليماته، التي تحقق القسط في واقع الحياة، سيصطدم الإنسان بالذين يعتبرون أنفسهم متضررين منها، بالمفسدين، بالطامعين، بالمجرمين، بالمستكبرين، الذين يريدون أن ينشروا الفساد بدلاً من الصلاح، الذين يريدون أن يستأثروا، أن ينهبوا، أن يظلموا، أن يطغوا، أن يجعلوا من السلطة وسيلةً لتحقيق ذلك، الإنسان سيصطدم بهم؛ لأنهم يرون في توجيهات الله وفي أوامر الله التي تحقق القسط، وتقيم العدل، وتصلح واقع المجتمع، أنها متعارضة مع مصالحهم؛ فبالتالي سيتصدون لها، يحاربونها إعلامياً، يسعون إلى تشويهاها بالدعايات الكاذبة، يحاربونها عسكرياً، وأمنياً... وبكل الوسائل، فإذا كان الإنسان لا يريد أن يتحرك لتنفيذ أوامر الله، وتوجيهات الله، وتعليمات الله، إلا في حال كان لن يلقي ولن يواجه أي مشاكل، أو صعوبات، أو تحديات، فهو سيتقاعس، والضحية هو المجتمع، يكون بذلك إتاحة المجال للطغاة، والمجرمين، والمفسدين، والامتسلطين، والعاثين، والسيئين، ليفعلوا ما يحلو لهم، لينتهزوا الفرصة، ويتوصلوا من مواقع المسؤولية والسلطة إلى أهدافهم السيئة، والضحية هي الأمة بكليها؛ ولذلك عندما ينطلق الإنسان لابد أن يكون عازماً على التصدي لكل المحاولات التي

تسعى إلى منع إقامة منهج الله الحق، تشريعاته، وأوامره، تعليماته المباركة، التي تصلح الحياة، ويتحقق بها القسط.

((وَأَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ، وَيَدِهِ، وَلِسَانِهِ))، في مشاعر الإنسان، وفي تفكيره، وفي اهتماماته النفسية، وفي- كذلك- أنشطته العملية، وأنشطته الإعلامية، والتوعوية، والتثقيفية، يستخدم كل الوسائل لإيصال الحق إلى الناس، لإقناع الناس بالحق، لإقامة القسط، لدفع الناس إلى الالتزام بتعليمات الله وتوجيهاته، والاستجابة العملية لها ولفضح الأعداء الذين يحاربونها؛ لأنهم يريدون أن يحل بدلاً منها الفساد، والردائل، والمعاصي، والطغيان، والظلم، والجرائم، والمنكرات، والفواحش، أن يفضحهم، أن يتصدى لهم بكل الوسائل.

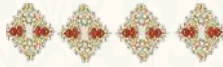
((فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ))
الله ﷻ عندما تنصره بالتمسك بالحق، بنصرة الحق، بنصرة ما وجّه إليه، بالتمسك بما أمر به، بتقديم ذلك للناس بكل الوسائل، بفضح من يحاربون عباد الله، يريدون أن يستغلّوهم، أن يظلموهم، أن يقهروهم، أن يستعبدوهم، عندما تتحرك على هذا الأساس، أنت تحظى بنصر الله، أنت تحظى بمعونة الله، بتأييد الله، بأن يعزك الله؛ لأن الإنسان قد يتصور أنّ الأسلوب السياسي هو في الخضوع للطغاة، والمستكبرين، والمجرمين، المتسلطين على عباد الله، وأن يتماشى معهم في أن يترك لهم المجال في ظلمهم، وطغيانهم، وإجرامهم، واستكبارهم في الأرض، كأسلوب سياسي؛ لتجنب المشاكل، فتحصل الكثير من المشاكل، أكبر المشاكل هي في تسلط الطغاة، وتمكن المستكبرين والمجرمين، هذه أكبر

المشاكل، أمّا بالسعي لتنفيذ أوامر الله ﷻ، فالله ﷻ يمنح النصر، وهو من تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

نكتفي بهذا المقدار كمقدمة وافتتاح لهذه الوثيقة المباركة والمهمة.

نسأل الله ﷻ أن ينفعنا بها، وأن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛



درس من

عهد الإمام عليؑ لمالك الأشترؑ

الصفحة: ٣٥

الدرس: الثاني

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

افتتحنا بالأمس دروسنا المتعلقة بعهد الإمام عليؑ لمالك الأشتر حين ولاة مصر، وكان تركيزنا في درس الأمس على:

- الحديث عن مبدأ القسط والعدل، وأهميته في الإسلام.

- ثم الحديث عن المنطلق الأساس لأداء المسؤولية، في الدولة، والحكومة، والمسؤولية العامة في نظام الإسلام، وهو منطلق العبودية لله ﷻ.

- ثم عن المهام والعناوين الجامعة للمسؤولية، وما يتفرع عنها.

- ثم أيضاً أتى الحديث عن الأسس الإيمانية، والعلاقة مع الله ﷻ؛ باعتبار ذلك من أول وأهم ما ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار في أداء المسؤولية في نظام الإسلام.

ووصلنا إلى قول الإمام عليٍّ عليه السلام في سياق ما أمر به مالك الأشر، قال عليه السلام:

((وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزْعَمَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ)).

من أهم ما يؤخذ بعين الاعتبار في أداء المسؤولية: السيطرة على النفس؛ لأن كثيراً من الأخطاء، والتصرفات السيئة، والممارسات الخاطئة والظالمة، يكون منبعها- في كثيرٍ من الأحيان- هوى النفس، وشهوات النفس، ورغبات النفس، وعندما يكون الإنسان في موقع مسؤولية عامة، في أي مستوى من مستويات المسؤولية، ثم يتصرف في مسؤوليته وفق هوى نفسه، وفق رغبات نفسه، وفق أطماع نفسه، هوى النفس ورغبات النفس تشمل كل الميول النفسية، سواءً بدافع الرغبة والشهوة بشكلٍ أساسي، وهذا ما يؤثر على الكثير من الناس، ما يدفعهم إلى الفساد، ما يدفعهم إلى الخيانة، ما يدفعهم إلى الظلم، ما يدفعهم إلى العمل بطريقةٍ غير صحيحة ولا سليمة، ما يبعدهم عن تقوى الله ﷻ في أداء مسؤولياتهم، هي الرغبات، هي الشهوات، هي الأهواء، فيتجهون إلى استغلال مناصبهم ومسؤولياتهم لتحقيق رغبات أنفسهم، وللتركيز على المصالح الشخصية فوق مصلحة العمل، فوق التزامات المسؤولية وفق توجيهات الله ﷻ، ويحيدون عن تقوى الله ﷻ بسبب ذلك.

ففي موقع المسؤولية من أهم الأشياء: أن يسعى الإنسان للسيطرة على رغبات نفسه، على شهوات نفسه؛ حتى لا تؤثر عليه في عمله، فيتجه بدافع هوى النفس، ورغبات النفس، وشهوات النفس للعمل وفق هوى نفسه، لتلبية رغباته الشخصية، وليس لمصلحة العمل، وليس لأداء المسؤولية بشكل صحيح.

((وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ))؛ لأن الإنسان في موقع المسؤولية قد يرى أنَّ الظروف قد تهيأت له بأكثر مما كان عليه الحال سابقاً، ما قبل أن يصل إلى منصب مثل ذلك المنصب، فيتصور أنَّ الظروف أصبحت مهيأةً له ليحصل على ما لم يكن يستطيع الحصول عليه، أو ليحقق لنفسه من المصالح الشخصية ما لم يكن يستطيع تحقيقه فيما قبل، فيعتبر موقع المسؤولية والمنصب والسلطة فرصة، تمكِّن من خلالها للوصول إلى أهدافه، لتحقيق رغباته، فيزداد الطمع في نفسه، تزداد الحالة النفسية في الطمع، والجشع، والرغبة الشديدة، والشهوة الشديدة؛ لأنه رأى الظروف سانحة ومهيأة للوصول إلى ما يريده، فتشتد نفسه، وتتجه رغبته بشكل كبير، فالمسألة خطيرة، تحتاج إلى سيطرة قوية على النفس، ولهذا أتى الإمام عليه السلام بعبارتين مهمتين:

العبارة الأولى: قوله:

((أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ))

تعني سيطرة قوية، أن يردّها بكل قوة، وأن يوقفها عند حدها؛ حتى لا ينساق وراء رغبتها الشديدة، الناتجة عن تصور أنَّ الظروف مهيأة لتحقيق الأهداف، والمصالح الشخصية، والمكاسب الشخصية.

كذلك العبارة الثانية: قوله عليه السلام:

((وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ))

يَزَعَهَا: يمنعها بقوة، وهذا يحتاج إلى تذكير النفس بسخط الله، وغضب الله، وعذاب الله، وما يترتب على ذلك، وكذلك العواقب الوخيمة للسير وراء هوى النفس، ورغباتها، وشهواتها، وما يترتب على ذلك من سلبيات، ومن نتائج خطيرة على الإنسان في الدنيا والآخرة، وتنمية الاستشعار للرقابة الإلهية، يستشعر دائماً أنه يخضع لرقابة الله تعالى في كل الأحوال.

((فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ))

إذا اتجه الإنسان وراء رغبات نفسه، أهواء نفسه، ميول نفسه، فهي أَمَّارَةٌ بالسوء، تأمره بما هو سوء، بما هو معصية، بما هو انحراف عن نهج الحق والعدل، بما له تبعات من عذاب الله، وسخط الله، وغضب الله، والمقت من عباد الله، يصبح الإنسان ممقوتاً، مكروهاً، ينظر إليه عباد الله بنظرة سلبية جداً، وعواقب لها تأثيراتها على الإنسان في نفسه، في حياته، وسبب للعقوبات الإلهية العاجلة في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة والعياذ بالله.

فهذا جانبٌ مهمٌ جداً، عندما يلحظه الإنسان وهو ينطلق لأداء مسؤولية، في أي موقع من مستويات المسؤولية، سيتجه بنجاح؛ لأنه لاحظ أولاً: علاقته بالله تعالى، ولاحظ ثانياً: السيطرة على رغبات النفس، وأهوائها، وشهواتها، وهذا من أهم ما يساعده على الاستقامة في أداء مسؤوليته بشكلٍ صحيح، بشكلٍ نقي، بشكلٍ سليم، بما يبيّض وجهه، بما يحظى من خلاله بمرضاة الله تعالى، وبالأثر الطيب في عباد الله.

((ثُمَّ اَعْلَمَ يَا مَالِكُ اَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ اِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دَوْلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجُورٍ، وَاَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ اُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ اُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ، وَاِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى اَلْسُنِ عِبَادِهِ، فَلْيَكُنْ اَحْبُ الذَّخَائِرِ اِلَيْكَ ذَخِيرَةً الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَاَمْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَاِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْاِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا اَحَبَّتْ، اَوْ كَرِهَتْ)).

يقدم هنا أيضاً درساً مهماً جداً، يجب أن يأخذه الإنسان بعين الاعتبار، في ظل المتغيرات التي تحصل في واقع المجتمع، في تبدل الدول، وتغير الحكومات والمسؤولين، كثير من الناس يصل إلى موقع المسؤولية، إلى منصب معين، وكان ما قبل ذلك مواطناً عادياً، لم يكن في موقع السلطة، ولا في المنصب، وهو أيام كان مواطناً عادياً، وكانت نظرتة من الواقع الذي يعيشه مع الناس، نظرتة إلى المسؤولين، نظرتة إلى الحكومة، أو إلى المعنيين في موقع المسؤولية، نظرة موضوعية، من خلال الواقع العملي، يقيم أداءهم، والعنوان الأساس الذي يبنى عليه التقييم في واقع المجتمع، للدول، والحكومات، والمسؤولين، والتصنيف الذي يبنى عليه ويعتمد عليه هو: العدل والجور، هل هذه الحكومة، هل هذا الشخص الذي هو في منصب معين، هل هذا المسؤول يتعامل على أساس العدل، أو هو جائر؟

فالإنسان قد يكون في تلك المرحلة وهو مواطن عادي، يتكلم عن أولئك، يقيم سلوكياتهم الخاطئة، ممارساتهم الظالمة، ينتقدهم، يتكلم عنهم، وفق تصرفاتهم، وسيرتهم، وأساليبهم، وطريقتهم في العمل، ويعيش مع الناس

مشاعرهم تجاه أولئك، إذا كانت الحالة حالة ظلم، وجور، وممارسات ظالمة، وخاطئة، وجائرة، مشاعر السخط، والكلام بالانتقاد، والموقف على أساس ذلك، ويعيش مع الناس هذه الأجواء، هذه المواقف، هذه التوجهات، هذه المشاعر، موقفه موقف المجتمع من كل ذلك، وعندما يصل هو إلى موقع المسؤولية والسلطة، ينسى كل ذلك، ويتعامل بعيداً عن ذلك، يمارس نفس الممارسات الخاطئة، يتصرف بنفس الطريقة السلبية التي كان ينتقدها هو، وكان موقفه منها كموقف بقية المجتمع، وهذه حالة خاطئة جداً، معناه: أنَّ الإنسان يتنكَّر حتى لموقفه، ويتجاهل الواقع العام.

ولذلك فالإنسان عندما يتحرك إلى موقع المسؤولية، فليدرك جيداً أنَّ مسؤوليته تتعلق بالناس، المسؤولية في الدولة، المسؤولية في الحكومة، في أي موقع من مواقع المسؤولية، هي مسؤولية تجاه الناس، وميدان المسؤولية هم الناس؛ ولذلك يجب أن تحسب حساب علاقتك مع هؤلاء الناس، وطريقة أدائك للمسؤولية، بعد أن تكون أولاً: حسبت حساب علاقتك بالله ﷻ، والسيطرة على نفسك، ثم تحسب حساب علاقتك مع الناس، أن يكون أدائك للمسؤولية أداءً سليماً، تقدّم فيه النموذج الجيد، وتأخذ العبرة من تصرفات الآخرين، الذين كانوا قبلك، وكان لتصرفاتهم السيئة، وممارساتهم الخاطئة، ولما حصل منهم من ظلم، أثر سيئ عليهم، وعلى أعمالهم، وعلى موقف المجتمع منهم.

ولهذه المسألة أهمية من جوانب متعددة، بما أنَّ ميدان مسؤوليتك، وبما أنَّ عملك أصلاً مرتبط بالناس، أنت مسؤولٌ تجاههم، فمن صالح عملك، ومن مصلحتك أن تكون علاقتك بالمجتمع الذي هو في نطاق مسؤوليتك، وأنت مسؤولٌ تجاهه، أن تكون علاقةً إيجابية، علاقةً جيدة، هذا له أثره حتى في

نجاحك في أعمالك ومهماتك، وفي أن يكون المجتمع بنفسه عوناً لك في أداء مسؤوليتك؛ لأن المجتمع عندما يشعر أن أهم شيءٍ عندك بعد رضا الله ﷻ: أن تؤدّي مسؤوليتك تجاهه بشكلٍ صحيح، وأن تقوم بواجبك بحسب ما ينبغي، وأنت مخلصٌ في ذلك، صادقٌ في ذلك، جادٌ في ذلك، وأنّ عندك اهتماماً بالناس، اهتماماً بأمر الناس، هذا له أثره الكبير تجاهك من جانبهم، في مشاعرهم، في تعاونهم، في نظرهم إليك، فيكون لهذا نتيجته الكبيرة في الواقع العملي، يكونون عوناً لك على أداء مسؤوليتك، وتكون علاقتك مع المجتمع كشريك لك في إطار مسؤولية يتعاون فيها الجميع، هذا شيءٌ مهم.

أما إذا كان الإنسان يتجاهل الناس، ومسؤوليته تتعلق بهم، لا يبالي بمشاعرهم، ولا بأرائهم، ولا بما يقولون، ولا بحالة السخط من تصرفاته الخاطئة، أو من إهماله وتقصيره وتفريطه في أداء مسؤوليته، فلذلك تأثيرات سيئة؛ لأن هذا مؤشر كبير على فشله في أداء مسؤوليته، وعلى أخطائه في أداء مسؤوليته، فهو لم يأخذ العبرة ممن كانوا قبله، ومن النتائج التي نتجت عن ممارساتهم الخاطئة في موقف المجتمع منهم.

موقف المجتمع لا يبقى مجرد مشاعر، أحياناً يصل موقف المجتمع إلى مستوى ألا يطيقك، ألا يتحملك، أن يسعى لئلا تكون أنت من تكون في موقع المسؤولية تجاهه، يصل الحال في كثير من المجتمعات إلى الثورة، أو إلى أعمال وتصرفات تعبّر عن سخط الناس، عن عدم تحملهم وطاقاتهم تجاه مسؤول معين، أو قائم على عمل معين، فهذه المسألة مهمة.

فالإنسان معنيٌّ بأن:

- يقدّم النموذج الصالح، النموذج الراقى في أدائه للمسؤولية.
- وأن يستفيد من أخطاء من كانوا قبله؛ حتى لا يكرر نفس الخطأ، لا يكرر نفس الممارسات.

- وأن يحرص على أن يكون له مصداقيته فيما كان ينتقده سابقاً، من الممارسات الخاطئة، والتصرفات الخاطئة، فلا يكررها هو، وتأتي كتصرفات يعتمد عليها، وممارسات تستمر من جانبه، وهو كان ينتقدها من الآخرين، ممن كانوا قبله.
- ويحرص على أن تكون علاقته بالمجتمع علاقةً جيدة، علاقةً قائمةً على التعاون، على التفاهم، على الأخذ بعين الاعتبار مشاعر المجتمع، ومواقف المجتمع، وتعاون المجتمع.

- وأن تكون الأمور واضحة للمجتمع، إذا كانت هناك ممارسات معينة، أو تصرفات معينة، أو قضايا معينة لها ردة فعل من جانب المجتمع، تسبب لردة فعل مبنية على فهم معين من جانب المجتمع، فينبغي أن تكون الصورة واضحة للمجتمع تجاه ذلك التصرف، أو تلك السياسة، أو ذلك الموضوع الذي نتج عنه استياء من جانب المجتمع.

فلا ينبغي نهائياً أن يكون هناك تجاهل لمشاعر الناس، لاستياء الناس، لآراء الناس، لأقوال الناس، وبالذات المجتمع الذي هو بعيدٌ عن التأثير في مواقفه، في توجهاته، بما يقوله الأعداء، هناك فرق بين ما يقوله الأعداء، وما يقوله الحاقدون، وما يقوله من لديهم مواقف ودوافع أخرى، وبين ردة الفعل من المجتمع الذي هو باقٍ على فطرته، ومواقفه هي نتيجةٌ لما يحصل من جانبك فعلاً، وليست تأثراً بما يقوله الآخرون، أو يسعى الأعداء من خلاله إلى تأليب الرأي العام تجاهك، فهذه مسألة مهمة جداً.

في هذا الإطار، أهم ما ينبغي أن تركز عليه في علاقتك بالمجتمع، وفي أداء مسؤوليتك تجاه المجتمع، هو: العمل الصالح؛ لأن من أسوأ ما ينحرف بك، ويؤثر عليك سلباً، عندما تكون اهتماماتك شخصية، توجهاتك شخصية، هدفك من المنصب الذي وصلت إليه: تحقيق الأهداف الشخصية، والمكاسب الشخصية، ولم تعد تبالي بالناس، ولا تكثر للناس، ولم يعد اهتمامك متجهاً نحو خدمة الناس في إطار مسؤوليتك تجاههم، لذلك تأثير سلبي عليك.

ولهذا عندما قال عليه السلام:

((فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ))

لأن الكثير من الناس يكون همه من وراء المنصب الذي وصل إليه، ما يحقق لنفسه من مكاسب شخصية:

- مادية: عن طريق الفساد المالي، أو الاختلاس، أو الابتزاز المالي... أو أي وسيلة غير مشروعة، يريد أن يحصل من خلالها على مال.
- أو مكاسب أخرى: مكاسب معنوية... أو أي مكاسب غير مشروعة.

فهذه الحالة خطيرة جداً، تؤثر على الإنسان، ويمقتة الله والناس، يرى الناس فيه، في طريقته في العمل، في أسلوبه، في اهتماماته، أنه لا يهتم إلا نفسه، لا يهتم إلا مصلحة نفسه، ليس مهتماً بالناس، ليس مهتماً بالمجتمع، ليس مهتماً بخدمة المجتمع من خلال منصبه وموقعه في المسؤولية.

فالتوجه الصحيح: أن تحرص على العمل الصالح، هو أكبر مكسب، لا تركز على كيف تحصل من خلال هذا المنصب على المكاسب الشخصية: المادية، والمعنوية... وغير ذلك، احرص على أن يكون المكسب الكبير، المكسب المهم، المكسب العظيم، الذي تحصل عليه من خلال مسؤوليتك، ومنصبك، وموقعك

في المسؤولية، هو: العمل الصالح، الذي يمثل رصيماً عظيماً، ينفك عند الله ﷻ، فعندما تسخر كل جهدك، كل طاقتك، كل صلاحياتك، كل الإمكانيات التي هي في نطاق مسؤوليتك في العمل الصالح، والعمل الصالح أين يتجه ميدانه؟ إلى الناس، العمل الصالح هو يتجه إلى الناس، من خلال موقعك في المسؤولية، خدمة للناس، اهتمام بأمر الناس، تسخير لكل طاقتك وتوظيف لكل قدراتك في خدمة الناس، ولكن وفق ما يرضي الله ﷻ؛ لأن العمل الصالح يجب فيه أن يكون:

- أولاً: مطابقاً لشرع الله وتوجيهاته وتعليماته، فلا تسخط الله بهدف إرضاء الناس، يعني: تعمل شيئاً محرماً، وشيئاً فيه الإثم والوزر من المحرمات، تسعى به إلى إرضاء الناس، هذا لا يجوز أصلاً، لابد في العمل الصالح أن يكون مطابقاً لشرع الله وأمر الله.

- وأن يكون بنية صادقة، تتقرب بذلك إلى الله ﷻ، لا ترابي به، ولا يكن هدفك منه السمعة الطيبة لدى الناس، اجعل هدفك هو مرضاة الله ﷻ، والله هو الذي يمنحك العزة، ويجعل لك الود في قلوب عباده، مثلما قال في القرآن الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١)، مثلما قال:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

- وفي العمل الصالح أن تلحظ فيه الاتقان.

تلحظ فيه: أن يكون مطابقاً لشرع الله، وأن يكون بنية صحيحة وصادقة، وأن يكون عملاً متقناً وسليماً من شوائب الفساد، فهذه الاعتبارات الثلاثة تجعل من عملك عملاً صالحاً، ويبقى هو الرصيد العظيم الذي له قيمته لك، يُكْتَبُ لك، ويكون عاملاً لنجاحك، ويكون له الأثر الطيب في الواقع وفيما

(١) مريم: الآية ٩٦

(٢) المنافقون: من الآية ٨



يجريه الله على ألسن عباده من الذكر الحسن، والمحامد والمآثر الطيبة.

((فَأَمَلِكُ هَوَاكَ، وَشَحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ))

لأن هوى النفس هو من أخطر ما ينحرف بالإنسان عن العمل الصالح، ويؤثر عليه حتى في علاقته بالمجتمع من خلال موقعه في المسؤولية.

((وَشَحَّ بِنَفْسِكَ)): امنع نفسك وحافظ عليها مما لا يحل لك؛ لأن

لذلك تبعاته، آثاره السيئة، في العقوبة من الله ﷻ، والتشويه لك، تشوه نفسك بالأعمال التي لا تحل لك، عندما تمارس الفساد المالي، أو الابتزاز المالي، أو تمارس الظلم، أو تمارس الأثرة والاستبداد... أو أي تصرف سيئ لا يحل لك أن تتصرفه، عندما تتصرف من موقعك في المسؤولية، لذلك تبعاته في الدنيا والآخرة، وآثاره السيئة، ويشوهك، وله عواقبه السيئة عليك.

((فَإِنَّ الشَّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ))

يجب أن تكون منصفاً، إذا أردت أن تصون سمعتك، أن تصون نفسك، أن تحافظ على نفسك مما له تبعات سلبية عليك، ومما يشوهك، فكن منصفاً، لا تتعامل بمزاجك الشخصي، كن منصفاً من نفسك، ومتجهاً إلى إصلاح أي خطأ بيد منك، إلى تلافي أي زلة، إلى معالجة أي مظلمة؛ حتى تبقى مصاناً، ومحافظاً على نفسك من العواقب السيئة، والتأثيرات السيئة، للتصرفات الخاطئة والظلم الذي قد يحصل من جانبك.

ومسألة الصيانة للنفس، والحفاظ عليها مما له تبعات خطيرة؛ لأن موقع المسؤولية موقع حساس جداً، وإذا تصرّف الإنسان منه تصرفات ظالمة، أو جائرة، أو خاطئة، لذلك تبعاته، ويتحمل الإنسان الوزر والذنب، فليحرص الإنسان على أن يصون نفسه من ذلك، قد يأتي الإنسان إلى موقع المسؤولية وهو ما قبل ذلك

يحمل رصيماً نظيفاً، سليماً من الأوزار الكبيرة والمخاطر التي قد تسبب له نار جهنم، فإذا وصل إلى موقع المسؤولية ورط نفسه ورطات كبيرة، استغل منصبه استغلالاً سيئاً، تحمل الأوزار، والآثام، والذنوب، وتشوه، وخرج من منصبه، إمّا بموته، وإمّا بعزله، وإمّا بطرده، وهو محمل بالأوزار السيئة، والصيت السيئ، والذكر السيئ في أوساط الناس.

((فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ، أَوْ كَرِهَتْ))

يعني: وليس الانقياد وراء أهوائها ورغباتها، عندما يتجه الإنسان وراء رغبات النفس وأهوائها، هو يسيء إلى نفسه، ويظلم نفسه، ويجني على نفسه؛ بينما إذا حافظ على نفسه ومنعها مما لا يحل، وإذا أخطأ، أو تجاوز، عالج ذلك، بادر إلى إصلاح ما صدر منه من خطأ، ليس العيب في ذلك، لا يكابر، البعض من الناس أسلوبه في واقع العمل، في أداء مسؤوليته، أن يكابر، إذا حصلت منه زلة، أو خطأ، أو مظلمة، لا يريد أن ينصف، ولا يريد أن يتلافى ما حصل منه من خطأ، وهذا يسبب له الإثم والوزر، ويشوّه؛ إمّا الإنصاف، أمّا تلافى الأخطاء، فهو لا يشوّه الإنسان، ولا يحط من قدره ومنزلته.

ثم يواصل الحديث ليبين أسس العلاقة مع المجتمع:

((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَأِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ،

وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَا آكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ، فَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ)).

نجد هنا الأسس المهمة للعلاقة مع المجتمع، وهي أسس قرآنية، أسس في منهج الإسلام وفي شريعته، ولا مثيل لها عند الآخرين أبداً، مثل هذا لا وجود له في دساتير، وأنظمة، ونظم، وقوانين الآخرين خارج منهج الله ﷺ.

في العلاقة مع المجتمع، في إطار مسؤوليتك تجاهه، تبدأ هذه العلاقة من مشاعرك في قلبك، فيقول:

((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ))

إذا كانت مشاعر الإنسان نحو المجتمع مشاعر سلبية، ينظر إليهم باحتقار، ويحمل العقد تجاههم، وينطبع في انطباعاته الشخصية تجاههم بناءً على ما قد يحصل من البعض منهم من تصرفات، أو عبارات... أو نحو ذلك، فلهذا تأثيره السلبي والسيئ في طريقته في العمل، إذا انطلق في عمله من العقد النفسية، أو الاحتقار، أو الكره، أو النظرة السلبية إلى المجتمع، فسيكون أداؤه أداءً سيئاً.

لكن ما يجب أن تحمله، وما يربينا عليه القرآن الكريم، ما نتربى عليه في التربية الإيمانية، هو: أن نحمل الرحمة للناس، الرحمة هي من أعظم القيم الإيمانية، التي يتربى عليها الإنسان المؤمن، هو يتربى على الرحمة للناس، الرحمة للرعية، الرحمة للمجتمع، يحمل الرحمة كشعور في وجدانه، في قلبه، هذه تربية إيمانية يتربى عليها الإنسان ما قبل وما بعد، يستمر على ذلك، من له صلة إيمانية

بالله ﷻ، من يتربى على أساس هدى الله ﷻ، فهو يتربى على الرحمة للناس.

((وَأَشْعِرْ قَلْبِكَ)): تشعر بذلك، وتحمل هذه المشاعر وأنت تؤدّي

مسؤوليتك، فتفيض هذه المشاعر، وتتجلى في أدائك العملي، في تصرفاتك، في ممارساتك العملية، في قراراتك، في أدائك العملي، تتجلى فيه الرحمة، تفيض الرحمة من مشاعرك إلى واقعك العملي.

((الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ))، مع الرحمة لهم في كل ما ينتج عنها

ويترتب عليها:

- من اهتمامٍ بأمرهم.
- من حرصٍ عليهم.
- من عنايةٍ بشؤونهم.
- من تفاعلٍ معهم.

تحرص على الاهتمام بهم، تتألم لآلامهم، تفرح لأفراحهم، يعزُّ عليك أن يعانون، أن يُظلموا، أن يضطهدوا، أن يلحق بهم العناء.

رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة لكل مؤمن، وفي موقع المسؤولية، ماذا

قال الله عنه في القرآن الكريم؟ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

مَا عَنَّمَهُ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، يقول عنه هذا التعبير

العجيب: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنَّمَهُ﴾، يعني: يعزُّ عليه أن تلحق بكم أي مشقة،

أو ضرر، يهمله أمركم إلى هذه الدرجة، فهو يتألم ويحرص على ألا يلحق بكم

ضرر ولا مشقة.

وهكذا يجب أن يكون من هو في موقع المسؤولية تجاه مجتمعه: أن يكون مهتماً بأمرهم؛ أمّا النوع الذي يتجاهل الناس، يتجاهل معاناتهم، وأوجاعهم، وما يلحق بهم من ضرر، ولا يكثرث لأي شيء، فهو بعيد عن هذه القيم الإيمانية. **((وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ))** مع الرحمة المحبة، تنظر إلى المجتمع نظرةً إيجابية، هم عباد الله، هم مجتمعك المسلم، لهم حقهم في الاعتبار الديني، في الأخوة الإيمانية، ومنزلتهم في إطار ذلك، وفي هذا السياق يعني نظرة عامة إلى المجتمع بشكل عام، وأيضاً من خلال معرفتك بواقع الناس، بالمجتمع نفسه، تقدّر من لهم قيمة إيمانية وأخلاقية، ودورهم إيجابياً في المجتمع، وهم عونٌ لك في الاهتمام بأمر الناس، تلاحظ ذلك كنظرة عامة، وأيضاً في الواقع العملي مع من يحملون مثل هذه المشاعر تجاه المجتمع.

((وَاللُّطْفَ بِهِمْ)) في أسلوبك العملي، في طريقتك العملية، يفيض اللطف، ويتجلى هذا اللطف في طريقتك في التعامل معهم، لا تتعامل معهم بقسوة، بتكبر، بغلظة، بفضاضة، هذا لا ينبغي أبداً.

البعض أصبح تصورهم للمسؤولية والمنصب في الدولة، أنّ من لوازمه أن تكون كذلك، أن تتكبر على الناس، أن تتعالى عليهم، أن تتعامل معهم بقسوة، بغرور، وأن تتعامل معهم بأسلوب فيه عنجهية وتكبر، هذا ليس من الإيمان في شيء، وليس هو من لوازم المسؤولية، بل على العكس، من لوازم المسؤولية أن تتعامل مع الناس بتواضع، باحترام، بتقدير، أن ترعى لهم كرامتهم الإنسانية، أن تلاحظ ذلك في التعامل معهم، وألاً تتعامل بقسوة، وغرور، وعنجهية، وتكبر.

((وَاللُّطْفَ بِهِمْ))، وأيضاً في الاهتمام العملي تجاه الناس من موقعك في المسؤولية، تسعى بكل ما تستطيع، وأن توظف كل قدراتك وإمكاناتك فيما فيه الخير لهم.

((وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ))

لا تتحول إلى وحش، تتوحش في تعاملك معهم، في علاقتك بهم، همُّك أن تقهرهم، وأن تستغلهم لمصالحك الشخصية، تتعامل معهم بالظلم، بالابتزاز، بالاستغلال الشخصي، بالتركيز على المكاسب الشخصية، إمَّا من خلال الابتزاز المالي، والفساد المالي... أو أي أسلوب، **((تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ))**، ثم هذا يشمل أيضاً أي ممارسات من ممارسات الظلم، كل ممارسات الظلم، والابتزاز، والاستغلال المحرم، كلها تدخل تحت عنوان: **((تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ))**، فلا تتعامل معهم كوحش، ليس عندك رحمةٌ بهم، ولا محبةٌ لهم، ولا لطفٌ بهم، ولا إحساسٌ بأوجاعهم ومعاناتهم، ولا تفهؤٌ لظروفهم ومعاناتهم، وهمُّك فقط أن تأكلهم وأن تستغلهم.

((فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ))

أخ، تحمل نحوه مشاعر الأخوة؛ لأنك تجمعك به أعظم الروابط، وأقدس الروابط، وهي رابطة الدين، بما يترتب على ذلك من مسؤوليات، ومعها بالطبع رابطة الإنسانية، الذي تجمعك به رابطة الدين، مع ذلك رابطة الإنسانية والدين، ويجب أن تحمل تجاهه مشاعر الأخوة.

((أَوْ نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))

تجمعك به الرابطة الإنسانية، وإن لم تجمعك به رابطة الدين، لكن مثلاً هو كمواطن إنسان، وتجمعك به رابطة الإنسانية، وتحمل تجاهه من موقعك في المسؤولية، المسؤولية تجاهه كإنسان، كمواطن؛ وبالتالي هناك مسؤوليات

عليك تجاهه، ترعى له كرامته الإنسانية، هو كإنسان له كرامته، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(١)، يقول الله في القرآن الكريم، وتتعامل معه وفق كرامته الإنسانية وحرمته، وبما تمليه عليك مسؤوليتك.

ثم تتفهم الواقع العام للناس، عندما تحمل الرحمة لهم، والمحبة لهم، واللطف بهم، وتتعامل معهم بمسؤولية، وفق هذه القيم الإيمانية، تتفهم ظروفهم وسلوكياتهم بشكل عام، يقول عنهم:

((يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ))

يعني: يحصل ويسبق منهم الأخطاء، لا تتصور أن المجتمع من حولك مجتمع معصوم، أو مجتمع لا يخطئ أحد فيه، أو تتجه بناءً على أنه يحصل منهم ويحصل ويحصل، ثم أنت ذلك الذي تريد أن يعاقب أشد العقوبات على أبسط الأخطاء، وأن يتعامل مع كل خطأ، أو زلة، أو تقصير، تعاملًا قاسياً، يريد أن يؤدب على كل تقصير، أن يعاقب على كل خطأ، العقوبة ليست هي الأساس في التعامل مع المجتمع لإصلاح المجتمع، العقوبة هي حالة أو إجراء استثنائي، هو الإجراء الأخير الذي تستخدمه، مثلما قال الإمام عليٌّ عليه السلام: ((آخر الدواء الكي)).

الأسلوب الذي يعتمد عليه الإسلام في الاهتمام بالمجتمع، ورعاية المجتمع، هو: الأسلوب التربوي في المقام الأول، تُبذل جهود كبيرة لإصلاح المجتمع من خلال تربيته التربية الإيمانية، من خلال زرع القيم الإيمانية فيه، من خلال التعليم النافع الصحيح، من خلال الأساليب الاجتماعية التي ترسخ القيم والأخلاق الحميدة كعادات راسخة... وسائل كثيرة، أساليب كثيرة تُستخدم، وليس فقط الأسلوب العقابي، هو إجراء أخير، وبحسب الضرورة، كالطبيب عندما يعالج المريض،

(١) الإسراء: من الآية ٧٠

ويضطر إلى استخدام أساليب علاجية، الهدف منها العلاج، ليتماثل الجسم للشفاء، وليست حتى بأسلوب انتقامي، أو بأسلوب نابع من حالة عقد تجاه المجتمع، أو تجاه البعض من أبناء المجتمع، الحالة هي حالة يستخدم الإنسان فيها ما يستخدمه من أساليب ضرورية كالطبيب تماماً، الذي يسعى لعلاج المريض، ولو أحياناً بما قد يتأذى منه، أو يتضرر منه بعض الشيء، لكنه لمصلحته.

فالحالة العقابية ليست هي الأسلوب الدائم في التعامل مع كل الأمور، ولا الأسلوب الوحيد الذي يعتمد عليه الإنسان في التعامل مع المجتمع، هناك في منهج الله ﷺ أشياء واضحة ومحددة للتعامل مع بعض الأخطاء، مع الجرائم، مع الإساءات، وهناك مساحة في كثير من الأمور للعفو، والتجاوز، والصفح، واستخدام أساليب تربوية، أساليب اجتماعية، أساليب إيجابية مؤثرة، أحياناً نفس العفو قد يكون له أثره الكبير في إصلاح خطأ معين.

**((فَاعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ
اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ))**

أنت كإنسان في واقعك العملي، وفي أدائك لمسؤولياتك، بالتأكيد تحصل منك تقصير، يحصل منك خطأ، وأنت ما تعوّل عليه وتؤمّل فيه وترجوه هو العفو من الله ﷻ، الإنسان المؤمن هو هكذا، هو دائماً يرجو الله أن يعفو عنه، أن يغفر له، ويطلب من الله ذلك، ويسعى لنيل ذلك بالأسباب التي أرشد الله إليها كأسباب للحصول على المغفرة والعفو، فانظر أنت إلى نفسك أنك كإنسان يحصل من جانبك تقصير، يحصل من جانبك أخطاء، وإنما تعوّل على رحمة الله، على عفوهِ، فلا تنظر إلى الناس نظرة قاسية جداً، ومنتشدة للغاية، تجاه ما قد يحصل من أخطاء، أو قصور، أو تقصير، فتريد أن تتجه لإجراء أقصى العقوبات

بحقهم، تعامل وفق هذه الطريقة، التي فيها مساحة للعفو والصفح، وفيها اهتمام لإصلاح المجتمع بكل الوسائل الإيجابية.

((فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ))

أنت في موقع المسؤولية معني بهم، معني بأمرهم، ولكن لست صاحب القرار الأخير، الله فوقك، التراتبية أيضاً في المسؤوليات بالنسبة للإنسان في موقع المسؤولية، **((وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ))**، فلذلك احسب حساب ما بينك وبين الله ﷻ، وتعامل بمسؤولية، والحظ هذه القيم بعين الاعتبار.

((وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ))

أنت في موقع المسؤولية معني بالاهتمام بأمرهم، بالسعي لإصلاحهم، بالعناية بشؤونهم، وفي موقع مسؤولية واختبار يختبرك الله ﷻ فيه، احرص على أن تنجح في هذا الاختبار، وأن يكون أداؤك أداءً صحيحاً، وأن تحمي نفسك وتصون نفسك من التجاوزات الظالمة، من الممارسات السيئة، من أسلوب التسلط والطغيان.

((فَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ))

لأنك عندما تتعامل مع الناس بسطوة، وجبروت، وظلم، وممارسات منحرفة عن هدي الله ﷻ، وعن تعليماته، وتخالف شريعته وتوجيهه، بما تمارسه من الظلم، والجور، والتسلط، والطغيان، والقسوة، والجبروت، فأنت تجعل نفسك في حالة استهدافٍ ومؤاخذةٍ وعقوبةٍ من جانب الله ﷻ، أنت تُعَرِّضُ نَفْسَكَ لِعُضْبِ اللَّهِ، لسخط الله، لجبروت الله ﷻ، لا تغتر بمنصبك، لا تغتر بموقعك في المسؤولية، الذي تتصور أنه سيحميك، فتقسو على الناس، وتتجرأ عليهم، وعلى ظلمهم، على أي إنسان، حتى إنسان قد تستضعفه، قد تتصور أنك آمنٌ من

جانبه، أنه لا يستطيع أن ينالك بشيء تجاه ما تعمله به من ظلم، ما تمارسه بحقه من جور، أنت تُعَرِّضُ نفسك لسخط الله، لغضب الله، لعقوبات الله ﷻ، وأنت ضعيف عاجز، عندما تسبب لنفسك سخط الله، غضب الله، عذاب الله، ((لِحَرْبِ اللَّهِ)) هذه العبارة المخيفة الرهيبة، ((تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ)): تُعَرِّضُ نفسك لأن يضربك الله وأن يعاقبك، ((فَإِنَّهُ لَا يَدُ لَكَ بِنِقْمَتِهِ)): لن تستطيع أن تدفع عنك نقمة الله، عذاب الله، سخط الله، في العاجل والآجل، في الدنيا يصنع الله الكثير من المتغيرات، ويحول واقعك إلى واقع مختلف، يبدلك عن العز بالذل، يزيحك مما أنت فيه من التمكين، يُسَلِّطُ عليك، أشياء كثيرة يمكن أن تحصل من عقوبة الله.

((وَلَا غِنَىٰ بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ))

لست مستغنياً عن عفوهِ، أنت محتاجٌ إلى عفو الله ورحمته، وما لم يعفُ عنك ويرحمك فأنت هالك، نحن في واقعنا، في تربيتنا الإيمانية، يعلمنا الهداة وأولياء الله أن نطلب من الله أن يعاملنا بعفوهِ، وألا يعاملنا بعدله؛ لأنه لو عاملنا بعدله هلكننا، نحن نطلب منه العفو والرحمة، نحن ندرك قصورنا، أخطاءنا، تقصيرنا، ما نحمله من الذنوب؛ وبالتالي الإنسان لا يمكن أن يستغني عن عفو الله ورحمته، هو بحاجة دائماً وأبداً إلى أن يعفو الله عنه وأن يرحمه، فكيف يُعَرِّضُ نفسه لغضب الله، لسخط الله، لعذاب الله!

((وَلَا تَتَدَمَّنَنَّ عَلَىٰ عَفْوِهِ))

يعني: الإنسان أحياناً مثلاً قد يعفو عن إنسان، فلا يُقَدِّرُ هو العفو عنه، إمَّا يسيء، وإمَّا يعود إلى نفس الممارسات السيئة، حينها لا تندم؛ لأن عفوك في البداية له أثر إيجابي، على الأقل في محيط ذلك الشخص، محيطه في المجتمع،

سيتفهم مستقبلاً الإجراء اللازم، وأصبح العفو حجةً لك عليه، للعفو أثر إيجابي حتى لو تصور الإنسان في بعض الحالات أنه لم يكن مناسباً، هو مناسب على كل الأحوال، له آثاره الإيجابية.

((وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَتِهِ))

لا تتفاخر وتتباهى بعقوبتك، أنك عاقبت ذلك المواطن، أو ذلك الإنسان، العقوبة- كما قلنا- هي: إجراء ضروري، في الحالات الضرورية فقط، إجراء استثنائي في الحالات الضرورية فقط، فلا تتبجح بها، وتتفاخر بها، وتتباهى بها؛ لأن هذا يقدم صورةً عنك كإنسان انتقامي متغطرس ومتوحش، من يرتاح، ويتلذذ بما يلحقه بالآخرين من عقوبات، أو ضرر، هو يظهر كإنسان متوحش، وإنسان قاسٍ، وإنسان لا يحمل الرحمة في نفسه.

((وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً))

هذه حكمة مهمة جداً: لا تتسرع في حالات الغضب لاتخاذ الإجراءات الأقسى، إرضاءً لحالتك النفسية؛ لأنك في حالة انفعال وغضب، هذه حالة مهمة جداً أن يكون الإنسان متنبهاً لها؛ لأن الكثير من الناس قد ينفعل، قد يغضب بشدة، ويبادر إلى اتخاذ الإجراء الأقسى وفق حالته النفسية، وليس وفق ما ينبغي بميزان الحكمة، بمعيار الحق، أن يتصرف؛ وإنما وفق غضبه، كان الإجراء الذي اتخذه بمقدار غضبه، لا بمقدار الحق، ولا بمقدار العدل، ولا بميزان الحكمة، ولا بالنظر لمصلحة العمل، فعلى الإنسان أن يكون متنبهاً، لا تتخذ الإجراءات الأقسى، وهناك متسع لإجراءات بديلة، خيارات بديلة، تعالج بها المشكلة، أو تصلح بها الخلل، دون أن تتسرع إلى آخر ما ينبغي أن تعمله.

البعض مثلاً قد يبادر إلى السجن، وكان ما ينبغي أن يتخذه من إجراء في الأخير هو السجن، فجاء به كأول إجراء، أو التسرع مثلاً بحملة، أو التسرع بأي أسلوب، أو قرار، القرار الذي يأتي في نهاية المطاف لا تتسرع به في بداية المطاف إرضاءً لغضبك وانفعالك، حاول أن تستفيد من أي خيارات وبدائل عملية، تصلح بها الخلل، أو تعالج بها المشكلة، أو تتلافى بها إشكالاً معيناً، قبل أن تتسرع إلى الإجراءات الأخرى.

((وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُذُوحَةً))، طالما هناك خيارات وبدائل أكثر إيجابية، أكثر نفعاً لمعالجة المشكلة، أو لإصلاح الخلل، ابدأ بها.

((وَلَا تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ))

البعض إذا وصل إلى موقع مسؤولية معينة، أصبح يتلذذ بأنه يصدر الأوامر، وعلى الناس أن يطيعوه فوراً، وقد تصدر إمّا أوامر خاطئة، مثلاً: الإنسان في بعض الحالات قد يصدر قراراً معيناً، أو يأمر بأمرٍ معين، لكن انطلاقاً من حالة نفسية لديه، إمّا حالة انفعال، أو حالة غضب، أو حالة نفسية معينة، يعني: ليس بناءً على مصلحة العمل، على ما تقتضيه المسؤولية، وإنما وفق حالة نفسية.

البعض مثلاً قد يصدر قراراً، أو يأمر بأمرٍ معين، بناءً على معطيات، أو معلومات، قد تكون ناقصة، أو قد تكون مغلوطة، فيتضح فيما بعد أن ذلك القرار، أو ذلك الأمر، ليس مناسباً؛ لأنه كان فقط مستنداً إلى معلومات ناقصة، أو غير صحيحة، أو معطيات غير صحيحة، أو ناقصة، وهناك خيار أفضل، هناك ما يفترض أن يبنى عليه، أو يعتمد عليه في الموضوع آخر، غير ذلك القرار، أو غير ذلك الأمر، فلا يأنف الإنسان، أو يستكبر في أن يتراجع؛ لأن البعض مثلاً

من المسؤولين: محافظ، أو مسؤول معين، أو مدير أمن، أو أي مسؤول، في أي مستوى من مستويات المسؤولية، يتصور أن أي أمر منه يجب أن ينفذ فوراً، مهما كان خاطئاً، مهما اتضح أنه سلبي، مهما اتضح أنه ليس مناسباً، يقول: [خلاص قد صدر القرار، يجب أن ينفذ، لا يمكن أن أراجع عنه]، لا ينبغي أن يتعصب الإنسان إرضاءً لاعتباراته الشخصية وحساسياته وعقده الشخصية، وكبره وغروره، مصلحة العمل ورضا الله فوق كل اعتبار، وعلى الإنسان أن يوطن نفسه في أدائه للمسؤولية على هذا الأساس: أن تكون رضا الله ومصلحة العمل فوق كل اعتبار، فوق اعتبار واقعته النفسي، مكانته الشخصية، أهمية موقعه الشخصي، الحساسيات الشخصية... أي اعتبارات، لا تكن على حساب رضا الله، على حساب مصلحة العمل.

الإنسان مثلاً قد يصدر قراراً، أو أمراً، فلا يتهياً تنفيذه على وجه السرعة؛ لأن هناك مثلاً عوائق معينة، أو ظروفًا معينة، تستدعي أن يكون هناك تهيئة، أو عمل يساعد على تنفيذ ذلك القرار، فليتفهم الإنسان تلك الظروف، تلك الوضعيات، لا ينظر هذه النظرة: [أنه ما دام صدر مني الأمر، فلا بد أن ينفذ على وجه السرعة]، دون اكتراث ولا مبالاة بأي عوائق، بأي ظروف، يجب أن تكون معايير وموازين الحكمة حاضرة، ومراعاة الوضعية، ومراعاة الظروف، وأن يكون الإنسان متفهماً لذلك.

الإنسان إذا تصور أنه قد أصبح إلى درجة أن تنفذ كل أوامره مهما كانت؛ خطأً، غلطاً، سوءاً، ظلمًا، صوابًا أو غير صواب، كيفما كانت، وأصبح يتصور لنفسه أنه صاحب صلاحيات مطلقة، يقرر ما يشاء، ويفرض ما يريد، دون أي اعتبار لحق، وعدل، ورحمة، وحكمة، ومصلحة عمل... وغير ذلك، فهذه حالة

خطيرة جداً، حالة خطيرة على الإنسان، ولذلك قال عنها الإمام عليٌّ عليه السلام:

((فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْخَالَ فِي الْقَلْبِ))

يعني: إفساد، إفساد حتى لمشارعك أنت، أنت تفسد حتى مشاريعك، حتى وجدانك، تحمل بدلاً من مشاعر الرحمة، ومشاعر الإيمان، ومشاعر التقوى والاتجاه إلى الله تعالى، تحمل مشاعر سلبية جداً: مشاعر الغرور، مشاعر الكبر، مشاعر الغطرسة، التمحور حول الذات، أنت تفسد قلبك، تفسد وجدانك، تفسد إيمانك في داخل قلبك، حتى في أعماق قلبك، ويسبب هذا قسوة القلب، سوء المشاعر، يعني: الأضرار المعنوية والخلل النفسي كبير في مثل هذه الحالة.

((وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ))

لأن هذا يضعف إيمانك، التزامك الإيماني، وروابطك الإيمانية، أصبحت إنساناً مغروراً، متجبراً، طاغيةً، مستكبراً، تريد أن تُنقذ أوامرك حتى لو كانت ظلماً، حتى لو كانت خطأ، حتى لو كان لها آثارها السيئة، لم يعد يهتمك ذلك.

((وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ))

تَقَرُّبٌ من المتغيرات التي تُعَيِّرُ النعم، وتبدل الأحوال، وتسقط الدول، وتسقط الإنسان؛ لأنه إذا أصبح متعصباً لنفسه في كل تصرفاته وقراراته، حتى لو كانت خاطئة، لها تأثيرات سلبية في الواقع، فهذا يؤثر تأثيراً كبيراً، وَيَقْرُبُ الإنسان من الْغَيْرِ، يبدل الله ما هو فيه من النعمة، يستبدل بدلاً عن العز؛ الذل، عن التمكين؛ السقوط، وغير ذلك، يعني: بدلاً من القوة؛ الضعف، بدلاً من المهابة والاحترام في نفوس الناس؛ يسقط من نفوسهم... إلى غير ذلك، ففي الأخير يعاقب بعقوبة خطيرة جداً.

((وَإِذَا أَحَدَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَتًا))

شعوراً بالعظمة والكبرياء؛ لأنك أصبحت في موقع السلطة، وترى الناس ينظرون إليك أنك مسؤول كبير، وصاحب سلطة معينة، ويحترمونك لأجل ذلك، والبعض يتملقون لك ويعظمونك، والبعض يشيدون بك، وهكذا، وأنت من جانبك تنظر إلى موقع السلطة أنه موقع كبير ومهم، فتشعر بالعظمة والكبرياء.

((أَوْ مَخِيلَةً))

تشعر بالغرور، والعجب بالنفس، وتعتبر نفسك إنساناً عظيماً ومهماً، وصاحب الإنجازات، وتنسى الله، وتنسى ما وفقك له، أو مكنك فيه، وتعتبر كل نجاح أنه يعود إلى عبقريتك الشخصية، ولم تعد تعتبر لله فضلاً ولا منة، ولا ترى إلا نفسك، وهذه حالة خطيرة، وتحصل للكثير من الناس، كثيرٌ من الناس يصلون إلى مواقع السلطة، أو مناصب المسؤولية، وكانوا قبل ذلك أناساً عاديين في مشاعرهم، متواضعين، ثم يتفرعون، يطغون، يتكبرون، يعجبون بأنفسهم، تصيبهم هذه الآفات، هذه آفات خطيرة، إذا لم يكن الإنسان منتبهاً لنفسه باستمرار، وللتربية الإيمانية باستمرار.

((وَإِذَا أَحَدَتْ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَتًا، أَوْ مَخِيلَةً، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ، عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ))

عالج هذه الحالة؛ لأنها إذا تطورت في نفسية الإنسان يطغى، ويتكبر، ويصل إلى حالة خطيرة جداً من الظلم والسوء، فيبادر الإنسان أول ما يشعر بشيءٍ من هذه المشاعر: مشاعر العظمة والكبرياء، أو مشاعر الغرور والعجب، هي من أخطر المشاعر، ومن أقبح ما يمكن أن يتلبس به الإنسان ويتأثر به الإنسان، من

أكبر المفاسد التي تفسد الإنسان: الشعور بالكبرياء والعظمة، الشخصية الذاتية والغفلة عن الله ﷻ، أو العجب والغرور والجحود لمنة الله ونعمته وتوفيقه.

عالج هذه المشكلة، إذا أحسست بمشاعر من هذا النوع، **((فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ))**، لا تغتر بما أنت فيه من السلطة والمنصب، هو لا يساوي شيئاً في إطار ملكوت الله الواسع، ملكوت الله في السماوات والأرض وهذا العالم والكون الفسيح، ستظهر لا شيء، ستظهر أقل حتى من مستوى الذرة أمام هذا الملك الواسع الفسيح، وأيضاً تفكّر في قدرة الله منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، حياتك بيد الله، موتك بيد الله، صحتك وعافيتك، أو مرضك، هرمك، كل واقعك مرتبط بالله ﷻ، رزقك بيد الله، الله هو الذي يعز، هو الذي يذل، هو الذي يصنع المتغيرات في واقعك على ما يشاء ويريد، يتصرف فيك بما يريد، بما لا تقدر عليه أنت حتى في نفسك، فمعناه: أنت لا تملك على نحو الاستقلال حتى نفسك، هل يمكن أن تتصرف في نفسك، وأن تمنع تصرف الله فيك، في نفسك، في حياتك، أو في موتك، أو في رزقك، أو في صحتك، أو في مرضك... أو في غير ذلك؟!!

ما هو فيك إنما منحك الله إياه، كل الطاقات، كل القدرات، كل القوة، وما وهبك وما أعطاك يمكن أن يسلبه منك في أي لحظة، اعرف قدرك، وعجزك، وضعفك، وحاجتك إلى الله، وافتقارك إلى الله ﷻ.

((فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ))

يعني: يخفّض، يخفّض عنك مما أنت فيه من حالة الغرور، والحالة التي قد نشرت فيها وتجاوزت الحد في النظرة إلى نفسك والغرور بنفسك.

((وَيُكْفُ عَنكَ مِنْ غَرْبِكَ))

يخفف من حذتك؛ لأن الإنسان قد يتجاوز الحد في مشاعره حتى تجاه نفسه.

((وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ مِنْ عَقْلِكَ))

يرد إليك ما كان قد غاب عن فهمك ووعيك؛ لأنك أصبحت تنظر إلى نفسك نظرة غير واقعية، وتفهم فهماً خاطئاً.

((إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشْبُهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ))

لا تخرج عن حدود عبوديتك لله، في الخضوع لله، والطاعة له، والشعور بأنك عبدٌ ضعيف، عليك أن تطيع الله، وعليك أن تتواضع لعباده، وعليك أن تتعامل معهم من موقع عبوديتك لله والتزامك الإيماني في أدائك للمسؤولية، لا تتكبر، لا تطغ، لا تتجبر، لا تتجه لممارسة الظلم بحق الناس من واقع التسلط عليهم، والجرأة عليهم، هذه الحالة من التجبر، والاستعظام للنفس، والتكبر على عباد الله والظلم لهم، عواقبها سيئة.

((فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ))

مهما بلغت في جبروتك وطغيانك، سيدلك الله كما أذل غيرك، كم من الجبابرة في التاريخ تكبروا، طغوا، اغتروا بما بين أيديهم من الإمكانيات، والقدرات، والجيوش... وغير ذلك، ولكنهم في الأخير سقطوا وذلوا، أذلهم الله نتيجةً لجبروتهم وطغيانهم.

((وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ))

الله يهين الإنسان الذي يتحول إلى مختال، مغرور ومعجب بنفسه، لم يعد يقبل النصيحة، لم يعد يتفاهم، لم يعد يراجع نفسه ليصح أخطاءه، لم يعد يعرف الفضل والمنة لله ﷻ عليه فيما وهبه.

الغرور والعجب حالة خطيرة على الإنسان، ونتيجتها إذا كان الإنسان في موقع المسؤولية: تصرفات طائشة، وإصرار على الأخطاء، وعدم اعتراف بالخطأ، وممارسات سيئة جداً، وعدم تقبُّل للنصيحة، ولا تراجع عن الانحرافات، وهي حالة خطيرة جداً على الإنسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾^(١)، فليحذر الإنسان من هذه الحالة، وتأثيراتها السيئة في موقع المسؤولية كبيرة جداً.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوقِّعنا وإيَّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرِّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛



درس من

عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر

الدرس: الثالث

الصفحة: ٦٣

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

كنا وصلنا في الدرس (في عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر) إلى الحديث عن أسس العلاقة مع المجتمع، وأول عنوان في هذه الأسس كان هو: الرحمة،

والرحمة من أهم القيم الإيمانية الإنسانية، التي هي أساسٌ للتعامل فيما بين المؤمنين، وأساسٌ مهمٌ جدًّا تقوم عليها العلاقات بين المجتمع البشري، ويأتي الحديث عنها في القرآن الكريم حديثاً واسعاً، والله ﷻ هو الرحمن الرحيم، وهو أرحم الراحمين، ولهذا تأتي قيم الرحمة في توجيهاته وفي تعليماته من منطلق رحمته، بل إن كل توجيهاته وتعليماته وما شرعه لنا هو من منطلق رحمته ﷻ، فالرحمة هي قاعدةٌ أساسيةٌ للتعامل فيما بين أبناء الأمة.

ولهذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم عن مواصفات المؤمنين المواصفات الأساسية المهمة: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(١)، ويقول ﷻ: ﴿وَتَوَّاصُوا بِالصَّبْرِ وَتَوَّاصُوا بِالْمَرْحَمَةِ﴾^(٢)، يقول عن نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: ﴿فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾^(٣)، قال عنه أيضاً: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤).

فالرحمة هي من الأسس المهمة التي يقوم عليها التعامل، تقوم عليها العلاقة في واقع المؤمنين، في واقع المجتمع المسلم، وأيضاً هي في موقع المسؤولية أكد، وأكثر أهمية، ولهذا أنت كعنوانٍ أوليٍّ في مقام التعداد للأسس، أسس العلاقة مع المجتمع من موقع المسؤولية، كيف تكون مشاعر موجودة في وجدان الإنسان، في قلبه، ثم تفيض هذه المشاعر في أدائه العملي، في سلوكياته، في تصرفاته، وأن يحذر، فلا يكون متوحشاً في موقعه في المسؤولية، متوحشاً في أسلوبه في التعامل

(١) الفتح: من الآية ٢٩

(٢) البلد: من الآية ١٧

(٣) آل عمران: من الآية ١٥٩

(٤) التوبة: من الآية ١٢٨



مع الناس؛ لأنه صار في منصب معين، أصبح له سلطة معينة، يكون حذراً من ذلك. وأتى التحذير بالتالي عن كل ما يمكن أن يؤثر سلباً على نفسية الإنسان، وعلى مشاعره، فيتحول إلى متوحش، عديم الرحمة، أتى التحذير من الغرور، والعجب، والكبر... وكل المؤثرات النفسية، التي تبعد الإنسان عن قيم الرحمة، ومشاعر الرحمة تجاه الناس، والرحمة بقدر ما هي مشاعر تكون مشاعر قوية في وجدان الإنسان؛ إنما لتتجلى أيضاً في سلوكياته، في أعماله، في تصرفاته من خلال اهتمامه بأمر الناس، عنايته بشأنهم، حرصه عليهم ألا يظلموا، ألا يقهروا، ألا يذلوا، ألا يضطهدوا، من خلال تأمله على معاناتهم وأوجاعهم، من خلال عفوه وصفحه في تعامله معهم عن كثير من الأمور التي يمكن فيها العفو والصفح... وهكذا تتجسد في الواقع العملي بشكل واضح.

ثم يقول عليه السلام:

((أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَنْ خَاصَّتْ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمَ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ))

مع قيم الرحمة في موقع المسؤولية، هناك أيضاً العدل، نحن مأمورون بإقامة القسط حتى على أنفسنا، مثلما قرأنا في الدرس الأول قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ (١)، فالإنسان في موقع المسؤولية، في منصبه، أو في سلطته، مهما كان موقعه، مهما

(١) النساء: من الآية ١٣٥

كان منصبه، لابدَّ أن يكون منصفاً، يبذل الحق من نفسه، إن صدر منه ظلم، أو خطأ، أو تجاوز، أو إساءة، لا يتكبر ويرفَع عن الإنصاف، ويأنف من الإنصاف، محتجاً بمنصبه، وأن ذلك سيقبل من أهميته، ومن هيئته، ومن مقامه، ومن منزلته لدى الناس، يجب عليه أن يكون منصفاً.

الإنصاف هو التزام إيماني، وأخلاقي، وإنساني، وله قيمته، التصور بأنه يحط من مكانة الإنسان، أو من مقام الإنسان، هو تصورٌ خاطئ، من وساوس الشيطان والشياطين: شياطين الإنس والجن، الذين قد يوسوسون للإنسان أن بذله الحق على نفسه ومن نفسه، أو من أقربائه وخواصه، أو ممن له بهم علاقة خاصة وارتباط خاص، أنه سيقبل من أهميته ومن مكانته، هذه وساوس شيطانية على الإنسان أن يحذر منها.

الله ﷻ هو الذي يمنح العزة، وهو الذي يمنحك أيضاً الود في قلوب عباده، ولذلك لا تكثر بوساوس الموسوسين أبداً، احرص على ألا تلوث نفسك، وألاً تُحمّل نفسك الأوزار، وكن أحرص الناس على أن تخلّص نفسك من أي مظلمة، وأن تنصف في أي مقامٍ يتطلب الإنصاف، وأن تبذل الحق، أن تكون حقانياً، إنساناً يبذل الحق على نفسه، من دون تردد، من دون أنفةٍ ولا كبرياء.

((أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ))

لأن البعض من الناس قد يحتمي به خواص أهله، أقرباؤه، أقرباؤه يستندون إليه، يستندون إلى منصبه، إلى موقعه، إلى سلطته، إلى نفوذه، فيمارسون الظلم بحق الآخرين، أو عليهم حقوق للآخرين، فيرفضون أن يؤدوا ما عليهم من الحقوق للآخرين، ويمتنعون بالاستناد إليه، إلى موقعه، إلى نفوذه، إلى سلطته، وهو يوفر لهم الحماية، ويؤمن لهم الحماية، فيكون شريكاً لهم في ظلمهم.

((وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ))

من تميل معه وتحبه، له بك ارتباط، وعلاقة خاصة، وعلاقة قوية، بأي شكل كانت هذه العلاقة، هي ارتباط استغله- ذلك الآخر- في أن يمارس ظلماً بحق الآخرين، أو أن يغمطهم من حقوقهم، وأن يرفض أداء حقوقهم، بالاستناد إلى حمايتك. فمسألة الإنصاف مسألة أساسية ومهمة؛ لأنها من العدل، من أهم ما في العدل الإنصاف.

((فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ))

البديل عن الإنصاف هو الظلم، إن لم تكن منصفاً، تكن ظلوماً، الظلم مسألة خطيرة جداً.

((وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ))

عندما تظلم أحداً من عباد الله، وأنت مستند إلى منصبك، وإلى سلطتك، وإلى نفوذك، وتأمين جانب أولئك المظلومين، تتصور أنهم لن يقدرُوا على أن يضروك، أو أن يأخذوا منك الحق، أو أن ينصفوا لأنفسهم منك؛ فتكون بالتالي جريئاً عليهم، وتكون غير مبالٍ بهم، فأنت قد ورطت نفسك ورطةً عظيمة، ورطةً كبيرة؛ لأنك أصبحت في خصومةٍ مع الله ﷻ، مع ربك رب العالمين، مع ملك السماوات والأرض، القوي العزيز، القهار الجبار، وأصبحت في وضعية خطيرة جداً؛ لأنك عرضت نفسك لغضب الله، لسخط الله، للانتقام الله، إذا كنت قد أمنت جانب مَنْ ظلمته؛ لأنه من المستضعفين، أو لأنك جريءٌ عليه، فأنت أصبحت في ورطةٍ كبيرة، عرضت نفسك للانتقام من الله ﷻ، سيكون هو الذي يخاصمك، والذي ينتقم منك، ولن تستطيع أن تحمي نفسك، ولا أن تقي نفسك من انتقامه، من سخطه، من غضبه، من عذابه، حالة خطيرة جداً على الإنسان.

((وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا، حَتَّى يَنْزِعَ وَيُتُوبَ))

من خاصمه الله، فلن يستطيع أن يفوز بالمعركة، ولا أن يقي نفسه من سخط الله، ولا أن يدفع عن نفسه عذاب الله، لا بالمبررات التي قد يسوقها ليبرر ما فعله، ليبرر عدم إنصافه، ليبرر ممارساته الظالمة، لا يمكن لأحد أن يغالط الله، أو أن يخبئ الحقيقة، ويغطي على الحقيقة ما بينه وبين الله ﷻ، الذي هو على كل شيء شهيد، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو المحيط بكل شيء علماً.

البعض من الناس مثلاً قد يستند فيما يمارسه من ظلم وهو في منصب معين، أو سلطة معينة، إلى التبريرات، وإلى الأدلة المزيفة، التي يحاول أن يقنع بها الآخرين، والحجج الملفقة، التي يسعى من خلالها لتبرير ما فعل، أو لتبرير امتناعه عن أداء الحق، قد يسوق التبريرات، والحجج الملفقة، والأدلة المزيفة، ولكن لا يمكنك أن تفعل ذلك مع الله ﷻ، ولا أن تغالطه، هو سيسقط ويبطل ويدحض حجتك وتبريراتك السخيفة، التي تحاول بها أن تغالط، أو تبرر.

((وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا))

كنت في حربٍ مع الله، أنت العبد الضعيف العاجز تكون في خصومة، وأصبحت مشكلتك لم تبق مع فلان، أو فلان، ذلك الإنسان الذي اعتبرته إنساناً بسيطاً، واستهنت به، وكنت جريئاً عليه؛ لأنه مستضعف، أصبحت مشكلتك مع الله ﷻ، هذا أمر خطير جداً على الإنسان، وبقيت في محل المؤاخذة والانتقام الإلهي، كنت في حربٍ مع الله ومشكلتك مستمرة، أنت مُعَرَّضٌ في كل لحظة لأن يأتيك الانتقام الإلهي، والعقوبة من الله ﷻ.

((حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ))

تقلع عن ظلمك، وتتوب إلى الله ﷻ، حتى تتوب إليه وتقلع عما أنت عليه من الظلم، أو الاستمرار في الامتناع من أداء الحق.

ولذلك عندما يكون الإنسان في موقع مسؤولية، في أي منصب، صاحب سلطة، في أي مجال من مجالات العمل، في القضاء، أو في الأمن، أو في الجيش، أو في الأعمال الإدارية الأخرى، المتعلقة بحقوق الناس، بشؤونهم، فأكبر محذور يحذر منه هو الظلم، ليكن متنبهاً لذلك، ليكن حريصاً كل الحرص على أن يقي نفسه، وأن يحافظ على نفسه من التورط في الظلم، فهو أكبر محذور في موقع المسؤولية، الظلم بكل أشكاله: في المجال الأمني، في مجال القضاء، في مجال القضاء الأمر خطير جداً، البعض من الناس يرتكب مظالم كبيرة من موقعه في القضاء، في أي منصب، في أعمال قد تستغلها للابتزاز المالي، أو أخذ حقوق الناس، أو أكل أموالهم بالباطل، أو أي شكلٍ من أشكال الظلم، ما تنال به الناس في أبدانهم، أو في حياتهم، أو في أمنهم، أو في أموالهم، في حقوقهم، في أعراضهم، الظلم خطيرٌ جداً.

كم في القرآن الكريم من آيات تحذر من الظلم! كم فيه من وعيد للظالمين! الله لعن الظالمين في القرآن الكريم: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(١)، معناه: أنه يطردهم من رحمته، كما لعن الشيطان، طرده من رحمته نهائياً، وأصبح ملعوناً، مطروداً من رحمة الله ﷻ، خاسئاً، مدحوراً، مذموماً، الظلم حالة رهيبية جداً وخطيرة، والوعيد شديد في القرآن الكريم للظالمين.

(١) هود: من الآية ١٨

((وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ، مِنْ إِقَامَتِهِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ))

الظلم عواقبه وخيمهٌ جدًّا في الدنيا وفي الآخرة:

- في الآخرة: نار جهنم، قبل ذلك سوء الحساب، ثم نار جهنم والعياذ بالله، وأن تخسر الجنة، أن تخسر رضوان الله، أن تخسر السعادة الأبدية، وتحبط كل أعمالك الأخرى، مهما عملت من أعمال أخرى، وأنت مصرٌّ على ظلم، ومقيمٌ على ظلم، لا يقبل الله منك شيئاً من أعمالك، لا من صلاتك، ولا من صيامك... ولا أي عملٍ من أعمالك.

- ثم إضافةً إلى ذلك: العقوبات العاجلة في الدنيا، الظلم كما قال عنه الإمام عليٌّ عليه السلام: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ، وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ، مِنْ إِقَامَتِهِ عَلَى ظُلْمٍ))، هو أول الذنوب وأكبر الذنوب في التسريع بزوال النعم، ونزول النقم والعياذ بالله!

فالإنسان إذا كان في نعمة، نعمة العز، نعمة اليسر في ظروفه المعيشية، نعمة المكانة المحترمة، نعمة الأمن، النعم المعنوية والنعم المادية، فالظلم سببٌ لزوال النعم، لأن يسلب الله منك نعمته، أن يغيّر نعمته عليك، بسبب استمرارك وإصرارك وإقامتك على الظلم، لم تتخلص، لم تتصف.

وأيضاً التعجيل بالنقم، التعجيل بنقم الله، بالعقوبات العاجلة، وهناك دروس عجيبة في التاريخ، في التاريخ المعاصر، والتاريخ الماضي، كيف كانت عاقبة الظالمين، البعض من الظالمين كانوا ملوكاً، أو كانوا رؤساء، أو كانوا سلاطين،

كانوا في مقام قوة، وتمكين، وسلطة، وقدرة مادية هائلة، ونفوذ كبير، وسيطرة، وجبروت، ومهابة في نفوس الناس، وباستمرارهم على الظلم، وإقامتهم على الظلم، ومبالغتهم في الظلم؛ خسروا كل شيء، وتغيّرت كل أحوالهم، وأذلمهم الله، وأخزاهم الله، وعوجلوا بالعقوبة الإلهية، بالانتقام الإلهي، كم من الملوك، من الزعماء، ممن كانوا يمتلكون قدرات ضخمة، وإمكانات كبيرة، وجيوشاً جرارة، وإمكانات مادية كبيرة، ونفوداً كبيراً في واقع الناس، ومهابة، وأنصاراً، وأحباء... وغير ذلك، خسروا كل شيء في نهاية المطاف.

((فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ))

الله هو رب الناس، وهو ملكهم، وهو الرحيم بهم، لا يتخلى عن عباده، لا يترك عباده، تتصور أنّ ذلك الإنسان المستضعف الذي كنت جريئاً عليه؛ لواقعه الضعيف، تتصور أنه إنسان هناك، ليس له من يهتم به، من يدفع عنه ظلمك، إساءتك، امتناعك من أداء الحق، فتكون بذلك جريئاً، ولا مبالياً، ومستهتراً، ومستتبساً للمسألة، [مَنْ هُوَ!]، فلا تكثرث به، ولا تأبه لحاله، تكون النتيجة خطيرة جداً، لا تنتبه أنك أصبحت في مشكلة مع الله، وخصومة مع الله، وأنّ الله سيؤاخذك وسيعاقبك.

ف نجد من القيم المهمة جداً، ومن أسس التعامل من موقع المسؤولية، إلى جانب الرحمة: العدل، الرحمة والعدل، من أهم ما في العدل: الإنصاف، بذل الحق، حتى من نفسك، وحتى من أقربائك، وحتى من أصحابك، وحتى ممن ((لَكَ فِيهِ هَوَى)) من تميل معه، من تربطك به علاقات خاصة، ((مِنْ رَعِيَّتِكَ)).

((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِنْحَافِ، وَأَقْلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُنْدَ الْمَنعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةِ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمَمْلِكْ مَعَهُمْ))

في التدبير لشؤون العمل، وأمور الناس، وفي برامج العمل، وسياسات العمل، وخطط العمل، يجب أن يكون ذلك مبنياً على أساس الاهتمام العام، الاهتمام بالناس بشكلٍ عام، بحسب مسؤوليتك، وبمستوى مسؤوليتك، هذا شيء مهم، لا تتوجه كل اهتماماتك إلى فئة محدودة من الناس، وتترك البقية، فئة محدودة من الناس، مثلاً: من تربطك بهم علاقة خاصة، وصدافة خاصة، فيتوجه كل اهتمامك نحوهم، وتتصل عن الباقيين، تترك الآخرين، ممن هم في نطاق مسؤوليتك، ولا تلتفت إليهم، أو فئة من أبناء المجتمع، تتصور أنهم هم الأهم، مثلاً: ينحصر كل اهتمامك نحو كبار المجتمع، الوجهاء مثلاً من المجتمع، فيتوجه كل اهتمامك نحوهم، كل دعمك لهم، كل ما تقدمه إليهم، وتترك بقية المجتمع، بقية الناس في نطاق مسؤوليتك.

لو اتجه الإنسان على هذا الأساس: أن يكون له أشخاص فقط محدودون يهتم بهم، يوجه كل اهتمامه نحوهم، ويترك البقية، فهي سياسة خاطئة وفاشلة،

وهي أيضاً من الحيف، من الجور؛ لأن الإنسان - وبحسب مسؤوليته، وبمستوى مسؤوليته - يجب أن يعمل بشكلٍ عام، أن يتوجه اهتمامه في خطه العملية، في تدبيره العملي، في اهتماماته الواسعة بشكلٍ عام، بقدر الاستطاعة والإمكان، وهذا يدخل في كل مجالات العمل:

- مثلاً: الاهتمامات الثقافية.
- مثلاً: الاهتمامات الخدمية.
- مثلاً: الاهتمامات فيما يتعلق بالإحسان، بحلِّ مشاكل الناس، بالاهتمام بشؤونهم وأمورهم.

وبحسب المسؤولية ومستواها، أن يكون هناك توجه عام، واهتمام عام، ولكن مع مراعاة الحق؛ لأن كل سياساتك، وتديريك، وتصرفاتك من موقع المسؤولية، يجب أن تعتمد فيها على الحق، ألا تتجاوز الحق من أجل استرضاء الناس، وأن تلاحظ **((أَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ))**، يعني: ما يعم الناس، ولكن مع مراعاة العدل، كلما عمَّ، وكلما كان أجمع، كلما كان على مستوى أوسع، يصل إلى نطاقٍ واسعٍ من الناس، فهو أهم، **((وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ))**؛ لأن رضاهم مهمٌّ جدًّا، ولكن في إطار الحق، والعدل، والرحمة، وإطار هذه القيم المهمة، بما لا يتجاوز الإنسان شيئاً منها.

((فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِيضَى الْخَاصَّةِ))

لو تمكَّن الإنسان من موقعه في المسؤولية أن يحوز رضا فئة محدودة من الناس، ممن أصبحوا خواصاً له، وعلى علاقة وارتباط خاص به، أو من أعيان ووجهاء المجتمع، ثم سخط عليه بقية الناس؛ فلا قيمة في واقع العمل لرضا تلك المجموعة المحدودة في مقابل السخط العام عليه.

سخط العامة، هو الأكثر تأثيراً، يؤثر على عملك، على نجاحك؛ لأن مسؤوليتك تتجه نحوهم، والتأثير إن كنت حسبت حساب التأثير، وتوقعت أن أولئك الذين اختصاصتهم باهتمامك، ووجهت إليهم كل عنايةك، أنهم من ذوي التأثير في الساحة، فأنت بذلك خسرت الأكثر تأثيراً، وهم الجمهور من الناس، الذين تأثيرهم أكبر، تأثيرهم في كل الأمور، حتى في مسألة نجاح العمل، واستقرار العمل، واستقرار الأمر بكل الاعتبارات، ولهذا قال: ((فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرِيضِي الْخَاصَّةِ))، يعني: يذهبُ به، يجعله لا قيمة له، مهما كان رضاهم عنك وهم قلة قليلة، ومجموعة محدودة، ماذا سيفعلون لك؟ يفقدون هم حتى التأثير في واقع الناس.

((وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ))

لأن تركيزك على الاهتمام العام، وتوجيهك للإمكانات والقدرات لإفادة الناس على مستوى أوسع وأعم، قد يسبب سخط الخاصة:

- إمَّا أولئك الذين كانوا قد تقربوا منك، وارتبطوا بك بعلاقات خاصة، يؤملون من خلالها أن يحصلوا منك على مكاسب مادية، وإمكانات ونفوذ.
- وإمَّا البعض مثلاً من أعيان المجتمع، الذين كانوا يؤملون أن يكون لهم اختصاص بالاهتمام بهم على حساب الناس، وأن تتوجه كل عنايةك نحوهم على حساب الناس، فقد يسخطون منك، ويستأوون منك.

ولكن لا يؤثر سخطهم شيئاً، عندما تكون الحالة السائدة في الواقع هي حالة الرضا، رضا الناس، رضا الجماهير بشكل أوسع، حالة الرضا من جانبهم هي الأهم، الأهم لنجاح العمل، الأهم لاستقرار الأمر، الأهم في معيار المسؤولية والعدل والحق، هي الأهم.

((وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ))

أثقل مؤونة؛ لأن الخاصة مطالبهم كثيرة، من ارتبطوا بك ارتباطاً خاصاً لأطماع، وأهواء، ومصالح شخصية، أو من بعض الجهات التي تصبح عندها هذه النظرة: أنها الأحق بكل شيء، وأن المفترض أن تحظى هي بالعناية الخاصة دون بقية المجتمع، ولا تفكر إلا بنفسها، هذه النوعية من الناس هم الأثقل مؤونة، يعني: كلفتهم كبيرة، ومطالبهم كثيرة، واحتياجاتهم كثيرة.

((وَأَقْلُ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ))

ومعونتهم قليلة؛ لأنهم لا يسخون بأن يقدموا، هم يرون لأنفسهم الحق في أن يحصلوا على كل شيء، وأن تُقدّم لهم كل الإمكانيات، وأن يحظوا بعناية خاصة، ولا يرون على أنفسهم الحق أن يقدموا، أن يبذلوا، أن يعطوا، أن ينفقوا، فهم أقلّ معونة:

- على مستوى التّقدّمة في المال، في الإمكانيات.
- أو الجهد العملي، في المواقف المهمة التي تستدعي التحرك الجاد والتضحية، يرون أنفسهم هناك بعيداً.

((وَأَكْرَهُ لِلْإِنصَافِ))

عادةً ما يكونون ممن يكرهون الإنصاف من أنفسهم؛ لأنهم يرون لأنفسهم الامتيازات الخاصة، والحق في أن يكون لهم خصوصية في كل شيء، وأنهم أرفع من بقية المجتمع، وأهم وأعظم شأنًا؛ وبالتالي يأنفون من الإنصاف، ويتكبرون من الإنصاف.

((وَأَسْأَلُ بِالْإِنْحَافِ))

يعني: بالإلحاح الشديد؛ لأنهم يسألون بتأكيد وضغط، وأيضاً من واقع شعورهم وتصورهم أنهم يستحقون كل شيء.

((وَأَقَلُّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ))

لأنهم يعتبرون لأنفسهم الحق في كل شيء، فإذا أُعْطُوا؛ لم يشكروا، أو كان شكرهم قليلاً، يعني: لا يرون لك جميلاً فيما تعطيهم، يعتبرون أنفسهم يستحقون أكثر مما تعطيهم أصلاً.

((وَأَبْطَأُ عُدْرًا عِنْدَ الْمَنَعِ))

فهم لا يتفهمون الظروف، يعني: حتى لو اعتذرت إليهم بأن هناك - فعلاً - ظروفاً حقيقية، وفي الواقع - مثلاً - هناك ظروف صعبة، وواقع صعب، لا يتفهمون الظروف أبداً، ويسخطون عليك.

((وَأَضْعَفُ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ))

عندما يكون هناك أحداث كبيرة، أو تحديات كبيرة، أو مخاطر كبيرة، أو شدائد كبيرة، فهم أضعف الناس صبراً عند ذلك.

ليس هناك في هذه المواصفات كلها: أثقل مؤونة، يعني: كلفة، أقل معونة، أكره للإنصاف... إلخ. (مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ)، فليسوا في عطائهم، ولا في دورهم، ولا فيما يقدمون بمستوى غيرهم من الناس، هذه مشكلتهم، يرون لأنفسهم الحق قبل كل الناس، ولكنهم ليسوا في مستوى بقية الناس في أن يروا على أنفسهم الحق وأن يسهموا.

فهذه النظرة وهذا التقييم مهم؛ لأن الإنسان قد يتصور أنهم هم أهل التأثير، والذين ينبغي الاعتماد عليهم، والذين ينبغي التعويل عليهم، والأمل فيهم، وبناءً على ذلك يوجّه إليهم كل الإمكانيات، ويترك الناس، ويوجّه إليهم كل الاهتمام، ويقصّر في حق الناس، فتكون النتائج معكوسة، عندما تأتي الأحداث، أو التحديات، أو الأخطار، يكونون هم أقل الناس اهتماماً، أقل الناس مساندةً، أقل الناس عطاءً وتضحيةً، والناس غيرهم الأجدر منهم بالاهتمام، والذين ينبغي أن يعتمد عليهم، ولهذا قال:

((وَأِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ))

جماهير الأمة، الناس، المجتمع، عليهم يعتمد في إقامة الدين، بجهودهم، بعطائهم، بتضحيتهم، بجهادهم، بمواقفهم، وهم الرصيد العظيم؛ لأنهم جماهير واسعة، تستطيع أن تعتمد عليها في المواقف الكبيرة، والتحديات الكبيرة، والأخطار الكبيرة، بدلاً من أن تعتمد على مجموعة بسيطة، أو فئة محدودة من الناس، تؤثرها بكل شيء على حساب الآخرين.

((وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ))؛ لأن المجتمع يُعتمد عليه، عنده قدرة أكثر، تحمل أكبر، عطاء أوسع، في التصدي للأعداء.

((الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ))؛ كن قريباً منهم، بحيث تسمع لهمومهم، لمشاكلهم، تهتم بهم، ترعاهم أكثر، تتفاعل معهم أكثر، ((وَمِيلُكَ مَعَهُمْ)).

((وَلَيْكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تَحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ))

في تعاملك مع ما يرفع إليك من مساوئ الناس، البعض لديهم طبيعة: يحبون دائماً أن يتتبعوا عورات الناس، معائب الناس، مساوئ الناس، وينقلوها، ويرتاحوا بذلك، طبيعة لدى البعض، يرتاح في أن ينقّب، أن يبحث بحثاً دقيقاً حتى، لمعرفة عيب هنا، أو خطأ هناك، ويأتي ليرفعه إليك، وأنت في موقع المسؤولية إذا تعاملت مع كل ذلك بتفاعل، وتقرّب هذه النوعية من الناس، وتشجّعهم، فهو أسلوبٌ خاطئ، لا تشجّع هذا النوع من الناس.

البعض الآخر يتصور أنها طريقة عمل صحيحة، يعني: أن المسؤولية تفرض عليه أن يهتم بهذا الشكل، بهذه الطريقة من الاهتمام، أن ينقّب، أن يبحث بكل دقة ليستخرج العيوب والمساوئ، وليعثر عليها.

وبالعوض من الناس يندفع إلى ذلك بدافع انتقامي، يعني: لديه رغبة في أن ينتقم، وأن يصفى حسابات من أشخاص معينين، أو أسر معينة، وهو يعرف أنك لن تتفاعل مع رغباته الشخصية، أو مع قضايا الشخصية، التي ليس فيها ما يبرر أن تعاقب أولئك من أجله؛ وبالتالي يبحث لهم عن عيبٍ آخر، عن مشكلةٍ أخرى، يحاول أن يستفزك من خلالها لتعاقبهم، ودافعه إلى ذلك هو حب الانتقام، دافعه مشكلة أخرى، قضية أخرى، وهذا يحصل في الواقع، تصفية الحسابات، أساليب الانتقام من خلال الوشائيات، من خلال البحث عن قضايا

أخرى، كثيراً ما يحصل ممن يتوجهون ويسعون للانتقام الشخصي بهذا الأسلوب، وبهذه الطريقة.

فعندما يكون الإنسان في موقع المسؤولية يكون حذراً متنبهاً من هؤلاء الناس، لا يقربهم، لا يعتمد عليهم، لا يشجعهم على هذه الأساليب؛ لأنه ليس المطلوب نبش وإخراج المعائب والمساوي.

مسؤولية الإنسان في موقع المسؤولية أن يسعى لتطهير ما ظهر منها، أما ما لم يظهر، فليحاول أن يستر، وليحاول أن يعالج بطريقة أخرى؛ لأن الإسلام لا يعتمد على أسلوب العقاب كأسلوب وحيد في إصلاح المجتمع، وفي تقويم سلوك المجتمع، الإسلام يعتمد أسلوب التربية بشكل أساسي، وبشكل كبير، التربية الإيمانية والقيمية والأخلاقية، وكذلك التعليم الصالح المفيد، والمعالجات بطريقة اجتماعية، بأساليب متنوعة وحكيمة، والأسلوب العقابي هو الحالة الاستثنائية عند الضرورة القصوى، فما ظهر؛ يجب أن يكون الموقف منه موقفاً حاسماً، وما كان خفياً؛ فليس المطلوب التنقيب عنه، والبحث عنه، والاستخراج له بكل وسائل التبصير والتنقيب.

((فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ))

لأنه من المهم أن تكون الأجواء العامة أجواء خير، لا تتحول كل السلبيات إلى ظواهر تطغى في الساحة في حديث الناس، للأسف في هذا الزمن مع مواقع التواصل الاجتماعي يحصل خلل كبير في هذا الجانب، بل افتراءات، وليس فقط إخراج البعض من مساوي الناس الخفية، وإظهارها إلى العلن، بل الافتراءات، افتراء الكثير والكثير مما ليس له وجود أصلاً، ولذلك يكون الإنسان حذراً في هذه الأمور.

هو يقول هنا:

((فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ))

لأن كل إنسان فيه نقص، وعنده أخطاء، حتى أنت أنت في موقع المسؤولية، عندك نقص، وفيك أخطاء، يعني: لديك جوانب أنت مقصرٌ فيها، عندك أخطاء، فالله يستر عنك، ويعينك على إصلاح عيوبك، على إصلاح نفسك، عندما تستر عباده.

((أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، واقطعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ))
((أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ))

أنت من جانبك لا تعبئ نفسك بالعقد على الناس، ولا تتعامل معهم من واقعٍ نفسيٍّ معقدٍ عليهم، اسعَ لأن تكون نفسك صافية، لتتعامل مع الناس بنفسيةٍ ومشاعر صافية، وليست مشاعر معقدة؛ لأن هذا يؤثر على أسلوب الإنسان، على طريقة عمله مع الناس، من موقعه في المسؤولية.

ثم في واقع الناس أنفسهم، احرص أن يكون أداؤك العملي سليماً صحيحاً، لا ينتج الإشكالات بشكلٍ دائم، البعض مثلاً طريقتهم في العمل طريقة خاطئة، ليس فيها حكمة؛ لأنه مطلوب الرحمة، والعدل، والحكمة، في أسس التعامل مع المجتمع، أن تجمع (الرحمة، والعدل، والحكمة أيضاً) في أسلوب العمل وطريقة العمل، البعض من الناس أسلوبهم في العمل أسلوبٌ صداميٌّ، وإشكاليٌّ، واستفزازيٌّ، يستفز الناس في كل عمل، طريقتهم في العمل حتى لو كان العمل في أصله عملاً صحيحاً، أو عملاً مطلوباً، لكن طريقتهم في تنفيذ ذلك العمل استفزازية، ومسيئة، وتبعث في نفوس الناس حالة الاستياء والسخط.

فيجب أن تكون الطريقة في أداء العمل حكيمة، لا تستثير الناس قدر الإمكان، لا تستفزهم، البعض من الأعمال تحتاج إلى تهيئة، إلى توضيح، إلى تبين، البعض من الأعمال طريقة التنفيذ لها فيها خيارات متعددة، وقد يكون هناك من الأساليب ما يضمن التنفيذ من دون استفزاز، وأسلوب آخر مستفز، فاترك الأسلوب المستفز، ونفذ بتلك الطريقة التي لا استفزاز فيها.

أيضاً عالج كل الأحقاد الموجودة، إذا كان هناك أحقاد نتيجة تصرفات معينة، مشاكل معينة، ابذل جهدك ووسع إلى أن تحل تلك العقد، لا تترك الحالة العامة تتحول إلى حالة مملوءة بالسخط، ومحتقنة بالتذمر، هذا متذمر، وهذا ساخط، وهذا مستاء، وهذا معقد، وهذا... ابذل جهدك، حلل العقد، الإشكالات التي لها حلول معينة اعمل على حلها، طريقة العمل تكون حكيمة، بما تتلافى فيها الكثير من الأساليب الاستفزازية والصدامية، وحاول أن تحل الإشكالات القائمة بقدر الاستطاعة.

وليس معنى ذلك أن كل الناس سيرضون عنك، الإنسان مهما كان عمله قائماً على أساس الرحمة، والحكمة، والعدل، لن يرضى عنه كل الناس، سيبقى هناك من هو ساخط، (رضى الناس غاية لا تدرك) أن يرضى عنك الجميع، هذا أمر صعب جداً، خاصة في هذا الزمن، الذي يتحول واقع المجتمع إلى واقع مقسم في الأساس، بخلفيات سياسية تصبح هي مصدر للتعقيد، أو عقائدية تصبح هي سبب للعقدة، لكن للحكمة والرحمة والعدل الأثر في الجمهور، في أكثر الناس، أوسع مساحة من الناس من المجتمع سيكون لهذا الأثر الطيب في نفوسهم، وستفهمون عملك ودورك، وسيعينونك في القيام بمسؤوليتك، وسيكون لهذا أثر إيجابي على مستوى واسع.

((وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرٍ))

كل أسباب العداوات ابذل جهدك في ذلك، إن كانت مشاكل قائمة في الواقع، اعمل على معالجتها، إن كانت تصرفات خاطئة، حاول أن تصححها، اسع لأن تكون منصفاً، اسع لأن يكون موقفك الحق واضحاً، أحياناً قد يكون هناك أيضاً نشاط سلبي في الساحة، نشاط سيء، فيه أكاذيب، فيه افتراءات، فيه تعقيد للناس، يجب أن يقابل ذلك بتوضيح، بقرب من الناس، مع المعالجات العملية لما كان من أخطاء حقيقية، الأخطاء الواقعية يجب التوجه الجاد والصادق والناصح لمعالجتها بكل جهد، وما زاد عن ذلك بسبب افتراءات وأكاذيب يسهل تنفيذها، يسهل إيضاح الحقيقة للناس، لا تحتفظ بالمشاكل والعقد، وتترك الساحة تتعباً بالاحتقان، والتذمر، والمشاكل، والاستياء، وتجاهل مشاعر الناس تقول: [عادي، من سخط سخط، من غضب غضب]، لا، هذه مسألة خطيرة جداً.

ميدان عملك، ميدان مسؤوليتك هم الناس، مسؤوليتك تتجه نحوهم، مسؤوليتك تتعلق بهم، فلابد أن تكون العلاقة بينك وبينهم علاقة إيجابية، وأن تبذل الجهد في ذلك، وأن تحرص على معالجة تلك الإشكالات، وإلا سيكون لها نتائجها السلبية فيما بعد، البيئة التي هي محتقنة، مملوءة بالتذمر والاستياء، يمكن أن تتحول إلى بيئة يشتغل فيها العدو، يفرق كلمة المجتمع، يثير الفتن، يشعل نيران الفتنة في أي وقت، ويكون لذلك تأثيرات سلبية.

((وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ))

يعني: تغافل، تغافل عن كل الأمور التي ليست واضحة، لا تتعجل في التعامل مع الأمور التي ليست مؤكدة، واتخاذ إجراءات قد تسبب مشكلة كبيرة، ويتضح أن الموضوع لم يكن كما ظننت، أو كما ظنه البعض، فأبني كل

أمورك على أساسٍ صحيح، وعلى بصيرة، وعلى يقين، وعلى وضوح، وعلى تأكيد، ولا تحاول أن تفتح مشكلة في موضوع ليس مؤكداً، ولا واضحاً.

((وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ))

من يسعى بالآخرين، يشي عليهم، النمامون الذين دائماً يحرصون على أن ينقلوا إليك ما يستفزك ويثيرك على الآخرين، لا تتعجل بتصديقهم، واتخاذ إجراءات بناءً على نقلهم، أول ما تفعله هو التحقق والتبين، هذه الخطوة الأولى تجاه ما ينقل إليك: أن تتحقق، أن تتبين، أن تتأكد، إذا استخدم الإنسان هذه الطريقة، فستفادي الوقوع في كثيرٍ من المشاكل والمظالم؛ أمّا إذا كان الإنسان متسرعاً عجولاً، وبالذات عندما يستفز؛ لأن البعض قد ينقل إليك ما يستفزك جداً، والبعض قد يكون أيضاً بارعاً في طريقة النقل، هذه مسألة ملحوظة، البعض أيضاً متقن لأن يستفزك، وأن يثير أعصابك، وأن يثير انفعالك، عنده خبرة، يعرف كيف يتخاطب معك، كيف يقدم الموضوع إليك، بطريقة- على ما يقولوا- يولّعك، هذه قضية خطيرة جداً.

فعلى الإنسان في موقع المسؤولية أن يكون معتمداً بشكلٍ أساسي على التبين، ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾^(١)، ﴿إِنْ جَاءَ كُرْهُ فَاسْقُ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا﴾^(٢)، أن يتبين، أن يتأكد، ألا يتسرع، ولا يستعجل باتخاذ إجراء قد يكون ظلماً، قد يكون من نقل إليك نقل إليك أمراً لا أساس له من الصحة، أو قد يكون زاد فيه، وبالغ كثيراً، حتى قدّم المسألة كبيرة جداً، ومستفزةً غاية الاستفزاز، فكن حذراً.

(١) النساء: من الآية ٩٤

(٢) الحجرات: من الآية ٦

((وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهُ
بِالنَّاصِحِينَ))

الذي يسعى دائماً يعجبه أن ينقل المعائب، وأن يثير الآخرين، هو في واقع الحال غاشٌّ، يعني: ليس ناصحاً، لا تظن أنه من دافع اهتمامه وحرصه بادر ينقل إليك ما ينقله عن الآخرين، ما يشي به على الآخرين، وفي واقع الحال ((غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهُ بِالنَّاصِحِينَ)).

طبعاً سيأتي في نفس العهد (عهد الإمام علي إلى مالك الأستر)، كيف يكون هناك مثلاً نظام يعتمد الإنسان فيه على أشخاص موثوقين، صادقين، ليس لهم مشاكل مع الناس، ويسعون لتصفية حساباتهم مع الناس في نقل الحقيقة، يعتمد عليهم في نقل الحقيقة، في التثبت، في التبين، في التدقيق في الواقع العام، في أداء المسؤولين... إلى غير ذلك، ((فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهُ بِالنَّاصِحِينَ)).

((وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا، يَعْذِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ،
وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا، يُضَعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا،
يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ، وَالْجُبْنَ، وَالْحِرْصَ،
غَرَائِزُ شَتَّى، يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ))

التشاور مسألة مهمة جداً في أداء المسؤولية، والله يقول لنبية ﷺ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١)، يقول عن المؤمنين: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى يَدِينَهُمْ﴾^(٢)، التشاور مهم ومفيد، ولكن على من تعتمد في مشورتك؟ من الذين

(١) آل عمران: من الآية ١٥٩

(٢) الشورى: من الآية ٣٨



تستشيرهم؟ هناك معايير ومحاذير، قدّم المحاذير؛ لأنها كافية في أن تتنبه.
يقول: **((وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا))** لا تعتمد في التشاور على
بخيل؛ لأنه كما قال الإمام عليٌّ عليه السلام:

((يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ))

فيثبطك عن كثيرٍ من الأمور المهمة، التي فيها فضل، وفيها نجاح، وفيها
خير، وأحياناً قد تكون من ضروريات الأمور، ولكنها تحتاج إلى إنفاق، تحتاج إلى
تمويل، وهو بخيل، مهما كان أهمية الموضوع، أو مهما كان فضله، سيثبطك عن
ذلك، وسيشير عليك بأن تترك ذلك؛ بسبب بخله، **((وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ))**: دائماً
يخيفك من الفقر، ويخيفك مما تقدم وتبذل.

((وَلَا جَبَانًا))

لا تعتمد على الجبان في المشورة.

((يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ))

لأنه سيخوفك، ويرجف عليك، ويهول عليك، وبعض الأمور تحتاج إلى جرأة،
وقوة، وشجاعة، وتوكل على الله تعالى.

((وَلَا حَرِيصًا، يُزِينُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ))

الحريص الذي يجمع بين البخل والطمع، بخيلٌ طماع، فهو: (طَمَّاع): يريد أن
يحصل على الشيء بأي وجه، بأي طريقة، حتى لو كانت ظلماً وجوراً، (وبخيل):
فيما قد توفر، لا يريد عطاءه ولا إخراجه، فالحريص كما قال: **((يُزِينُ لَكَ
الشَّرَّ بِالْجَوْرِ))**، ويزين لك أن تكون شراً في طريقة الحصول على الأموال
حتى بالطرق الخاطئة، بالأساليب والوسائل التي تعتمد عليها في استخراج المال،
والحصول على المال والإمكانات، وهي ظالمة، تأخذ المال بغير حق، بما فيه ظلمٌ

للناس، يزين لك ذلك، ويقنعك بذلك، ويبرر لك ذلك، وسيملك من أساليب التبريرات والتلفيقات ما قد يقنعك بذلك، فاترك هذا النوع من الناس، لا تعتمد عليهم في مشورتك.

((فَإِنَّ الْبُخْلَ، وَالْجُبْنَ، وَالْحِرْصَ، غَرَائِزَ شَتَّى، يَجْمَعُهَا سُوءُ

الظَّنِّ بِاللَّهِ))

البخيل: هو سيء الظن بالله، لا يثق بوعده الله القائل: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١)، إضافةً إلى الكثير من الآيات المباركة، التي وعد الله فيها بالبركة، والخير، والرزق، لمن ينفق.

الجبان: هو سيء الظن بالله، لا يثق بوعده الله بالنصر، ولا بوعده الله بالعون والتأييد. والحريص (الذي جمع بين الطمع والبخل): لم يثق بأن الله سيرزق، وسيمن، وأن فضل الله واسع، وأن العطاء في محله سببٌ للحصول على الفضل من الله، وعلى الخير من الله، سببٌ للبركة من الله ﷻ.

كل أولئك جمعوا تلك الغرائز السيئة، والتي هي نتاجٌ لسوء الظن بالله ﷻ.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛



درس من

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الصفحة: ٨٧

الدرس: الرابع

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبين، وأشهدُ
أنَّ سيدنا محمدًا عبدهُ ورسوله خاتمُ النبيين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، وباركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ، كما
صَلَّيْتَ وبارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنك حميدٌ مجيدٌ، وارضَ اللهم
برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ،،

في سياق الحديث عن الأسس الإيمانية في التعامل مع المجتمع من موقع
المسؤولية، سبق لنا الحديث عن الرحمة، والمحبة، واللطف، والإحسان، والعدل،

والحكمة؛ باعتبار هذه قيم أساسية، وأتى في سياق الحديث عن ذلك البعض من التفاصيل المهمة، التي سبق الحديث عنها.

ثم انتقل الحديث عن المحيط العملي، الذين يَعْتَمِدُ عليهم من هو في موقع المسؤولية، بدءاً بالمستشارين، وأتى التحذير من نوعية معينة من المستشارين، ممن ليسوا جديرين ولا مؤهلين بالاعتماد عليهم في المشورة، وأتى التفصيل في ذلك عن البخيل، والجبان، والحريص، الذي يجمع بين الطمع والبخل؛ باعتبارهم من أسوأ من يمكن أن يعتمد عليهم في الاستشارة، فتكون النتيجة سلبية في حالة الاعتماد على مشورتهم.

ثم الآن وصلنا في سياق الحديث عمَّن هم في موقع المسؤولية التنفيذية، الذين يُعْتَمَدُ عليهم، من هم في موقع المسؤولية، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ:

((إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا، وَمَنْ شَرِكُهُمْ فِي الْآثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْآثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنِ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ، أُولَئِكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَحْسَنُ عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُ لِعَيْبِكَ إِنْفَاءً))

الإنسان عندما يصل إلى موقع المسؤولية، قد يتصور أنَّ من الحكمة أن يعتمد على البعض ممن لهم سابقة في التجربة، والعمل في موقع المسؤولية؛ باعتبار أنهم أصحاب خبرة، وأصحاب تجربة، ويمتلكون حسن التدبير، والرأي، والقدرة

على إنجاز الأعمال والمهام، بحكم سابق تجربتهم الطويلة، ولكن عندما يكون البعض منهم فيما مضى كان معاوناً للأشرار في شرهم، في ممارساتهم الظالمة، في ارتكاب الجرائم، وأصبح له رصيد إجرامي، فهو كان ممن يعتمدون عليه في الوصول إلى أهدافهم، وفي تنفيذ جرائمهم، وفي ارتكاب المآثم، فتكون نفسيته قد تلوثت، وأصبحت منطلقاته للعمل وأداء المسؤولية منطلقاً تشوبها الأطماع الشخصية، والمكاسب الشخصية، والأهداف الشخصية، ويكون أيضاً في واقعه العملي جريئاً على ارتكاب المآثم، جريئاً على ممارسة الظلم؛ وبالتالي ليس مؤتمناً في أداء المسؤولية، لا من حيث الحذر من الظلم، والحذر من المفاسد، والحذر من ارتكاب الآثام، ومن الاستغلال السلبي لوظيفته ومنصبه، فهو قد تعود أساساً على أن يكون منصبه وسيلةً لتحقيق الأهداف الشخصية، حتى لصالح الظالمين والمجرمين، وارتكب في سياق ذلك الجرائم والآثام، وأصبح- إضافةً إلى كونه غير مؤتمن على أداء المسؤولية- مُشَوَّهاً ومُشَوَّهاً، معروفاً بين المجتمع برصيده الإجرامي والسيئ، برصيده في الفساد، بممارساته السيئة؛ وبالتالي يصبح مُشَوَّهاً، إضافةً إلى أنه لا يوثق به، ولا يُعتمد عليه.

((وَمَنْ شَرِكُهُمْ فِي الْآثَامِ))

من كان أيضاً شريكاً للظالمين والطغاة والمجرمين في ارتكاب الجرائم، والمظالم، والمفاسد، قد تلوث بذلك، وفسدت نفسيته بذلك، وأصبح جريئاً على ارتكاب المظالم والمفاسد، ليس له وازعٌ من الإيمان، ولا من الدين، ولا من الحياء، وليس عنده إحساسٌ بالمسؤولية، يمكن أن يساعد على استقامته، وعلى نصحه، وعلى مصداقيته في أداء مسؤولياته، فمثل هذه النوعية الملوثة، التي قد تعودت على ارتكاب الظلم، على ارتكاب الجرائم، قد غرقت في الفساد، وارتكاب الآثام، لا ينبغي الاعتماد عليهم في موقع المسؤولية بشكلٍ أساسي، ولهذا قال:

((فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً))

لا يكونوا هم خواصك، المقربون منك، الذين تعتمد عليهم اعتماداً أساسياً، تحت عنوان أنهم: أصحاب التجربة، وأصحاب الخبرة... وغير ذلك من المبررات.

((فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ))

كانوا من يتعاونون على الإثم، وارتكبوا الآثام، وتلوّثوا بذلك، وفسدوا بذلك، فسدت نفسياتهم، فسدت منطلقاتهم في أداء المسؤولية والعمل، لا يمكن الوثوق بهم؛ وبالتالي ليسوا مؤتمنين فيما يُعتمد عليهم فيه.

((وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ))

كانت ارتباطاتهم بالظلمة ارتباطات أخوة، وولاء، وتعاون، بتوجهٍ جاد، لديهم ارتباط حميم بالظلمة، فمارسوا معهم الظلم، وارتكبوا معهم الجرائم، وأصبحوا على علاقةٍ وارتباطٍ وثيقٍ بهم؛ ولذلك فهم ليسوا مؤتمنين في واقع المسؤولية نفسها، ولا مؤتمنين في ولاءاتهم وارتباطاتهم، التي قد تستمر فيما بعد، وتكون عاملاً من عوامل أن يغشوا في أدائهم المسؤولية، ألا يؤديوا مسؤولياتهم بنصح، بصدق، بإخلاص، فولأؤهم مدخول بتلك الارتباطات مع الظالمين والسيئين.

((وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ، مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ))

إذا كان ما يشدك إليهم ما عرفوا به من الخبرة والتجربة في مواقع المسؤولية، فأنت واعدٌ من هو خيرٌ منهم، ومن هو سليمٌ من سلبياتهم، وسيئاتهم، ومساوئهم، ليس متلوّثاً بالجرائم والمفاسد، وغارقاً في الآثام، تجد من يمتلك حسن التدبير، والإصابة في الرأي، وحسن التصرف، والقدرة على الإنجاز العملي، هناك من يتوفر، مثل هذا النوع كثير، قد يكون الإنسان إمّا بسبب معرفته المحدودة يجهل الكثير من هذا النوع، ولكن يمكن أن يكون هناك آليات عملية

تساعد على معرفة هذا النوع من الناس، الذي يمتلك مع الخبرة نظافة الماضي، ليس ملوثاً بالجرائم، بالمفاسد، بالآثام، بالمساوي.

((مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ)): يمتلك حسن التدبير، والإصابة في الرأي، وحسن التصرف، والقدرة الإدارية، والقدرة على الإنجاز العملي ((وَنَفَازِهِمْ)).

((وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ، وَأَوْزَارِهِمْ، وَأَثَامِهِمْ))

ليس ملوثاً بالمفاسد، والمظالم، والجرائم، والأشياء السيئة، بكل ما لها من تبعات، بكل ما لها من تأثيرات سيئة في نفس الإنسان، في أعماله، في منطلقاته، في توجهاته، في سمعته في أوساط المجتمع.

((وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ، وَأَوْزَارِهِمْ)): ليس محملاً بتلك

الأحمال السيئة، بذلك الماضي السيء، بذلك الرصيد السيء الملوث، الذي له تبعات، له تأثيرات حتى في واقع الناس، الناس يتذكرون عنه ما فعله بهم من المظالم، ما ارتكب بحقهم من الجرائم، ما فعله تجاههم من التصرفات السيئة... إلى غير ذلك.

((وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ، وَأَوْزَارِهِمْ، وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ

يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ))

لم يشترك ويشارك المظالم والمفاسد والجرائم، نزيه عن ذلك، ليس له رصيد إجرامي يذكر به ويعرف به.

((أَوْلَيْكَ)): هذا النوع النظيف، الذي ليس ملوثاً بالجرائم والفضائح.

((أَوْلَيْكَ أَحْفُ عَلَيْكَ مَثُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً))

ليسوا ثقلاً عليك، لا من حيث تشويهم، ولا من حيث طريقتهم في العمل؛ لأن النوع الذي قد تلوث بالجرائم، والمظالم، والمفاسد، وفسدت نفسيته، وفسدت

منطلقاته وأهدافه، يتحرك عندما يؤدي عملاً معيناً وهو مركز على المكاسب الشخصية، والطلبات الشخصية، والأهداف الشخصية، وأيضاً ليس أداؤه أداءً سليماً ونظيفاً؛ لأنه تعود على طريقة سلبية في العمل مشوبة بالشوائب السيئة، ليست طريقة سليمة نظيفة، فيها الشوائب التي اعتاد عليها، من الابتزاز المالي، من الاستغلال الشخصي، من الأداء الذي هو ملوث، بما قد اعتاد عليه في كل ماضيه، فهي مسألة سلبية.

أمّا النوع النظيف فهو أخف عليك مئونة، أداؤه هو أداءً سليم غير ملوث، وليس ثقيلًا عليك، بالطلبات، والأهداف، والمكاسب الشخصية، والميزانيات الضخمة، التي قد اعتاد على أن يربطها بمكاسب، ومصالح... وغير ذلك.

((وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً))

لأن معونته بصدق، وإخلاص، ونقاء، وجد، واهتمام.

((وَأَخْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا))

لأنه حريصٌ على نجاحك، ويتفهم ظروفك، ويشاطرك همك، ويتألم لألمك، قريبٌ منك في الاهتمامات، في التوجهات، في الموقف، في العمل.

((وَأَقَلُّ لِبَغَيْرِكَ إِفْضًا))

ليس له ارتباطات وولاءات بعيدة هناك، وبالتالي تؤثر عليه سلباً في أدائه العملي؛ لأنه بدافع تلك الولاءات والارتباطات البعيدة قد يسعى لإفشالك أصلاً، قد لا يريد لك النجاح.

أمّا هذا النوع النظيف، فهو بعيدٌ عن هذه الارتباطات، وبالتالي ارتباطه بك، ويحرص على نجاحك.

((فَاتَّخِذْ أَوْلِيَّكَ خَاصَّةً))

هذا النوع النظيف، الصالح، المستقيم.

((فَاتَّخِذْ أَوْلِيَّكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ))

اجعل منهم هم الذين تعتمد عليهم اعتماداً أساسياً، اجعل منهم الخاصة:

(في خلواتك): يعني: في اجتماعاتك الخاصة، التي تدرس فيها الأمور المهمة، والأمور الحساسة، والأعمال الأساسية، والقضايا التي تحتاج إلى اهتمام خاص.

(وَحَفَلَاتِكَ): في مناسباتك العامة، وفي القضايا الكبرى، والقضايا العامة.

فمثل هذا النوع النظيف، الناصح، الصادق، الذي يمتلك حسن التدبير، إصابة الرأي، مع الإخلاص، مع الصدق، مع النزاهة، هم من يمكن أن تعتمد عليهم في الأمور المهمة والحساسة، والمهمات ذات الخصوصية في كونها حساسة، أو مهمة جداً، أو غير ذلك، وفي الأمور البارزة، والحفلات والمناسبات العامة، والقضايا الشاملة.

((ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ))

ليكن الأثر عندك، والأقرب منزلةً إليك، والأكثر اعتماداً من بينهم، هو الأنطق بالحق، في كل الحالات، في كل المواقف، في كل الأمور، الأنطق بالحق، الذي يقول لك الحق في كل الأحوال، حتى لو كان مرراً، حتى لو كان لا يعجبك بحسب مزاجك الشخصي؛ لأن هذا هو الأنصح، هو الأصدق معك، عندما يقول لك الحق في كل الأحوال، ليس مشغولاً بأن يجمالك في بعض الأمور، فلا يقول لك الحق؛ من أجل مراعاة مشاعرك ومزاجك الشخصي.

((وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ، مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ،
وَأَقْعَا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ))

لأنه الأكثر حرصاً على أن تكون الأمور وفق ما يريد الله ﷻ، ومعنى هذا: أنه الأنصح، والأصدق؛ لأن المعيار عنده معيارُ إيماني، قائمٌ على أساس تقوى الله ﷻ، والإخلاص لله، والصدق مع الله ﷻ، فلذلك هو الجدير بالثقة به أكثر، والاعتماد عليه أكثر؛ لأن البعض من الناس مثلاً قد يعجبه الأكثر مجاملةً، والأكثر مسaireً معه، ممن يوافقه في كل شيء، في كل رأي، في كل تدبير، في كل قرار، في كل موقف، بغض النظر عن صوابيته، أو عدم صوابيته، يسايره ويجامله في كل شيء، فيرتاح له؛ بينما قد يستاء ممن يصدق معه، في الأمور التي هو فيها خاطئٌ ينهه، هذه من المحبة، هذه من دلائل الإخلاص والصدق، عندما يصدق معك في كل الأحوال، في كل الأمور، ويحرص عليك أن يكون عملك وفق ما يرضي الله ﷻ، وأن تكون بعيداً عما كره الله لأولياؤه، عن الأعمال السيئة، عن الأخطاء، التي لها تأثيرها السلبي ما بينك وبين الله ﷻ.

((وَأَقْعَا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ))

لا تركز على مزاجك الشخصي، وتجعله هو المعيار والمقياس في مسألة القرب منك، وفي مسألة الثقة والاعتماد على محيطك العملي، وعلى أعوانك، والذين تعتمد عليهم في موقع المسؤولية.

((وَالصَّق بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ، وَلَا يُبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزُّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ))

أهل الورع والصدق، الورع عن محارم الله ﷻ، وعن الشبهات، والصدق الذين يصدقون فيما يقولون، ويصدقون فيما يقدِّمون، يصدقون فيما ينقلون، الصدق هو صفة لازمة لهم، هاتان الصفتان مهمتان جدًّا جدًّا في أداء المسؤولية؛ لأن أهل الورع هم الأمانة، الذين يؤتمنون ويوثق بهم كل الثقة، الورع عن محارم الله في كل شيء: في الجانب المالي، في جانب الإمكانيات، الورع في كلامهم، فيما ينقلون، في أدائهم للمسؤولية، يحذرون من الحرام، يحذرون حتى مما فيه شبهة الحرام، فهم أهل تحرٍّ، وأهل انتباه، ليسوا جريئين ولا مبالين، يتصرفون كيفما كان، في الأمور المالية، أو في الأمور العملية، أو في القرارات، أو في التصرفات، الورع من أهم المواصفات الإيمانية التي لها أهمية كبيرة فيما يتعلق بالمسؤولية، والصدق كذلك، فيعتبر الصدق والورع من أهم المواصفات التي ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في الاختيار، في الاهتمام، في الثقة، في الاعتماد، وفي التربية على ذلك، هذا جانب مهم، هذا النوع هم من تعتمد عليهم اعتماداً كبيراً وأساسياً، ولهذا أتى بعبارة: ((وَالصَّق))، أكثر من مخالطتهم، واعتمد عليهم بشكل أساسي، ((بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ)).

((ثُمَّ رُضُّهُمْ عَلَى أَلَّا يُطْرُوكَ))

عَوَّدَهُمْ عَلَى أَلَّا يَكْتَرُوا مِنَ الْمَدْحِ لَكَ، أَوَّلًا لَتَلْحَظَ فِيهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَهْلَ وَرَعٍ وَصِدْقٍ، ثُمَّ تَلْحَظَ مَعَهُمْ ذَلِكَ، أَلَّا يَكْتَرُوا مِنْ مَدْحِكَ، هَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَهْمَةٌ جَدًّا.

((وَلَا يُبْجِحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ))

لا ينسبون إليك أعمالاً، أو إنجازات، لم تفعلها أصلاً؛ ليتقربوا إليك بذلك.

((فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ))

كثرة المديح لها تأثيرات سلبية على نفسية الإنسان، وعلى مشاعره، فهي ((تُحْدِثُ الزَّهْوَ))، يعني: العجب بالنفس، ((وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ))، وهذه العزة غير العزة الإيمانية، التي قال الله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، المقصود هنا عزة الكبر، وأنفة الكبر، التي تلازم حالة العجب والغرور، وهي حالة خطيرة جداً، والعجب، والغرور، والكبر، والأنفة، من أسوأ الخصال التي تفسد نفسية الإنسان بشكل كبير، وخطير على الإنسان.

ولذلك في موقع المسؤولية لا يعود الإنسان نفسه، ولا يعود الآخرين على كثرة المديح، وعلى الرغبة في المديح والإطراء، هذه مسألة خطيرة على نفسية الإنسان؛ لأن الإنسان المؤمن حقاً هو يحمد الله ﷻ على كل ما وفقه له، وهو يعتبر أن كل نجاح في أدائه لمسؤوليته، وأي إنجاز يتمكّن من تحقيقه، إنما هو بتوفيق الله ﷻ، وبفضل الله ﷻ، فهو يحمد الله على ذلك، وهو يشعر في أعماق قلبه بالفضل لله عليه، هو عند الإنجاز، وعند النجاح، لا يتجه في تفكيره ومشاعره نحو نفسه، بأنه هو شخصياً منبع ذلك النجاح، وأساس ذلك الإنجاز، هو يعرف حقيقة أمره، حقيقة نفسه، هو إنسان عاجز ضعيف، الإنسان هو مصدر العدم، مصدر اللا شيء، هو مفتقر في كل شيء إلى الله ﷻ، مفتقر في كل نجاح، في كل توفيق؛ ولذلك نحن نحمد الله ﷻ، نعتبر كل الحسنات، كل الإيجابيات، كل النجاحات، كل الأشياء الجيدة في الحياة، مصدرها

الحقيقي هو الله ﷻ، ولي كل نعمة، ونحن مصدر العجز، مصدر الضعف. فالإنسان المؤمن هو يعي هذه الحقائق، وهو يؤمن بها، هو يؤمن بها من أعماق قلبه، لديه هذا الوعي، لديه هذه المعرفة، هذا الشعور، ولهذا يصف الله عباده المؤمنين بصفة من أهم مواصفاتهم، فيقول عنهم: ﴿الْحَامِدُونَ﴾^(١)، ﴿الْحَامِدُونَ﴾؛ لأنها صفة لازمة لهم عند كل نعمة، كانت نعمة مادية، أو نعمة معنوية، أو نجاحاً في عمل، أو إنجازاً لمهمة، أو أداءً لمسؤولية... كل أشكال النعم، يحسبون المنّة لله عليهم فيها؛ لأنه هو الموفق، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢)، هذا قول نبي من أنبياء الله، نبي الله شعيب عليه السلام قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾، لا يمكن أن أتوفق في أي شيء إلا بالله ﷻ.

والمؤمن هو يحمل الشعور بالتقصير مهما كان إنجازه، لا يزال يعتبر نفسه مقصراً، ولا يزال يدرك جوانب النقص فيه، وهذه مسألة مهمة، عندما نجد الله في القرآن الكريم يوجّه رسوله ﷺ، الذي حقق - بتوفيق الله له - أكبر الإنجازات في كل تاريخ البشرية، في الماضي والحاضر والمستقبل، ما قبله، وفي وقته، وما بعده، أعظم رجل وصل إلى أعلى المراتب الأخلاقية والإيمانية والمعرفية، وقام بدورٍ عظيمٍ جداً، الله ﷻ يأمره بالاستغفار: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣)، يقول له: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿٦﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٤)، في قمة الإنجاز: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

(١) التوبة: من الآية ١١٢

(٢) هود: من الآية ٨٨

(٣) محمد: من الآية ١٩

(٤) النصر: ٣-١

فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وإنجازٌ عظيم، أكبر إنجازٍ يمكن أن يتحقق هو هداية الناس، أكبر إنجاز، في ذروة الإنجاز يقول له: ﴿فَسِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

الكثير من الناس في حالات الإنجاز يستغرقون على مستوى التفكير في التسبيح بحمد أنفسهم، يفكِّرون في أنفسهم أنهم عباقرة، أنهم حققوا النجاح، أنهم حققوا الإنجاز، ويذوبون في ذلك، وهم مستغرقون في مديح أنفسهم، وفي العجب بأنفسهم، وفي الارتياح لأنفسهم، ويرغبون من الآخرين أن يذوبوا في ذلك، أن يكون كل شغلهم الشاغل أن يمدحوهم، أن يثنوا عليهم، أن يبجلوهم، أن يتحدثوا عنهم ليل نهار، وأن يسبحوا بحمدهم بكرةً وأصيلاً.

لكننا نجد أن الله يقول لنبيه ﷺ عند أعظم إنجاز: ﴿فَسِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، بدلاً من أن تسبح بحمد نفسك، استغرق في التسبيح بحمد الله ﷻ في ذهنك، وتفكيرك، ووجدانك، ولسانك.

هذه هي تربية الإيمان، التي تعلّم الإنسان من هو صاحب الفضل الحقيقي، هو: الله ﷻ؛ ولذلك فالإنسان بهذه التربية الإيمانية ليس منتظراً من الناس المديح على كل إنجاز، على كل عملٍ يؤدِّيه، على كل مسؤوليةٍ يقوم بها، ينتظر منهم دائماً المديح والإطراء، ثم يجعل ذلك معياراً للقرب منه، وللعلاقة به، من لا يجد منهم كثرة الإطراء، وكثرة المديح؛ ينفر منهم، لا يحبهم، لا يعجبونه، ومن يكثر من مدحه، والثناء عليه، والتملق له؛ يرتاح لهم، يتحول هذا إلى معيار، في مستوى العلاقة بالناس، وفي قياس مدى صدقهم معه، ومدى نصحتهم له، يمكن أن يكون البعض من أصدق الناس معك، ومن أكثرهم حرصاً عليك، ومن الأوفى معك في كل الأحوال، وفي كل الظروف، وإن لم يكونوا هم الأكثر مديحاً، الأكثر ثناءً، الأكثر إطراءً، معيار صدقهم معك: عندما يصدِّقون معك

في كل الأحوال، يقولون الحق، يقفون معك الوقفة الصادقة، حتى في الظروف والتحديات الصعبة.

((ثُمَّ رَضُّهُمْ عَلَىٰ أَلَّا يُطْرُوكَ))، اسعَ لأن تحافظ أنت على واقعك النفسي لا يتأثر سلباً، **((وَلَا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَّمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحَدِّثُ الزَّهْوَ))**: العجب بالنفس، وهي حالة خطيرة جداً، ومن أكثر الناس عرضةً لحالة العجب والكبر، من هم في مواقع المسؤولية، وبالذات إذا وفَّقوا لإنجازات معينة، أو يقال لهم دائماً أنهم أصحاب الإنجازات الكبرى، والعظيمة، والتاريخية.

((وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَتَدْرِيْباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَالزَّمَّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلَزَمَ نَفْسَهُ))

مع الرحمة الحكمة، لا تكن حالة الرحمة حالة عامة، تجعل فيها واقع الناس بمنزلةٍ سواء، حتى لو كان هناك من هو مسيء، تعامله وتنظر إليه كممثل المحسن، من الحكمة ومن العدل أن تفرِّق بين المحسن والمسيء، سواءً في محيطك العملي، وفي الواقع العملي في إطار المسؤولية، من هم من المسؤولين، من هم من الأعوان، من هم ممن تعتمد عليهم في المهام العملية، أو في واقع المجتمع، وهذا يشمل الجوانب المختلفة، مثلاً: تفعيل مبدأ الثواب والعقاب؛ للتفريق بين المحسن والمسيء، في مسألة المنزلة، والقرب، والاحترام، والتعامل، هناك فرق ما بين المحسن والمسيء؛ بالتالي يبني على ذلك في هذه الأمور:

- في تفعيل مبدأ الثواب والعقاب.

- في التعامل.

- في المنزلة.

- في الاحترام.

يكون هناك تفريق بين المحسن والمسيء، إذا لم يكن هناك تفريق بين المحسن والمسيء؛ فهذا فيه كما قال عليه السلام:

((فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ))

يرى أن إحسانه ليس له قيمة، ليس له أهمية، وأنه سواءً كان محسناً أو مسيئاً الحال واحد.

((وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ))

تشجيعاً لهم على إساءتهم؛ لأنه لم ير ما يزره، ويرى أنك تعامله كمثلك ما تعامل المحسن.

((وَأَلْزَمَ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ))

ألزم كلًّا منهم مسؤولية عمله؛ ليتحمل تبعات ونتائج عمله، هذا هو مقتضى الحكمة، ومقتضى العدل، فمع الرحمة هناك الحكمة، وهناك العدل؛ ولذلك النتيجة (نتيجة الإساءة) وعواقبها بحسبها، ونتائج الإحسان وثمرته وعاقبته بمستواه.

فهذه مسألة مهمة جداً في الواقع العملي، في سياسات العمل، في طريقة التعامل، سواءً مع المسؤولين، مع العاملين، فَرَّقَ بين المحسن والمسيء فيما يتعلق بالإجراءات، في الجزاء، في تفعيل مبدأ الثواب والعقاب، وأيضاً في واقع المجتمع كذلك.

((وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرِعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْضِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ))

العلاقة ما بينك وبين من هم في نطاق مسؤوليتك، يجب أن تكون علاقةً إيجابية؛ لأنك لست في موقع الخصومة لهم، ولا العداوة لهم، أنت تتحمل مسؤولية تجاههم، لخدمتهم، للاهتمام بأمرهم، لنظم شأنهم، للاهتمام بأمرهم، فالعلاقة بينك وبينهم يجب أن تكون علاقةً إيجابية، من جانبك، ومن جانبهم، بدءاً بمشاعرك نحوهم، أن تكون مطمئناً تجاههم.

كيف تتوفر هذه الحالة من الاطمئنان إليهم، من حسن الظن بهم؟

هذا يعود إلى إحسانك إليهم، عندما تكون محسناً إليهم، صادقاً معهم، تعمل لخدمتهم بشكل واضح، بجدية تامة، بصدق وإخلاص، فلهذا أثره حتى في مشاعرك نحوهم، أنت تتوقع منهم الانطباع الإيجابي، تجاه إحسانك إليهم، تجاه اهتمامك بأمرهم، تجاه صدقك في أداء مسؤولياتك نحوهم، تتوقع منهم أن يكونوا إيجابيين؛ لأنك تتجنب ظلمهم، تحسن إليهم، تترك تكليفهم ما فيه المشقة البالغة عليهم، أو ما ليس لهم قدرةً عليه، سواءً في التزامات مالية، أنت لا تحمّلهم من الالتزامات المالية ما لا طاقة لهم به، أو في الجوانب العملية لا تحمّلهم في الجانب العملي ما لا يقدرّون عليه، ما لا يطيقونه، فأنت تحسن إليهم، وتتجنب مثل هذه المعاملات القاسية جداً تجاههم ومعهم، فأنت تتوقع منهم أن يكونوا إيجابيين نحوك، فلذلك أنت في مشاعرك مطمئنٌ إليهم، وتحسن الظن بهم، وتتوقع منهم أن يكونوا سنداً لك، ووعوناً لك، في أداء مسؤولياتك

نحوهم، وأن يكونوا كذلك واعين، وغير مستجيبين ولا مائلين لمن يريد أن يخرب هذا الواقع الإيجابي، يسعى للفرقة، ويسعى لإثارة الفتن، ويسعى لتأليبهم عليك؛ لأنه معقد مما تقوم به من دور، أو يعاديك، أو هو خصم لك، فأنت تتوقع منهم ألا يستجيبوا له؛ لأنهم يعرفون نصحك وصدقك، ويلمسون إحسانك، ويلحظون اهتمامك، وبالتالي فأنت مطمئنٌ إليهم، بقدر ما أنت محسنٌ إليهم، وترتك الإساءة والإثقال عليهم بما ليس لهم به طاقة.

((فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ،
فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا طَوِيلًا))

حسن الظن له تأثيره الإيجابي في أن يخفف عليك الكثير من الإجراءات الاحترازية، الناتجة عن مخاوفك منهم.

متى تكون الحالة السائدة هي حالة المخاوف والقلق؟

عندما تكون مقصراً نحوهم، أو مسيئاً إليهم، أو مثقلاً عليهم، وغير مهتم بهم، حالة التقصير نحوهم، الإهمال لهم، التفريط في أداء المسؤولية كما ينبغي تجاههم، الإساءات والإشكالات المتكررة معهم، هي الحالة التي تبعث عندك حالة الخوف والقلق، في أنه يمكن أن يستميلهم العدو، وأن يستقطبهم، ويحركهم العدو، وأن تثار في أوساطهم الفتن، وهذا قد يدفع بك إلى أن تكلف نفسك بالكثير من الإجراءات الاحترازية: على المستوى الأمني، على المستوى العسكري... على مستويات متعددة تثقلك، تزعجك، تقلقك، ويكون لها تأثير سلبي عليك، وتكلفك أيضاً، فالكلفة التي ستتحملها بالاحتراز على المستوى العسكري، وعلى المستوى الأمني، وعلى مستوى الاحتياط، والانتباه، والحذر، والقلق، والتوتر... وما يرتبط به من إجراءات واحترازات وكُلْف، الأفضل أن

يتجه نحو الإحسان إليهم، فهو أجمل، وأسمى، وأرقى، وله تأثيره الكبير في أن يكونوا هم أعوانك وأنصارك، وأن يقفوا معك، وأن يتصدوا هم للناس السيئين، للناس الذين يسعون إلى إثارة الفتن، للناس الذين يعملون لصالح الأعداء، هذا من الحكمة، وهو الأوفق أيضاً لما يرضي الله ﷻ، وللأثر الطيب للعمل، ولأداء المسؤولية بشكل صحيح وبشكل ناجح.

((فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً)) : يكفيك المتاعب الكثيرة، والمشاكل الكثيرة.

((وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ))

فأنت تكون حسن الظن، وأكثر اطمئناناً، إلى من أحسنت إليه أكثر، وتكون أكثر قلقاً وتوتراً وسوء ظن بمن أسأت إليه، أو قصرت تجاهه وأهملت حقوقه، وهذه حكمة مهمة جداً، وسياسة راشدة في أداء المسؤولية.

((وَلَا تَنْقُضْ سُنَّتَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ، وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّتَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا))

البعض مثلاً قد يأتي تحت عنوان التغيير (نريد أن نغير)، فيريد أن يغير كل شيء من الماضي، ولا يفرق بين ما هو شيء إيجابي ومفيد ونافع، ينبغي الحفاظ عليه، وبين ما هو شيء وسلي، وهناك ما يقتضي فعلاً بمعيار الحق والعدل والحكمة والصالح العام تغييره، لا، يريد أن يغير كل شيء، فهذا أسلوب خاطئ:

ما كان من موروث الماضي، سواءً من الأعراف، والتقاليد، والموروث الثقافي، والموروث الفكري، والموروث المتعلق بالواقع التنظيمي للناس، أو المتعلق بالمصلحة العامة، وهو حق، وفيه خيرٌ للناس، قد اجتمعت به الألفة، وصلحت عليه الرعية، واستقام به حال الناس في أي مجال من المجالات، فلا داعي لتغييره، بل ينبغي الحفاظ عليه؛ لأن الناس يحتاجون إلى وقت حتى يتعودوا على الشيء، يستمرون عليه، يألفونه، ينسجمون معه، وحتى يصبح عادة، وعندما يصبح عادة يصبح أمراً ميسوراً، مقبولاً، مستساغاً، يستمر عليه الناس بشكل طبيعي، وهذه إيجابية كبيرة، فلذلك مسألة التغيير لا تتجه نحو كل شيء، حتى نحو الأشياء الإيجابية، التي استقام بها حال الناس، وانتظمت بها حياتهم، واستقرت بها حياتهم، وهي حق، وهي خير، وهي مصلحة عامة في أي مجال من المجالات، لا يتجه التغيير نحوها.

((وَأَكْثَرُ مُدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَسَةِ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِبِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ))
لا تفكر لوحدك، وتقتصر على ما تفكر به أنت، وعلى ما تخطط به أنت، استفد من الآخرين:

- استفد أولاً من العلماء: وهذا يشمل العلماء في كل التخصصات، مثلاً: العلماء في علوم الشرع، العلماء في العلوم الطبيعية في تخصصاتهم؛ لأنك تدير واقع الناس بشكل عام، فاستفد من كل ذوي المعرفة، من كل ذوي التخصص، الذين يمكن من خلال توجيه اهتماماتهم، وطاقاتهم، ومعارفهم، نحو ما يصلح واقع المجتمع، نحو ما تقوم به الحضارة في كل مجالاتها، ((فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِبِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ)).

- وأيضاً الحكماء: من ذوي الرأي، الإصابة في الرأي، وحسن التدبير، والتجربة التي استفادوا منها الكثير من صواب الرأي، من التدبير الحسن، فذوي الحكمة- بما تعنيه الحكمة: الإصابة في الرأي، والسداد في الرأي، وحسن التدبير، نتيجةً لتجاربهم في الحياة، لتجاربهم في الواقع، وحسن نظرهم في الأمور، صوابية آرائهم- استفد منهم.

فأكثر مدارس العلماء، وأكثر أيضاً مناقشة الحكماء، في الشأن العام، في أمور الناس، في نظم شؤونهم، في الأمور التي تتعلق بها مسؤوليتك نحو الناس، هذه مسألة مهمة.

((فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ))

ما يصلح به واقع البلاد في كل مجال من المجالات: المجالات الاقتصادية، المجالات السياسية، المجالات... كل المجالات المهمة، وفي استقامة أمر الناس وشؤونهم، وإقامة العدل وتحقيقه، وإصلاح واقع الناس.

هذه مسألة مهمة، وتتطلب أيضاً في مثل زمننا هذا إصلاح الواقع التعليمي؛ ليؤدي هذا الدور، وربط الواقع التعليمي بواقع الناس، بشؤون الحياة، بمجالات الحياة؛ لأن هناك انفصلاً كبيراً بين الواقع التعليمي وبين واقع الحياة، ولهذا تجد مثلاً واقع الجامعات، والمدارس، والمناهج الدراسية، والنخب التعليمية، هي هناك على جانب، وواقع الناس في جانبٍ آخر.

يفترض أولاً إصلاح الواقع التعليمي، وربط الواقع التعليمي بشؤون الحياة؛ حتى يثمر ثمرته، ويؤدي دوره بشكلٍ فاعل، وبشكلٍ صحيح، وتكون مخرجاته مخرجات رائدة في ميدان الحياة، مخرجات رائدة، تؤدي دورها في واقع الحياة بنجاح، بشكلٍ صحيح، بمعرفةٍ صحيحة، بعلمٍ نافع، فتؤدي دورها الإيجابي في واقع الحياة.

ف نجد في هذه التوجيهات، وفي هذه التوصيات:

- بدءاً من مسألة المستشارين، والأعوان الذين يعتمد عليهم، فيكونون هم أصحاب رصيدٍ نظيف، وسيرةٍ حسنة، مع حسن تدبيرهم، وحسن إدارتهم، وإنجازهم للأعمال، وحسن ولائهم، كما قال: ((أَوْلَيْكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَثُونَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُّ لِعَيْرِكَ إِنْفَاءً))، ممن يوثق بهم، ويعتمد عليهم، فيكون الاعتماد عليهم بشكلٍ أساسي.
- وكذلك في داخلهم من كان متميزاً أكثر في ورعه وصدقه.
- في التفريق بين المحسن والمسيء.
- في العلاقة مع المجتمع، مع من هم في نطاق مسؤوليتك، العلاقة الإيجابية المبنية على حسن الظن، من خلال حسن التعامل.
- وفي الحفاظ على العادات والسنن الإيجابية في المجتمع، والأشياء الإيجابية، والتي فيها مصلحة عامة، وفيها خيرٌ للناس.
- وفي مسألة الاستفادة من الكوادر العلمية والحكيمة في أداء المسؤولية، وفي التدبير والتخطيط وغير ذلك.

كل هذه أمورٌ مهمة، وإرشاداتٌ نحتاج إليها بشكلٍ كبير في أداء المسؤولية.

نسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره،

إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،



درس من

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الصفحة: ١٠٧

الدرس: الخامس

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

تحدثنا بالأمس:

- عمَّا ركَّز عليه فيما يتعلق بمسألة من يعتمد عليهم في أداء المسؤولية، بدءاً من المستشارين، ثم الوزراء، يعني: الأعوان، العاملين الأساسيين الذين يعتمد

عليهم، وأتى التحذير في مسألة الوزراء والأعوان، والمسؤولين الأساسيين، من ذوي السوابق الإجرامية، والممارسات الظالمة، ممن كان يعتمد عليهم الأشرار لتنفيذ ما يريدونه، وللقيام بتلك الممارسات الإجرامية والظالمة، والاعتماد بدلاً عنهم ممن يمتلك حسن الرأي، وحسن التصرف، وحسن التدبير، والمهارة الإدارية، والقدرة العملية على إنجاز الأعمال، من ذوي الصفحة البيضاء، والماضي المشرق والسليم، والاعتماد على القيم الأخلاقية، التي لها علاقة كبيرة جداً في أداء المسؤولية بشكل كبير، ومن أهمها، من أهم تلك القيم: الورع والصدق.

- وأتى الحديث أيضاً عن أهمية التفريق بين المحسن والمسيء، بمقتضى الحكمة والعدل، في كل ما يتصل بذلك، يعني: في المكانة، في الاحترام، في المعاملة، في الجزاء، وتفعيل مبدأ الثواب والعقاب.

- أيضاً مرَّ بنا الكلام عن كيف تكون العلاقة بين المسؤول ومن هم في نطاق مسؤوليته، علاقة قائمة على حسن الظن، على الاحترام، على الاطمئنان، وليست على المخاوف، وما يسبب المخاوف والقلق، وأتى التفصيل الكافي بشأن ذلك.

- وأيضاً في ختام ما مرَّ بنا أيضاً في مسألة التغيير، ألا يسعى الإنسان لتغيير كل شيء، حتى الأشياء التي هي سنَّة صالحة، طريقة صالحة تطابق مقتضى الشرع، ويتحقق بها ما يفيد في الصالح العام، وقد اعتاد الناس عليها، وألفوها، وفيها خير، وهي مطابقة لمقتضى الشرع؛ أمَّا العادات، أو الطرائق، أو الأساليب السيئة التي تخالف مقتضى شرع الله ﷻ، أو تخالف تعليمات الله ﷻ، فهي بالتأكيد بحاجة إلى التغيير.

- وكان ختام الدرس بالأمس: أهمية الإكثار من مدارس العلماء ومناقشة الحكماء، في تثبيت ما فيه صلاح أمر الناس، واستقامة أمرهم، وانتظام شأنهم، وتحدثنا

عن أهمية توجيه الأنشطة العلمية ومخرجاتها وربطها بالواقع، فيما يصلح الواقع، فيما يبني حضارةً راقيةً متميزة، والاستفادة من ذوي الخبرة، والتجربة، والحكمة، وحسن الرأي... إلى غير ذلك.

ونبدأ بدرس اليوم، قال عليه السلام:

((وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ))

يقدم هنا رؤيةً عامةً تجاه المجتمع، وفق سنة الله تعالى في تدبير شؤون عباده، القائمة على مبدأ التكامل فيما بين عباد الله تعالى، ما بين أبناء المجتمع، وهو تدبيرٌ حكيمٌ من تدبير الله تعالى، جعل واقع المجتمع بشكلٍ عامٍ يقوم أساساً على مبدأ التكامل، حيث لا غنى لأحدٍ من أبناء المجتمع، ولا فئةٍ من فئات المجتمع عن الباقيين.

الله تعالى في تدبيره، في تكوينه للمجتمع، فيما فطرهم عليه، فيما منحهم من طاقات ومواهب، وفيما دبر به شؤون حياتهم في تنوع توجهاتهم، في عملهم وسعيهم في الحياة، جعل ذلك على النحو الذي يتكاملون به، كلٌّ منهم يقدم خدمةً للآخرين، كلٌّ منهم يسعى فيما فيه الخير والصالح العام للآخرين، في كل شؤونهم المعيشية بتنوعها.

فنجد- على سبيل المثال- الأهمية للدور الزراعي، مثلاً: البعض من الناس توجهه، ومواهبه، وطاقاته، ورغبته في العمل في مجال الزراعة، البعض الآخر مثلاً في مجال الطب، توجهه، ومواهبه، ورغبته في ذلك المجال، البعض مثلاً في مجالات إدارية، البعض في مجالات التجارة مثلاً، والتجارة مجالات متنوعة، أنواع معينة لها من يرغب فيها، يتجه إليها، ينجح فيها، يتحمل أعباءها... إلى غير ذلك.

فهذه الأدوار المتنوعة في واقع الحياة، التي يتجه فيها الناس في تدبير الله ﷻ، فيما وهبهم من طاقات ومواهب، وفيما فطرهم عليه من رغبات وتوجهات، هي قائمة على أساس التكامل فيما بينهم؛ ولذلك لا يتحقق مثلاً الكمال في كل هذه الشؤون لدى فئة واحدة، أو لدى شخص واحد، بحيث يستطيع أن يستغني عن كل الناس، في كل مجالات أعمالهم، وتوجهاتهم، وإبداعاتهم، وطاقاتهم، وقدراتهم، ومجالات أعمالهم، فتكون النظرة إلى المجتمع قائمة على هذا الأساس: أن كل فئة من فئات المجتمع هي فئة مهمة، ودورها مهم، يتكامل مع الأدوار الأخرى، ولا غنى ببعضها عن بعض، ولا يصلح بعضها إلا ببعض.

ولذلك لا يمكن في موقع المسؤولية في سياسة الدولة مثلاً، وطريقتها في إدارة شؤون الناس، وطريقة المسؤولين، أن يكتفوا مثلاً بالاهتمام بفئة في مجال معين، وأن يتجاهلوا كل الفئات الأخرى، ومجالات أعمالها، وأدوارها المهمة.

يجب أن نستوعب أن كل دور مهم، من الأدوار التي يقوم بها أبناء المجتمع، وأنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار العناية بالجميع، والاهتمام بالجميع، وأن نستوعب أن كل دور له أهميته في نجاح الأدوار الأخرى، وإلا إذا غابت هذه النظرة، واتجه كل الاهتمام نحو فئة من فئات المجتمع في مجال عملها واهتمامها، مع النسيان للآخرين، والتجاهل للآخرين، أو مع الإهمال لعمل ما يضر بالآخرين، فذلك ستكون له تأثيراته السلبية حتى على مستوى المجال الذي توجه الاهتمام نحوه، فهذه رؤية عامة ذات أهمية كبيرة، وسيأتي الحديث عنها على وجه التفصيل.

الله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾^(١)، فكل شخص مسخر لما فيه خدمة الآخرين، في مواهبه، في طاقاته، في قدراته، في المجال الذي يتجه إليه ويبدع فيه من مجالات الحياة، وكل فئة على مستوى أوسع، مثلاً: التجار كفئة، أو المزارعون كفئة، أو الأطباء كفئة... أو أي فئة من فئات المجتمع، كل فئة هي تؤدي دوراً مهماً، لمصلحة كل المجتمع، ولنجاح بقية الأدوار الأخرى، فهذا الترابط وهذا التكامل في واقع المجتمع البشري، يجب أن نستوعبه؛ لتبنى على أساسه السياسات في إدارة شؤون الناس، وطريقة العمل في إدارة شؤون الناس، وفهم ما على المسؤولين تجاه كل فئة، ما الذي عليهم تجاه المزارعين، تجاه الأطباء، تجاه التجار... تجاه كل مجال من المجالات ذات الأهمية في واقع الحياة، وهذا المقصود بقوله: ((طَبَقَاتٌ، لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ))، بينها هذا الترابط في واقع حياتها وشؤون حياتها، ((وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ)).

((فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ))

أول ما يحتاج إليه المجتمع، هو: الحماية، ودفع الخطر عنه، ودفع الأعداء عنه، ودفع الأشرار عنه، والحفاظ على أمنه، وترسيخ دعائم الاستقرار فيه، وهذه مسألة ضرورية لاستقرار الحياة، وهي أول المتطلبات الرئيسية.

ومن يؤدي هذا الدور: في حماية المجتمع، في الحفاظ على أمنه وعلى استقراره، وفي منع التظالم بين أبنائه، والتعدي على بعضهم بعض، والبطش ببعضهم البعض، ودفع شر العدو الخارجي عنهم، من يؤدي هذا الدور هم: (جُنُودُ اللَّهِ).

جُنُودُ اللَّهِ هم الذين يقومون بهذا الدور كمسؤولية مقدّسة، والتزام إيماني، هم يؤدّون هذا الدور باعتباره مسؤولية إيمانية، انطلقوا فيها استجابةً لله ﷻ، والتزاماً بتعليماته، ووفق تعليماته ﷻ.

وهذا ما يجب أن ندرك أهميته في مسألة البناء للقوة العسكرية والأمنية، التي تحافظ على المجتمع، وتدافع عن المجتمع، وتحافظ على أمن واستقرار المجتمع، أن مبادئها التي يجب أن ترسخ في عملية البناء لها، وأن تكون عقيدةً أساسية، وأساساً للتربية كذلك، هو هذا الأساس؛ حتى تؤدّي هذا الدور كقوة أمنية وقوة عسكرية من واقع الالتزام الإيماني، والدافع الإيماني، كجنود لله ﷻ؛ لأن هؤلاء هم عباد الله، الله ﷻ يريد لهم ألا يظلموا، ألا يذلوا، ألا يقهروا، الله ﷻ يريد لهم الخير، يريد لهم أن يحظوا بالحياة الكريمة، بالعزة، والكرامة، والاستقرار، ودفع الشر عنهم، ودفع الظلم عنهم، هذا من أهم ما في القسط والعدل الإلهي، والرحمة بالعباد، هو القائل ﷻ: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴾^(١)، ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾^(٢)، لا يريد لهم أن يكونوا في وضعية ضعيفة، مقهورة، ليس فيها منعة، ليس فيها حماية، ليس فيها من يدفع عنهم الشر، من يدفع عنهم الخطر، من يدفع عنهم الأعداء الظالمين، ففي تدبير الله ﷻ يأتي هذا الدور: (جُنُودُ اللَّهِ)، الذين يؤدّون هذه المهمة كمسؤولية إيمانية مقدّسة، والتزام إيماني من أجل الله ﷻ، ووفق تعليماته، ولديهم هذا الدافع المقدس، الذي يستشعرون من خلاله طبيعة دورهم، أنه ليس لظلم المجتمع، ليس لاستغلال المجتمع، ليس لقهَر المجتمع، ليس لممارسة الجبروت بحق المجتمع، بل هم في خدمة هذا المجتمع، من أجل حمايته، من أجل دفع الشر عنه، ولكن وفق هذا الالتزام الإيماني، والدافع الإيماني، والمسؤولية المقدّسة،

(١) آل عمران: من الآية ١٠٨

(٢) غافر: من الآية ٣١



فلذلك سمّاهم بـ (جُنُودُ اللَّهِ)، تسمية عظيمة؛ ليستشعروا قدسية الدور الذي يقومون به، والمهمة التي ينفذونها.

((وَمِنْهَا كُتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ))

الإداريون، الذين يقومون بنظم أمور المجتمع في معاملاته، وفي عقود معاملاته، وفي شؤونه المختلفة، بإجراء العقود، والتوثيق، والكتابة، والإدارة، والتنظيم لمختلف المعاملات، وهذا جانبٌ أساسيٌّ في انتظام شؤون الناس، وفي استقامة حياتهم، وإلّا لو كانت أمور معاملات الناس تجري بلا تنظيم، بلا توثيق، بلا عقود، بلا إدارة لها، ستكون النتيجة هي الفوضى، والتظام، والعبث؛ وبالتالي تنشأ المخاوف التي تؤثر على الناس في حركة حياتهم، وفي مختلف شؤونهم.

((الْعَامَّةِ)): في واقع المجتمع بشكلٍ عام.

((وَالْخَاصَّةِ)): في مثل حال المكاتب الحكومية... وما شاكل.

((وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ))

القضاة الذين يقضون بالعدل، العدل هو الأساس لأن يكون للقضاء دوره الإيجابي، النافع، الذي يعزز الاستقرار، الذي يحقق العدل في واقع المجتمع، يصون الحقوق، ويحفظها للناس، يفصل قضايا الناس ونزاعاتهم؛ حتى لا تبقى شاغلاً لهم، تشغل أوقاتهم، وتشغل واقعهم واهتماماتهم، وفي نفس الوقت تثير العداوة والبغضاء فيما بينهم، وقد تصل في بعض الحالات إلى الاقتتال، وإلى الإخلال بالأمن، وإلى فقدان الاستقرار، وهذا جانبٌ أساسيٌّ جدًّا في حياة الناس: أن يكون هناك قضاة يقضون بالعدل.

((وَمِنْهَا عُمَالُ الْإِنصَافِ وَالرِّفْقِ))

لدفع التظالم بين الناس، لإحقاق الحق، لرعاية حقوق الناس، وحقوق المجتمع في مختلف أبنائه.

((وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ، مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ))

ومنها الفئة المنتجة زراعياً، المزارعون، والمنتجون في الأعمال الزراعية... وما شاكل، دورهم المهم جداً في حياة الناس، في توفير المتطلبات الغذائية والضرورية للناس، دورهم الأساسي في دعم الاقتصاد، في إنعاش الاقتصاد، وفي متطلبات الحياة الضرورية على مستوى الغذاء ونحوه، وسواءً الذين هم من أبناء الإسلام في المجتمع، أو هم مواطنون يخضعون لحكم الإسلام ويدفعون الجزية، ممن كانوا من أهل الذمة، وللأسف الشديد تغيّر واقع المسلمين، وأصبحت كثيرٌ من الدول العربية هي التي تدفع الجزية، وتدفع بشكل كبير جداً، أكثر مما كان يدفعه المواطنون الخاضعون لحكم الإسلام من أهل الذمة في الماضي، من المعاهدين، الذين يخضعون لحكم الإسلام، ويعيشون بين أبناء الأمة، وترعى أمرهم الدولة في الإسلام في نظامها الإسلامي بما لهم من حقوقٍ مشروعة، الآن اختلف الحال، الدول العربية تخرج الجزية لأولئك بشكل كبير، بمبالغ هائلة جداً، بمليارات الدولارات، بمبالغ هائلة.

على العموم الإسلام كان يأخذ بعين الاعتبار، فيما يتعلق بالمجتمع الذي يسود فيه نظامه، أن يحظى كل الذين يعيشون في هذا المجتمع بالرعاية وفق الحقوق المشروعة، سواءً كانوا من المسلمين، أو لم يكونوا من المسلمين، وهم يخضعون للنظام في الإسلام، والنظام في الإسلام يأخذ بعين الاعتبار هؤلاء من غير المسلمين ما هي حقوقهم المشروعة كمواطنين.

((وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ)): هؤلاء دورهم مهم، فئة من أبناء المجتمع منتجة، الذين هم أصحاب الخراج، يعني: أصحاب الإنتاج الزراعي، دورهم مهم جداً، يجب أن يحظى هؤلاء بالرعاية، هناك مسؤوليات تجاههم، ودورهم دور مهم تجاه بقية الأدوار في شؤون الحياة.

((وَمِنْهَا التُّجَّارُ))

الذين يعملون في التجارة، بحسب مستوياتهم في التجارة المختلفة، تجار كبار، تجار متوسطين، تجار صغار، بحسب مستوياتهم في التجارة، من يعملون في التجارة، هؤلاء لهم أيضاً دورهم المهم في حياة الناس، في توفير متطلبات الحياة، في إنعاش الوضع الاقتصادي للمجتمع... إلى غير ذلك، وهناك مسؤوليات والتزامات متبادلة تجاه هؤلاء التجار، مسؤوليات تجاههم، والتزامات عليهم، ومسؤوليات عليهم أيضاً.

((وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ))

مختلف الصناعات، في الماضي كانت كثير من الصناعات من خلال حرف ومهن معينة، الآن تطورت مجالات الصناعة تطوراً كبيراً، وأصبح دورها دوراً كبيراً في إنعاش الوضع الاقتصادي والمعيشي للمجتمع.

((وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ))

((الطَّبَقَةُ السُّفْلَى))، يعني: بالنظر إلى ظروفهم ومعيشتهم، يعني: أنهم فئة غير منتجة، مثلما بقية الفئات المنتجة من بقية أبناء المجتمع؛ لأنهم يعيشون ظروفاً صعبةً جداً، يعني: لم يقدروا على الإنتاج، لا يستطيعون الإنتاج، إمّا لظروفهم المعيشية الصعبة جداً، أو لوضعهم، مثلاً: الأراذل، الأيتام، الفقراء، والبائسين، **((مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ))**، هذا تعريفٌ كافٍ: **((مِنْ))**

ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمُسْكِنَةِ))، هؤلاء هم أيضاً جزءٌ أساسيٌّ من أبناء المجتمع، الذين تتحمل الدولة مسؤوليات تجاههم.

((وَكُلُّ)) من هذه الفئات من أبناء المجتمع، **((قَدْ سَمَى اللَّهُ لَهُ سَهْمَهُ))** يعني: حدد نصيبه من الحق والمسؤوليات تجاهه. **((وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَةً فِي كِتَابِهِ، أَوْ سُنَّتِهِ نَبِيِّهِ ﷺ، عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا))**

حدد الله ﷻ في القرآن الكريم، وفيما جاء عن رسول الله ﷺ، المسؤوليات تجاه كل هذه الفئات.

ثم يدخل إلى عرض تفصيلي عن هذه الفئات، وأهمية دور كلٍّ منها: **((فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسَبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ))**

هذا هو الدور المفترض لهم، الذي يجب أن تُبنى مؤسساتهم، وتبنى تشكيلاتهم، وجهاتهم، وإدارتهم، عليه، على هذا الأساس يعني، على أساس أن يكونوا هكذا: أن يكونوا **((حُصُونُ الرَّعِيَّةِ))**، الحماية للأوطان والأعراض والممتلكات، أن يكونوا هم السياج الحامي للمجتمع، الدافع عن المجتمع؛ حتى يلمس المجتمع ذلك منهم، أن يراهم له، وليس عليه، أن يعرف أن الجيش هو جيشه، لحمايته، لدفع الشر عنه، لدفع الأعداء عنه، للحفاظ عليه، للحفاظ على كرامته، وعرضه، ووطنه، وممتلكاته.

ودورهم المهم جداً أيضاً في إرساء دعائم الحق والعدل في أوساط المجتمع؛ لأن دفع الشر عن المجتمع، وتحقيق هذا الدور في الحفاظ على المجتمع، هو

مرتبطٌ بما يسعون للحفاظ عليه لأن يكون سائداً في واقع هذا المجتمع، من الحق، والعدل، والخير، والقيم الإلهية.

وكذلك بالنسبة للأمن، أن يلحظ المجتمع أن هذا الأمن، وأن تلك الجهات الأمنية هي لحمايته، لمنع الجرائم، لمنع الفساد، لمنع التظالم، لمنع التعدي على بعضهم البعض، للحفاظ على الاستقرار في واقعهم، للحفاظ عليهم، وعلى ممتلكاتهم، وعلى حقوقهم، وعلى أعراضهم.

فهذا هو الدور الذي يجب أن يكون العمل على أساسه، ثم يُبنى على أساسه التزامات معينة، ومسؤوليات معينة، ويتحقق هذا التكامل الإيجابي في الواقع.

((حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ))؛ لأن الولاة بدون جنود، بدون أمن، بدون قدرة عسكرية وأمنية، سيكونون مفلسين، لا قيمة لدورهم، ولا تأثير لهم.

((وَعِزُّ الدِّينِ))؛ لأن من خلال دورهم تترسخ القيم الإلهية، قيم الحق والعدل والخير في واقع المجتمع؛ لأن الدين هو عبارة عن مبادئ عظيمة، وقيم وتشريعات كلها قائمة على أساس الحق والعدل والخير لصالح المجتمع.

((وَسُبُلُ الْأَمْنِ))، والناس بحاجة إلى الأمن، الأمن من الضروريات التي يحتاج الناس إليها لاستقرار حياتهم، بدون أمن؛ لا استقرار اقتصادي، ولا استقرار معيشي، ولا استقرار للحياة أبداً.

((وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ))، فإذا كان المجتمع بدون قوة عسكرية وأمنية تقوم بحمايته، بالدفاع عنه؛ سينهار وضعه.

((ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ، الَّذِي يَقَوُّونَ بِهِ عَلَى جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ))

لو تحرك الكل ليكونوا جنوداً؛ لأفلسوا، لما كان لديهم أي إمكانيات، ولا قدرات، ولا نفقات، تساعدهم على القيام بهذا الدور، فيأتي هنا الدور الكبير، والدور المهم للإنتاج: الإنتاج الزراعي، الإنتاج الاقتصادي، الذي يوفر التمويل اللازم للجنود في الجيش والأمن، لتوفير النفقات الضرورية لقيامهم بمهامهم ومسؤولياتهم، يحتاجون إلى إمكانيات وقدرات عسكرية من السلاح وغيره، ووسائل العمل المتنوعة، يحتاجون إلى التغذية، يحتاجون إلى مختلف تفاصيل النفقات الضرورية، التي لا بدَّ منها حتى يتمكنوا من أن يقوموا بعملهم وبدورهم.

وكذلك فيما ((يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ))، يعني: ما يحيط باحتياجاتهم الضرورية المتنوعة؛ لأنَّ منها مثلاً السلاح، منها: وسائل النقل، منها: متطلبات ضرورية للمعركة، أو للحرب، أو للعمل الأمني... وهكذا، تفاصيل كثيرة تدخل في هذا الجانب، هؤلاء يحتاجون إلى التمويل، وإلا لا يمكنهم القيام أساساً بهذا الدور في حماية المجتمع، في الحفاظ عليه.

فهنا يتجلى دور الخراج في نفس المسألة، يعني: دور الإنتاج الاقتصادي والزراعي في تمويل حماية المجتمع، فهو دور في نفس حماية المجتمع، فالفئة التي تعمل من أبناء المجتمع في الإنتاج الزراعي، والإنتاج الاقتصادي، والأنشطة المعيشية، التي توفر الحركة المالية، وتوفر الدعم اللازم، دورها أساسي جداً، دورها أساسي ليس فقط على المستوى المباشر، في توفير غذاء الناس، واحتياجات الناس الضرورية، بل دورها أيضاً مهم جداً في الجانب الأمني، والجانب العسكري.

فلتكن كل فئة تدرك أهمية الأدوار الأخرى لدورها نفسه، لدعم دورها نفسه؛ حتى تدرك قيمة ما يقوم به الآخرون؛ لأن البعض مثلاً قد يقول: [أنا دوري هو الأساس، وبقية الأدوار لا أهمية لها، أنا أريد منكم أن تهتموا بدوري أنا]، مثلاً: كجهة عسكرية وأمنية، يقول: [دوري هو الأساس، بقية الأدوار لا أهمية لها، هذا الدور الذي إن فُقد، أو تضرر، أو ضعف؛ انهارت بقية الأدوار]، صحيح، إن فُقد، ستنهار بقية الأدوار، ولكن لا يمكن أيضاً قيامه هو إلاً ببقية الأدوار، فهذا الترابط يجب أن يعيه الجميع، وأن تعيه قبل ذلك الجهات المعنية المسؤولة عن الناس، المسؤولين، من هم في موقع المسؤولية، أن يعوا أهمية كل هذه الأدوار.

((ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ، مِنَ الْقَضَاةِ، وَالْعُمَّالِ، وَالْكَتَّابِ، لِمَا يُحْكَمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا))

الذين ينشطون في الإنتاج الزراعي، والإنتاج الاقتصادي، والأعمال ذات الأهمية الكبيرة في الواقع المعيشي، يحتاجون إلى إدارة لشؤونهم، ونظم لمعاملاتهم؛ لأنهم يعتمدون على المعاملة في أعمالهم، إذا لم يكن هناك إدارة لهذه المعاملة على الوجه الصحيح، وحل للمشاكل التي تعترى معاملاتهم، وتدخل في معاملاتهم؛ سيتحول الواقع إلى فوضى كاملة، هذا الدور في حل المشكلات، في نظم المعاملات، في ترتيبها، في إدارتها على الوجه الصحيح، يعود إلى مَنْ؟ القضاة، العمال، الكُتَّاب، يعني: الإداريون ونحوهم، لما يقومون به من نظم لهذه المعاملات، وحل لمشكلاتها وتعقيداتها، وترتيب لازم لإجرائها وتسهيلها وترتيبها، هذا كله أيضاً دورٌ مترابط، دورٌ لا بدَّ منه لذلك الدور.

((وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِالتَّجَارِ، وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ))

وكل تلك الفئات التي مضى الحديث عنها، ((لَا قِوَامَ لَهُمْ)): لا يستقيم دورهم، ولا ينهض دورهم، ولا يتمكنون من القيام بدورهم بالشكل الفعّال، والإيجابي والمثمر إلا بالتجار؛ لأن التجار هم الذين يقومون بالحركة التسويقية، المزارع- في نهاية المطاف- يواجه مشكلة في تسويق منتجاته، المنتج الآخر كذلك يواجه مشكلة في تسويق منتجاته، كثير من المتطلبات التي قد لا تتوفر أصلاً في الإنتاج المحلي تحتاج إلى توفير ولو من بعيد، هذا الدور يقوم به التجار، التجار دورهم مهمٌ جداً، وضروري في الحركة الاقتصادية، وحركة الأسواق، والنشاط الاقتصادي، ودور مهم لبقية الأدوار.

الجانب الصناعي كذلك ((ذَوِي الصَّنَاعَاتِ))، سواء أصحاب الحرف والمهن، أو الإمكانات مثل هذا العصر، الإمكانات الصناعية، المصانع، وصولاً إلى مصانع عملاقة، مصانع بمختلف الأحجام والمستويات والقدرة التصنيعية، والأنواع الكثيرة جداً، التي تشمل جوانب كثيرة، هي كذلك جانبٌ مهم، كل هؤلاء أدوارهم مهمة، وأدوار مترابطة، في صلاح واقع المجتمع، وانتعاش وضعه الاقتصادي، ومتطلباته الأساسية لمعيشته وحياته.

((فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ))

لأنهم يوفرون كثيراً من الاحتياجات، بحيث لا يحتاج كل شخص إلى أن يكون منشغلاً بصناعة كل احتياجاته، هذا سيكون أمراً شاقاً ومتعسراً، وغير متاح أصلاً،

لو كان كل شخص مثلاً سيبقى منشغلاً بأن يصنع لنفسه كل التفاصيل؛ لعطل بقية الاهتمامات والأعمال، لو بقي مثلاً القاضي منشغلاً بالزراعة، والتصنيع، ومختلف الأعمال، فمتى سيعطي وقتاً لحل مشاكل الناس، أو الشخص الآخر مثلاً، أو الطبيب... كل فئة، هذا التكامل فيما بين الناس له إيجابية كبيرة، هو تديرُ إلهي عجيب، ويعطي قيمةً كبيرة لكل دور، لكل فئة، وأهمية لكل دور ولكل فئة من أبناء المجتمع، وهو عامل من عوامل الترابط فيما بين أبناء المجتمع، إذا وظّف بشكلٍ صحيح لتعزيز الألفة بين أبناء المجتمع، وتحسيس أبناء المجتمع بقيمة كل دور يقوم به كلٌّ منهم تجاه الآخرين.

((وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفِّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ))، صحيح؛ لأنهم مثلاً ذوي الصناعات هم الأكثر إتقاناً لأن يصنعوا لك ما لست قادراً أنت على صنعه لنفسك، سيكونون أكثر إتقاناً، **((كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خَلَقَ لَهُ))** في هذه المجالات، مجالات العمل في شؤون الحياة، متطلبات الحياة، في التجارة، في الصناعة بمختلف أنواعها، في المهن بمختلف أنواعها، وكله دور مهم لخدمة المجتمع، ولمصلحة المجتمع.

((ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ))

يعني: من الحق ومن المسؤولية **((رِفْدُهُمْ))**: مساعدتهم، **((وَمَعُونَتُهُمْ))**، هم فئة لا بد من العناية بها، **((أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ))**: البائسين، الفقراء المعدمين، البعض لأنهم مثلاً عاجزون عن العمل، أو ليست لهم حيلة في العمل، ليست لهم بصيرة بالعمل، يحتاجون إلى مساعدة، قد يكون في حال بعضهم جزء من مساعدتهم: مساعدتهم على العمل، وعلى أن يتحوّلوا إلى واقع

منتج، مثمر، ومساهم، أو عامل، وهذا لا يغني أيضاً عن المواصاة على كل حال، المواصاة لمن يستطيع ومن لا يستطيع منهم من ذوي الظروف الصعبة جداً، هناك مسؤولية تجاههم.

((وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ))

في فضله، في رزقه، فيما يمنُّ به من فضله الواسع، وفي تدبيره، وفي تشريعه، وفي هدايته، كلُّ هؤلاء شملهم لطف الله، وفضله، ورعايته، وتدبيره، وهياً للمجتمع ما يفي باحتياجات المجتمع بشكلٍ عام.

((وَلِكُلِّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ))

الوالي عليه مسؤوليات تجاه كل هؤلاء من أبناء المجتمع، بما يصلح دور هذا الجانب، أو هذه الفئة، ويساعده على أداء دوره بشكلٍ صحيح، وبما فيه صلاحه.

((وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةٍ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ))

هي مسؤولية على عنق المسؤول؛ وبالتالي إن تجاهل، أو أهمل، أو فرط، أو تعامل بطريقة مختلفة: لديه اهتمام البعض، وتجاهل للبعض الآخر، فهو يتحمل مسؤولية تقصيره، أو تفريطه، أو تجاوزه، مسؤولية بينه وبين الله ﷻ أولاً، ثم مسؤولية عليه في الواقع، يتحمل تبعات تقصيره، أو تفريطه، أو تجاوزه، أو تعامله السيئ تجاه هذه الفئة، أو هذه الفئة؛ لأنه لا يخرج من تبعات هذه المسؤولية إلا أن يستعين بالله، ويسعى بقدر ما يستطيع لأداء مسؤوليته تجاه الجميع.

((وَتَوَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ، أَوْ ثَقُلَ))

يوطن نفسه، ويستعين بالله، ويعزم، ويصبر على أداء مسؤولياته، فيما هو خفيف، أو ثقيل، وأحياناً الجوانب النفسية تؤثر على الإنسان، يواجه صعوبات، استنزافات، إساءات... أشياء كثيرة، لا يجعل منها مبرراً للتصل عن المسؤولية، أو التفريط في أدائه للمسؤولية، تجاه هذه الفئة، أو تجاه تلك، عليه أن يصبر، يسعى لأداء مسؤوليته.

فهذه الفئات من أبناء المجتمع، هناك مسؤوليات تجاهها جميعاً، بدءاً بالجنود في ترتيب ونظم أمرهم، ولذلك يقول:

((فَوَلِّ مَنْ جُنُودَكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَإِلِئِمَامِكَ))

في ترتيب وضع الجنود، سواءً في الأمن، أو في الجيش، أول مسألة تؤخذ بعين الاعتبار لنظم أمرهم كما ينبغي، ولصلاح واقعهم كما ينبغي، هي: في تحديد واختيار المسؤولين عنهم، المسؤولين المباشرين عنهم.

ولهذا قال: ((فَوَلِّ مَنْ جُنُودَكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ))، يعني:

من تعرف عنه أنت أنه الأنصح، يعني: الأصدق والأخلص، الذي هو أكثر إخلاصاً بحسب معرفتك، أكثرهم إخلاصاً وصدقاً مع الله ﷻ، هو جديرٌ بأن يتحلى بالمسؤولية، أن يستشعر أهمية المسؤولية؛ لأنه مخلصٌ لله ﷻ، صادقٌ مع الله ﷻ، يخاف الله من أن يقصّر، يدرك أن التقصير، أو التفريط، أو الخيانة، ذنبٌ عظيم، يستحي من الله، يحب الله، يعظم الله؛ وبالتالي يتقي الله ﷻ، فأنت تعرف عنه أنه الأكثر إخلاصاً وصدقاً مع الله ﷻ.

((أَنْصَحُهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِإِمَامِكَ))، وللرسول ﷺ، فهو يرى في رسول الله القدوة والأسوة، ويلتزم بهدي رسول الله ﷺ، **((وَلِإِمَامِكَ))**.

فالأصح، الأكثر إخلاصاً، وصدقاً، وجدّاً، واهتماماً، ووفاءً، وولاءً، هو من يؤمن على أن يكون على رأس هذه المسؤوليات العسكرية والأمنية، هو لن يستغل موقعه في الأشياء السيئة، في ممارسة ظلم، أو مصالح شخصية، أو يسيء، أو يخدم العدو، أو يتصرف تصرفات سيئة.

((وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً))

مع إخلاصه وصدقه مع الله ﷻ، هو: **((أَنْقَاهُمْ جَيْباً))**.

يقولون عن هذه الجملة: **((وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً))** أنها كناية، البعض يقول: أنها كناية عن صفاء صدره، طبعاً الجيب كان يعبر به عن الفقرة في اللهجة المحلية، وليس الجيب المعروف الذي يسمّى في عرف بلدنا جيباً، هذا كان يعبر به عما يسمى باللهجة المحلية بالفترة، فيقولون: هذه كناية عن سلامة الصدر، بمعنى: أن من يؤلّى مثل هذه المسؤوليات العسكرية والأمنية، يكون ممن هو مع إخلاصه لله، وصدقه مع الله ﷻ، يكون أيضاً ممن صدورهم سليمة، ليس مليئاً بالعقد، والأحقاد، والضغائن، ويمكن أن يستغل مسؤوليته (العسكرية، أو الأمنية)، في تصفية حسابات شخصية، وإلحاق ضرر بالناس بغير وجه حق، وأذية الناس، والتسلط عليهم، بالاستغلال لإمكاناته وصلاحياته (العسكرية، أو الأمنية)، أو ممن لعقده وأحقاده وضغائنه يمكن أن يفتح أي مشكلة (أمنية، أو عسكرية) بكل بساطة، بدون ضرورة، بدون حاجة؛ لأنه يتعامل من واقع نفسه المأزوم، والمعقد، والمشحون بالضغينة، وهذه مسألة مهمة جداً فعلاً في مثل

هذه المسؤوليات الأمنية والعسكرية؛ لأن الإنسان المشحون بالضغينة، المملوء بالعقد والأحقاد، عندما يكون في عمل أمني، أو عمل عسكري، سيتهيأ له فرصة أن يضر، أن يصفى حساباته، أن ينقُص عن أحقاده وضغائنه الشخصية، أن يفتح المشاكل لأبسط الأسباب، فينعكس الدور، من حماية الناس، من الحفاظ على أمنهم، من العناية بهم؛ إلى أن يتحول هو إلى مصدر شر عليهم، أو خطر عليهم، أو ضرر عليهم، فتصبح نظرة الناس إليه إلى أنه مشكلة عليهم، وليس حماية لهم، ولا أمناً لهم، لا يحملون الشعور بالاطمئنان إليه، أنه من أجل حمايتهم والدفاع عنهم.

أيضاً مما يكتنى به من خلال هذه الجملة ((أَنْقَاهُمْ جَيْباً))، هي أيضاً مما يكتنى به عن الأمانة، أنه إنسانٌ أمين، أمينٌ على ما في يده من مال، أمينٌ على ما يؤتمن عليه من عمل، أمينٌ على ما يؤتمن عليه من قيم، وهذه من المتطلبات الضرورية، في من يكونون على رأس هذه المسؤوليات (مسؤوليات أمنية، أو مسؤوليات عسكرية)، أن يكونوا فعلاً من ذوي الأمانة، الأمانة المالية، الأمانة فيما في أيديهم من إمكانيات، هي إمكانيات عامة، هي إمكانيات للأمة، هي إمكانيات ترتبط بتلك المسؤولية، ليست مستباحةً للاستغلال الشخصي، والانتفاع الشخصي بغير حق، والعبث، والهدر، والخيانة، من ذوي الأمانة على مستوى مسؤولياتهم وأعمالهم، أن يعملوا فيها وفق التوجيهات الإلهية، وفق الضوابط الشرعية، وفق المهام المحددة بما يطابق مقتضى الشرع الإلهي، وألاً يستغلوها استغلالاً شخصياً لممارسة الظلم، أو لممارسة الفساد، أو الانتفاع الشخصي الذي لا وجه له، يؤتمنون في العمل، يؤتمنون في الإمكانيات، يؤتمنون في الدور الذي يقومون به.

وأيضاً مما يكنى بهذه الجملة ((وَأَنْقَاهُمْ جَيِّبًا)) أيضاً سلامة السمعة والصيت، يعني: ليس إنساناً ملوثاً بما يشوهه من السلبيات، من الأعمال السيئة، من السلوكيات السيئة المشوهة.

((وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا))

هذه معايير في من يتولى المسؤولية الأمنية والمسؤولية العسكرية.

((وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا)): أيضاً الحلم يعبر به عن صوابية التدبير والتفكير، يعني: عمن يمتلك التفكير الصائب والمتوازن والراشد، عندما قال الله: ﴿أُمَّ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾^(١)، ويعبر به أيضاً- في لازمه، لازم التفكير المتوازن، والرؤية الصائبة الراشدة- في التصرف تجاه ما يستفز الإنسان برشد وتوازن وحكمة، كيف يتعامل معه بحلم، ليس ممن يتهور ويتسرع إذا استفزه شيء معين؛ لأن البعض من الناس مثلاً مجرد استفزاز بكلمة، قد تكون حتى كلمة عادية في مستوى الاستفزاز، يقابلها بتهور وبمبالغة وإفراط في ردة الفعل، فهذا لا يمتلك الحلم، الذي هو نتاج للرشد في التفكير والنفس والمشاعر، بحيث يتعامل الإنسان مع الأمور بمقتضاها، وبحسبها، وبمستواها، وليس بمستوى انفعاله الشخصي؛ لأن الإنسان الذي يتعامل مع الأمور بمستوى انفعاله الشخصي، وانفعاله الشخصي قد يكون على مستوى كبير وغير متوازن، يعني: قد ينفعل من قضية لا تستحق كل ذلك الانفعال، كل ذلك الغضب؛ وبالتالي يبني على انفعاله الكبير وغضبه الشديد ردة الفعل الكبيرة، البعض قد يقتل، البعض قد يدمر، البعض قد يبطش، البعض قد يبادر إلى تصرفات فيها اعتداء على ممتلكات أو نحوه، وليس هناك ما يدعو لذلك.

(١) الطور: من الآية ٣٢



إذا جئنا لميزان العدل، وميزان الحق، فنظرنا إلى تقييم ما بدر من الآخرين، أو من شخص آخر، واستفزه ذلك المستوى من الاستفزاز، نجد أنه ليس مما تكون الإجراءات التي تقابله بذلك الحجم، نجد هناك إفراطاً، تجاوزاً، يصل إلى حد الظلم، فأنت قابلت مثلاً إساءةً معينة بإساءة أكبر منها بكثير جداً، يعني: بما لا يقارن أحياناً، وهذه حالة خطيرة.

مثلاً: من خلال هذه المعايير، عندما نأتي إلى شخص يريد أن يكون على رأس مسؤولية أمنية، أو مسؤولية عسكرية، فلننظر هل هو ممن يتصف بالحلم، أم أنه من النوع الذي لا يتصف بصفة الحلم، بل هو من النوع الذي إذا استُفِزَ بأبسط استفزاز، قابل ذلك بردة فعل مبالغ فيها، وبتهور، وبتصرف أرعن وأحمق.

((وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ)) وهذا التعريف للحليم: يبْطِئُ عن الغضب ويستريح إلى العذر، يعني: لا يُسْتَفِزُ بكل بساطة وبأبسط الأمور، أي قضية استفز فيها غاية الاستفزاز، وانفعل فيها أشد الانفعال، وغضب فيها أشد الغضب، لا، هو إنسان يمتلك الرشد، والتوازن، والقدرة على ضبط النفس، ليتعامل مع الأمور بمعيار الحكمة، والحق، والعدل، والمسؤولية، وليس بمستوى الانفعال الشخصي والنفسي.

((مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ)): ليس متسرعاً في غضبه وانفعاله؛ وبالتالي تصرفاته الناتجة عن ذلك.

((وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ))

((يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ)): ليس ممن يبقى محتقناً دائماً، وساخطاً دائماً، مثلاً: استفز بشيء معين، أو أغضبه شيء معين، فبقي معقداً دائماً، لو حصل الاعتذار، لا ينفع، ولا يقبل لا بالاعتذار، ولا يريد حل الإشكال العملي نفسه، الذي سبب

انفعاله مثلاً، يريد أن تبقى المشكلة، ويريد أن يبقى ساخطاً، ويريد أن يبقى في ردة فعلٍ دائمة، مثل هذا النوع ليس إنساناً عملياً.

الإنسان العملي، الذي يتحلّى بالمسؤولية، وينجح في مهامه العملية، هو الذي يهمله صلاح العمل، ومعالجة الإشكالات، وبالتالي عندما يحصل الاعتذار، أو المعالجة لإشكال معين، أو تجاه إساءة معينة؛ لكيلا تبقى الإساءة، لكيلا يبقى الإشكال، لكي يتم تجاوزه، هو يقبل هو يرتاح إلى ذلك؛ لأنه إنسان عملي، همه العمل، وصلاح العمل.

((وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ))

لا نتصور أن المسؤولية العسكرية تحتاج إلى إنسان متوحش من الجميع، الكل يخافه، شديدٌ على الجميع، فهو عسكري من الطراز الأول، لا، لابد أن يكون متوازناً، ومهما كان شجاعاً، ومهما كان قوي النفس، أن يكون رحيماً بالضعفاء، رؤوفاً بالضعفاء؛ وبالتالي حتى في أدائه للمسؤولية هو رحيماً بالضعفاء، في إطار عمله نفسه، في نطاق مسؤوليته، وفي نفس المهام التي يتحرك فيها، ليس جباراً يبطش بالضعفاء ولا يرحم أحداً، يتصور البعض مثلاً أن المسؤولية العسكرية تحتاج إلى إنسانٍ قاسي القلب، ومتوحش، وفظ، غليظ، شديد على الجميع، هذا النوع لا حاجة إليه، ((وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ)).

((وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ))

يعني: ويكون- في نفس الوقت- شخصية قوية، إذا حاول الأقوياء أن يفرضوا عليه الباطل، أو أن يسخروه لخدمتهم فيما ليس بشيءٍ صحيح، أو لأن يُمَضِّي لهم ما يريدونه مما ليس بصحيح، فهو قوي الشخصية، لا يطمعون في إذلاله، والسيطرة عليه، وإمضاء ما يريدون إمضاءه عليه، مما هو منافٍ للحق والشرع،

فهو قوي- في نفس الوقت- قوي الشخصية أمام الأقوياء، ليس ضعيفاً أمامهم، هو رحيمٌ بالضعفاء، لكنه قويٌّ أمام الأقوياء، فيما يسعون إلى الضغط به عليه مما ليس صحيحاً، لأن البعض يضعف تجاه أقوياء في إطار عمله ونطاق مسؤوليته؛ فيستغلون ذلك للضغط عبره بما هو خطأ أو يلبي فقط رغباتهم الشخصية أو فيه ظلم على بقية الأفراد.

((وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ))

ليس متهوراً أمام الشدائد، أمام العنف، أمام الأهوال، إنسان أيضاً لا يفقد توازنه؛ لأن البعض قد يكون شجاعاً، ولكن إلى درجة التهور، أمام العنف، أمام الأهوال، أمام الأحداث الكبيرة، يتهور تجاهها، يفقد توازنه؛ وبالتالي يكون لذلك تأثيرٌ سلبيٌّ على أدائه، على طريقته في العمل، على أدائه الصحيح، على تخطيطه الصحيح.

((وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ)): لا يتهور، إذا استفزه شيء، فهو لا يتهور عند الاستفزاز ولا يضعف عند الشدائد، هو أيضاً راشدٌ في تصرفه، ومتماسكٌ، ومتوازنٌ، يتعامل بالشكل الصحيح، بالشكل المفيد.

((وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ))

كذلك إذا كانت الظروف صعبة، أو الواقع صعباً، أو المعاناة كبيرة، لا يدفعه ذلك إلى القعود والتنصل عن المسؤولية، ولا يريد أن يتحرك إلا إذا أعطي وأعطي وأعطي، وتوفرت له كل الطلبات، يعني: لا يكون عوناً في المراحل التي تحتاج إلى رجال يمثلون عوناً في كل الأحوال، يتماسكون في كل الظروف.

((ثُمَّ الصَّقُ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ))

يعني: اعتمد في العمل العسكري والأمني بشكل كبير وأكثر من الآخرين على ذوي المروءات.

المروءة كنزٌ من النبل والأخلاق الحسنة، الإنسان الذي فيه مروءة فيه كرامة، فيه وفاء، لديه قيم، المروءة هي: مجمعٌ من القيم العظيمة والمهمة، الإنسان الذي فيه مروءة هو وفي، هو صادق، هو معطاء، هو مواسٍ، يمتلك صفة الإحسان، صفة المبادرة، قيم عظيمة ومهمة وأصيلة، يمثل عوناً، عوناً حقيقياً في المواقف الصعبة، والتحديات الكبيرة، ليس من النوع الذي قد يقف معك إذا كانت الأمور متيسرة، والظروف جيدة، والأوضاع مساعدة، والأجواء مهيأة، وسيحظى من خلال ذلك بالمكانسب، والمنافع، والصيت الحسن، فإذا كانت الأمور صعبة، والظروف قاسية، والمعاناة كبيرة، والتحديات كبيرة، تتطلب أعواناً حقيقيين، فهو ذلك الذي يتغير تجاهك، على حسب التعبير المحلي [يفسل]، ولا يفي معك، ولا يقف معك الموقف الصادق.

((بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ))، (الْأَحْسَابِ): المفاخر بالأعمال

والقيم العظيمة، يعني مثلاً: البعض لديهم رصيد، البعض حتى رصيد تاريخي يتوارثون القيم العظيمة، ومكارم الأخلاق، والإحسان، والمواقف المشرفة، والوفاء، هؤلاء من يتربون على ذلك، من يمتلكون هذه الأصالة القيمية والأخلاقية، يمكن أن يعتمد الإنسان عليهم في المهام الأكبر، والمواقف الأصعب، والتحديات الأشد؛ لأنهم يمثلون عوناً حقيقياً، عندهم دافع أخلاقي وقيمي كبير، لديهم تفاعل فطري، بقيمهم وأخلاقهم الأصيلة فيهم، التي يتربون عليها منذ طفولتهم، فهم

تربوا على الوفاء، على النجدة، على العطاء، على الصدق، على العون، على المساعدة، على الثبات، على... وهكذا، يستحيون من أن يفسلوا، من أن يخونوا، من أن يغدروا، من أن يفرطوا، من أن يحصل من جانبهم ما لا يليق بذوي الوفاء.

((وَأَهْلَ الْبُيُوتِ الصَّالِحَةِ))

((الْبُيُوتِ الصَّالِحَةِ)): التي تتربى على الصلاح، والخير، والقيم العظيمة، ومكارم الأخلاق، والوفاء، وصدق اللسان واللهجة، وصدق الوعد... وغير ذلك من القيم، يعني: هذه معايير قيمية، معايير أخلاقية.

((وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ))

لأن البعض مثلاً من الناس له تاريخ مشرف، من الوفاء، والقيم، والأخلاق، هذا يطمئن في أن تعتمد عليه، وتؤمّل أنه فيما بقي سيكون كما مضى.

((ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَّاحَةِ))

((النَّجْدَةِ)): الذين يتحركون في المواقف الصعبة، في التحديات والأخطار، بمبادرة من جانبهم، يبادرون بالتحرك، فيعينون في المواقف الصعبة، في مواجهة التحديات والأخطار والأعداء، ليسوا ممن إذا حصلت أهوال، وتحديات، ومخاطر كبيرة، يتهربون عن المسؤولية، وعن التحرك، ويحاولون أن يبتعدوا، أو أن يتنصلوا عن المسؤولية، أو أن يتهربوا من المبادرة للمواقف، هؤلاء من يبادرون في المواقف التي تستدعي التحرك العاجل، عندما يدهم الخطر، أو يتوغل العدو، أو تحصل مواقف فيها ما يستدعي التحرك والمبادرة والمصارعة، ذات طابع إنساني أو أخلاقي.

((أَهْلُ النَّجْدَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ، وَالسَّمَاخَةِ))، أهل شجاعة، وعطاء، وكرم، هؤلاء أعوان حقيقيون في المواقف الصعبة، المسؤوليات العسكرية والأمنية يمكن لهؤلاء أن يقوموا فيها بأدوار كبيرة، يوثق بهم، ويعتمد عليهم، وهم أعوان حقيقيون.

((فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنَ الْكِرَمِ، وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرْفِ))

لأنها تتجمع فيهم مكارم الأخلاق والمواصفات المهمة، التي تؤهلهم لأداء دور مهم في الجوانب العسكرية والأمنية، وحماية المجتمع، والدفع عن المجتمع، والقيام بالأدوار المهمة في ذلك.

يمكن يطول بنا الوقت، نكتفي بهذا المقدار، إن شاء الله نستكمل في الدروس الآتية. نسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،



درس من

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الصفحة: ١٣٣

الدرس: السادس

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛

كنا وصلنا بالأمس إلى الحديث عن معايير اختيار قادة الجنود، والكوادر التي يُعتمد عليها في المسؤوليات العسكرية والأمنية، وقرأنا بعضاً من تلك المعايير:

- في مقدمتها: أن يكون من يتولى مثل هذه المسؤوليات ممن يؤمّل فيهم، بأنهم الأكثر إخلاصاً، وصدقاً، ونصحاً، والأكثر أمانةً، وسلامةً للصدر، وسلامةً مما يشين في السلوكيات العامة، والجوانب الأخلاقية.

- والأفضل حليماً، والحلم من متطلبات المسؤوليات الأساسية، والإنسان الحليم هو الذي لا يستفز الغضب، ولا يعثب به الطيش، ولا يستخفه هوى النفس، فهو منضبط في حالة الغضب، ويتعامل بمقتضى الحكمة، والعدل، والحق، وليس وفقاً للغضب وحالة الانفعال، وتحدّث الإمام علي عليه السلام عن ذلك بقوله: **((مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ))**.

- وكذلك أن يكون إنساناً متزناً في مشاعره وتصرفاته.
- وأن يكون رؤوفاً بالضعفاء، وقوي الشخصية تجاه الأقوياء، الذين قد يستغلون نفوذهم وشخصياتهم القوية لفرض ما هو ظلم، أو خطأ، أو باطل، أو تجاوز.
- وأيضاً قال: **((وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ))**، في كل ما تفيده هذه العبارات، سواءً في تماسك الإنسان أمام الأهوال والشدائد، أو في اتزانه عند الأمور التي تزعجه وتثير انفعاله، فهو ليس متهوراً، وكذلك أمام الأحداث والظروف مع الواقع الصعب، أو كذلك ممن لا يضعف عند المهام الصعبة والتحديات الشديدة.

- ثم تحدّث عن أهمية الاعتماد بشكل أكبر على ذوي المروءات، المروءة في الإنسان هي عندما تترسخ فيه مكارم الأخلاق، وبذل المعروف، مع الترفع عن الرذائل وسفاسف الأمور، والإنسان إذا تربّى على ذلك، يصبح الخير عنده عادة، وتصبح مكارم الأخلاق في نفسه سجية، ومواصفات أصيلة لا يتكلفها، أصبح متطبّعاً عليها، وآلفاً لها؛ وبالتالي يسهل عليه الالتزام بذلك.

- وكذلك أهل البيوتات الصالحة، والسوابق الحسنة، والأحساب، يعني: الذين يتوارثون مكارم الأخلاق، ويتربون عليها، وينشؤون عليها، فهي أصيلةٌ فيهم، وأصبحت بالنسبة لهم طبيعة وسجية وراسخة في أنفسهم، يسهل عليهم الالتزام بها، والثبات عليها.

ثمرة كل ذلك، مع قوله: ((أَهْلُ النَّجْدَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ))، كل هذه المواصفات ثمرتها في ذوي المسؤولية ممن يتصفون بها: أنهم سيكونون على مستوى القدرة اللازمة للأداء للمسؤولية، والنهوض بها، والتحمل للشدائد والصعوبات والتحديات، والوفاء، والثبات، والالتزام للأفراد في إطار مسؤولياتهم، للجنود، واحتوائهم، واستيعابهم، والعناية بهم، مع الاطمئنان إلى وفائهم، وثباتهم، وجهدهم، وعطائهم، فيمثلون عوناً حقيقياً في مواجهة التحديات، وهذا ما تقتضيه طبيعة هذه المسؤولية: المسؤولية الأمنية، والمسؤولية العسكرية.

ثم قال عليه السلام:

((تُمْ تَفْقَدُ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا))
تَفْقَدُ: الرعاية الأبوية، التي فيها اهتمامٌ بأمورهم وظروفهم وأحوالهم، والعناية بهم في ذلك.

((وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ))

لا يكبر عليك وتعتبره فوق استحقاقهم، أو تعتبره غير مهم، كل ما يمكن أن يقويهم، أن يكون سبباً لقوتهم، وهذا يشمل العناية بهم على المستوى المعنوي، والتربية الإيمانية، وعلى مستوى التدريب والتأهيل، وكل ما يساعد على رفع قدرتهم العسكرية، وتقويتهم في أداء مهامهم العسكرية والأمنية.

((وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ))

لأنه من المهم العناية بهم، سواءً على مستوى الأمور المهمة والكبيرة، أو على مستوى الأمور التي قد يعتبرها الإنسان من الأشياء البسيطة غير الضرورية، أو في حال الظروف الصعبة، قد يستغل الإنسان تقديم بعض المعروف، أو الاهتمام ببعض الأمور؛ لأنه يعتبرها قليلة، وهو- في نفس الوقت- لا يمتلك في ذلك الطرف، أو في تلك الحال، ما يمكن أن يساعدهم به، أو أن يراهم به، أو أن يعتني بهم من خلاله، فيستقله؛ فيتوقف، وهذا ليس بصحيح، الصحيح أن يقدم الإنسان كل ما يمكن مما فيه لطف، ورعاية، ويعبر عن العناية بهم، والاهتمام بهم، هذا له أهمية كبيرة في أن يشعروا بالمساندة، والدعم، والاهتمام بأمرهم.

((فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَىٰ بَدْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ))

للعناية بهم في أمورهم الكبيرة والصغيرة، والاهتمام بهم المعنوي والمادي، والرعاية الشاملة لهم، وإشعارهم وتحسيسهم بهذا الاهتمام بأمرهم، له أثره الكبير في أن يبذلوا النصيحة، أن يعملوا بجد، وأن يتفاعلوا، وأن يكونوا ناصحين، وصادقين، وجادين، وكذلك في حسن الظن بك، وهذا له أهميته الكبيرة؛ لكي يكونوا مطمئنين نحوك، لا يشكُّون بمدى اهتمامك تجاههم، أو يستشعرون عدم مبالاةك بهم، أو يتوهمون أنك غير مكترث بأحوالهم، عندما يلمسون من جانبك الاهتمام، والمبادرة، والعناية، سيحسن ظنهم بك، ويطمأنون إليك، وهذا له أهميته في اهتمامهم العملي، وفي جديتهم العملية، وفي استجابتهم للتعليمات والتوجيهات، وتفاعلهم على المستوى العملي.

((وَلَا تَدْعُ تَفْقُدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ، اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ
لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا
يَسْتَتَغْنُونَ عَنْهُ))

لا تعتمد فقط على الاهتمام بهم في الأمور الكبيرة، وتقول: لا داعي للعناية
بهم في الأمور الصغيرة، احرص على أن تكون رعايتك لهم شاملة في الأمور
الكبيرة والأمر الصغيرة، ولكل ذلك أثره على المستوى النفسي، وعلى المستوى
المعنوي، وهناك أهمية كبيرة فيما يتعلق بمسؤولياتهم الأمنية والعسكرية،
وتنفيذهم للمهام الصعبة، في أن يشعروا بالعناية بهم، بالدعم المعنوي، كل
هذا ليشعروا بالاهتمام بهم، فيمثل ذلك دعماً معنوياً يرتاحون به؛ فينطلقون
في مهامهم العسكرية والأمنية بروح معنوية عالية.

قد يتصور الإنسان في بعض الأمور أن ليس لها أهمية، وقد تمثل أهمية كبيرة،
مثل: زيارة الجريح، أو إيصال هدية إليه، أو العناية بأسرته، أو... على مستوى
أمر قد يتصورها الإنسان أموراً عادية، ولكنها ذات أثر معنوي رائع، يساهم
في رفع المعنويات، وفي الاطمئنان، وفي الشعور بتقدير الجهود... إلى غير ذلك.

((وَلَيْكُنْ أَثْرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ))

ليكن أثرهم: يعني أعلاهم منزلةً عندك، وأكثرهم اعتماداً عليه من رؤوس
الجند، من مسؤوليهم وقادتهم، من يساعدهم بمعونته، ويهتم بهم، ويرعاهم.

((وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَدَّتِهِ، بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ
خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ))

يعني: من يسعى لتوفير احتياجاتهم واحتياج أهليهم من ورائهم كذلك.

هذا النوع من القادة، الذي عنده اهتمام كبير بأفراده، بجنوده، يسعى للعناية بهم، للعناية بأهليهم وأسرهم، ليكون عندك أعلاهم منزلةً، أكثرهم اعتماداً؛ لأنه يؤدي مسؤوليته بشكل صحيح، ويلحظ هذه الجوانب المهمة.

للأسف كان المعتاد مثلاً في كثير من الجيوش العربية؛ لأنها مبنية على أسس غير صحيحة، ومبنية على الاهتمام بدعم الأنظمة فقط، وليست للشعوب، ولا تبنى على أسس إيمانية، ولا أسس صحيحة، فكان من المعروف في واقعهم أن الكثير من القادة عادة ما يسعون إلى أن يأخذوا على الأفراد مما هو مخصص لهم، مثلاً: من رواتبهم، من اعتمادهم المالي، من تغذيتهم، من نفقاتهم، وأن يختلسوا عليهم ما يستطيعون، وما يتمكنون منه، بحسب ما يمتلكون من الحيلة في ذلك، والبراعة في النصب والاحتيال، وأصبحت هذه ظاهرة في كثير من الجيوش، ولها تأثيرها السيء على معنويات الجنود.

الجنود عندما يشعرون تجاه قادتهم ومسؤوليهم أنهم حريصون على العناية بهم، على الاهتمام بأمرهم، على توفير احتياجاتهم بقدر ما يستطيعون، مهتمون برعاية أسرهم وأهليهم، سيكون لهذا أثر إيجابي، ويمثل عاملاً مهماً في الاطمئنان، وفي نفس الوقت في العلاقة الإيجابية ما بين القادة والجنود، العلاقة الوثيقة، وفي نفس الوقت سيكون لذلك أثره في اهتمامهم بالعمل، وتفرغهم لمهامهم القتالية في الميدان، وهم في حالة إيجابية على المستوى النفسي والمعنوي، كل همهم يتجه نحو تنفيذ مهماتهم، والقيام بمسؤولياتهم، ليسوا منشغلين بظروف أهليهم؛ لأنه عندما يكونون منشغلين بظروف أهليهم، يمثل همًا مزعجاً، ومشتتاً لتركيزهم واهتمامهم بمهامهم القتالية والأمنية.

((حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ))

عندما يكون هناك اهتمام بأهليهم وأسرهم، لا تبقى حالتهم النفسية والذهنية منشغلة وقلقة، ومتألمة لوضع أهليهم وأسرهم، يتجه كل اهتمامهم إلى جهاد العدو، والتصدي للعدو، وتنفيذ المهام الأساسية لهم.

((فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ))

عطفك عليهم، واهتمامك بأحوالهم وظروفهم، وظروف أهليهم، يعطف قلوبهم عليك بالمحبة، والاطمئنان، والثقة، وحسن الظن، ويكون لهذا أثر كبير في استجابتهم العملية، وتنفيذهم لمهامهم، واطمئنانهم إليك، وإلى توجيهاتك، وإلى أوامرك؛ لأنهم يلحظون منك أنك محبٌ لهم، وناصرٌ لهم، وتريد الخير لهم، فسيطمئنون تجاهك، أنك في محل الثقة، لن تجازف بهم في غير ما ينبغي، لن تتعامل معهم بلا مبالاة بهم في الميدان وفي تنفيذ المهام؛ لأنهم قد لمسوا منك حرصك على العناية بهم، والاهتمام بهم، وهذه الثقة لها أهمية كبيرة في تفاعلهم معك في ميدان العمل، واستجابتهم لك في تنفيذ المهام، بما فيها المهام الصعبة، والتي يواجهون فيها تحديات ومخاطر كبيرة.

((وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ))

هذا معيار مهم للنجاح في أداء المسؤولية، له هذه النتيجة وهذا الأثر في نفوس الناس:

- ظهور مودة الرعية، تظهر مودتهم؛ لارتياحهم على الأداء العملي، ولما يلمسونه من الاهتمام، والجدية، والنصح، والإخلاص، في أداء المسؤولية في خدمتهم، والعناية بأمورهم وشؤونهم.

- وأيضاً استقامة العدل؛ لأنه شيءٌ أساسيٌّ، هو أصلاً الهدف العملي الرئيسي من أداء المسؤولية: استقامة العدل.

فعندما تتحقق في الواقع استقامة العدل، وتظهر مودة الرعية، فهذا ذروة النجاح، ومعيارٌ مهمٌ لمستوى النجاح، وهذا ما تقر به عين الولاة، الذين يتولون المسؤوليات بدافعٍ إيماني، وليس بدافع المكاسب الشخصية، والأهواء، والأطماع، والرغبات، بل يتجهون في ذلك من وعي، وبشعورٍ بالمسؤولية لخدمة الناس، فهم يستشعرون أنهم نجحوا في تنفيذ مهامهم، بما تحقق من العدل، وبما ظهر من مودة الرعية، فتقرُّ أعينهم بذلك، وترتاح أنفسهم، وترتفع معنوياتهم، ويؤدون مسؤولياتهم بطاقة عملية كبيرة؛ لأنهم يلمسون النجاح الكبير.

بينما مثلاً: إذا كانت الحالة حالة مختلفة، كانت البيئة التي يعمل فيها الإنسان، ويؤدي فيها مسؤوليته، بيئة مشحونة بالسخط، والاستياء، والنظرة السلبية، فهذا له أثر حتى على معنويات الإنسان وهو في موقع المسؤولية؛ لأنه يرى أولئك الذين يتحرك في خدمتهم، والاهتمام بأمرهم، ساخطين عليه، مستائين منه، معقدين عليه، فسيكون لذلك الأثر السلبي حتى على معنوياته، على اهتماماته.

فهذه العلاقة ما بين المسؤولين وما بين المجتمع علاقة مهمة، كيف تكون علاقة؟ من خلال حسن أداء المسؤولية، تظهر هذه الثمرة، تتحقق هذه النتيجة: في ((اِسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ))، وفي ((ظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَةِ)).

((وَأِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ، إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ))

وسلامة صدورهم تأتي من خلال حسن الأداء، التعامل وفق هذه القيم، وفق هذه المبادئ، بالتأكيد سيكون لذلك أثره الإيجابي في نفوس الناس، إلا من كان لديه دوافع تعقده، دوافع أخرى؛ أمّا من بقي على فطرته الإنسانية،

فالتعامل وفق هذه القيم، وفق هذه التعليمات، وفق هذه المبادئ العظيمة، سيكون له أثره وثمرته الإيجابية في نفوسهم.

((وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ، إِلَّا بِحِيْطَتِهِمْ عَلَى وُلاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ))

لا يتفاعلون بنصح، ويستجيبون بجد، إلا عندما تكون نظرتهم إلى ولاة الأمور نظرة إيجابية، وعلاقتهم بهم علاقة إيجابية، يلمسون منهم الاهتمام بأمرهم، والعناية بهم، وصدورهم تجاههم سليمة، ليسوا معقدين عليهم، ولا مبغضين لهم، ولا مستثقلين لهم ولدولتهم، بل يعتبرونهم مسؤولين صالحين، يهتمون بخدمة الناس، يؤدون مسؤولياتهم بالشكل الصحيح، بالمستوى المطلوب، فلذلك هم في حالة رضا عنهم، وليسوا في حالة سخطٍ عليهم.

أما إذا كانت صدورهم مشحونة بالاستياء منهم، فهم يستثقلونهم، ويستثقلون دولتهم، ويعتبرونهم مشكلةً عليهم، ولا يرون فيهم أنهم يقدمون ما يقدمون، ويعملون ما يعملون بنصح وصدق وجد؛ وبالتالي ليسوا مهتمين بهم، بل إنهم يستبطنونهم، ويحرصون على انقطاع مدتهم، ويتمنون زوالهم ونهايتهم، العلاقة السلبية خطيرة جداً ما بين المجتمع وما بين المسؤولين، وهي عندما لا يكون هناك تعامل على أساس القيم والأخلاق، هذه القيم والأخلاق العظيمة.

((فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ، وَوَاوِصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ))

((فَافْسَحْ فِي أَمَالِهِمْ)): هي تشمل العلاقة الإيجابية معهم، التي يؤملون فيك من خلالها الخير، آمالهم فيك آمالاً واسعة، وآمالاً طيبة، وأملهم فيك أمل واسع، وكذلك تشمل من جانبك أيضاً تجاههم التشجيع لهم على الإبداع، والعناية بهم فيما يتعلق بالارتقاء العملي، أن تشجعهم على الإبداع،

وأن ترتقي بهم في أدائهم العملي، وتتجه باهتماماتهم العملية نحو ما هو أفضل، نحو ما هو أرقى، نحو ما يحقق النتائج الإيجابية في أدائهم العملي، وفي نجاحهم في تنفيذ مهماتهم وأداء مسؤولياتهم.

((وَوَاصِلٌ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذُؤُ الْبَلَاءِ مِنْهُمْ))

وَاصِلٌ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وبطريقة صحيحة، يعني: بطريقة لا تنمي فيهم حالة الغرور والعجب، مثلاً: مع الثناء عليهم ذكّرهم بأن ذلك أيضاً من توفيق الله لهم، وشجّعهم بطريقة تعدد فيها ما أبلى ذوو البلاء منهم، تذكّر نجاحات معينة، إنجازات معينة، مواقف بطولية معينة، وتشيد بها، وتذكّرهم بأنها من توفيق الله لهم.

((فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أفعالِهِمْ تَهْزُ الشُّجَاعَ))

عندما تقدّر جهودهم، تقدّر أعمالهم، تقدّر تضحياتهم، تشيد بها، تذكّر بأنها أيضاً من التوفيق الإلهي لهم، لهذا أثره الإيجابي في رفع معنويات الشجعان منهم، وفي تحريك نشاطهم بشكلٍ أوسع وأفضل وأكبر.

((وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ))

ولها أهمية في تحريض الناكل: المتثاقل، المتأخر، قد يتشجع وينشط، ويتحرك بشكلٍ أفضل.

((ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى))

اعرف لكل شخص منهم ما بذله هو من جهد، ما حققه من إنجاز.

((وَلَا تُضْمَنَّ بِلَاءَ أَمْرِي إِلَيَّ غَيْرِهِ))

هذه قضية خطيرة جداً، عندما تشيد بجهود شخص، وتحسبها لشخصٍ آخر، تصدر جهده وإنجازه، وتحسبه لشخصٍ آخر؛ سيحطمه، وسيؤلمه، وسيقتل روح الإبداع في غيره؛ لأنهم يلاحظون أن ما بذلوه من جهد، وما حققوه من نتيجة، يحسب لغيرهم، فيشاد بذلك الغير، ويحسب له الإنجاز.

((وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بِلَائِهِ))

لا تحطمه، وتحاول أن تقلل من قيمة جهده وإنجازه، تقول: [هذا عمل بسيط، هذا إنجاز عادي، هذا يمكن لأي شخص غيرك أن يفعله].

((وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفَ أَمْرِي إِلَيَّ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا))

((شَرَفُ أَمْرِي)): له مثلاً منزلته الاجتماعية، أو مستوى منصبه، أو مسؤوليته، يدعوك ذلك إلى أن **((تُعْظِمَ مِنْ بِلَائِهِ))**، يعني: من جهده وعطائه وعمله، **((مَا كَانَ صَغِيرًا))**؛ إنما مجاملةً له، أنت تجامله وتعظم أعمالاً صغيرة، أو إنجازات بسيطة، فتضخمها بأكبر من حجمها؛ مجاملةً له بحسب مستوى منصبه، أو منزلته الاجتماعية.

((وَلَا ضَعُتْ أَمْرِي إِلَيَّ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بِلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا))

ولا مثلاً مستوى منصبه، أو مستوى دوره، أنه- مثلاً- جندي عادي، أو في مستوى المسؤولية مرتبته مرتبة عادية، ليست مرتبة كبيرة، أو ليس له ثقله الاجتماعي، لا يدعوك ذلك إلى أن تستصغر من جهده، من إنجازته، من عطائه ما كان عظيماً، يعني: تعامل بموضوعية، من له إنجاز معين، أو حقق جهداً معيناً، وإنجازاً مهماً، تحدّث عن ذلك بمستواه، لا تنظر إلى الأشخاص، ولا تنظر

إلى مراتبهم في المسؤولية، ولا إلى ثقلهم الاجتماعي، تعامل بإنصاف، بصدق، موضوعية، وهذا يشجّع على الإبداع، وعلى الإنتاج، وعلى العمل، وعلى الإنجاز، وفي نفس الوقت من الحق، من العدل، من الإنصاف، أن تتعامل وفق الحقيقة، فهذا الذي أنجز وأبدع؛ شجّعه على إنجازه وإبداعه، وتحدّث عن إنجازه وإبداعه بمستواه، حتى لو لم يكن في مرتبة من مراتب المسؤولية عالية، وكان جندياً عادياً، أعطه حقه من الإشادة بإنجازه، من التقدير لإنجازه، من تقدير مستوى هذا الإنجاز، وأهمية هذا الإنجاز، وهذا يعود أيضاً إلى الجانب العملي، لا يخص فقط الإشادة بالذكر، أو المديح، أو ما يتعارف عليه مثلاً في الأوساط الحكومية والجيوش والدول من ترقيات وغيرها، بل يشمل مستوى التفاعل العملي؛ لأن بعض الإنجازات لها أهمية كبيرة، ولكن من خلال التفاعل معها، والاستفادة منها، فلا يكن هناك إهمال لها، أو عدم تفاعل معها؛ لأن صاحب الإبداع، أو الابتكار، أو الإنجاز، إنسان عادي، مثلاً يعتبرونه جندياً عادياً، أو إنساناً عادياً، ليس له ثقله الاجتماعي، أو مرتبته العالية في المسؤولية والمنصب، هذا التعامل الموضوعي، العادل، المنصف سيشجع روح الإبداع في كل من يمتلكون المهارات والقدرات، ويشجّع الكل.

((وَأَزِدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ))

يعني: ما يثقلك، ويشق عليك، وتعيأ تجاهه، ويلتبس عليك كيفية التعامل معه.

((مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ))

لأن الإنسان قد يواجه تحديات كبيرة، مشاكل صعبة، ظروفًا معقّدة، يحتاج إلى رؤية وبصيرة صحيحة تجاهها، فلا يتعامل معها بمجازفة، أو ينهار تجاهها، بل يرجع إلى الله، يرجع إلى هدى الله، يرجع إلى رسول الله ﷺ.

((فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ: الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ))

((فَالرُّدُّ إِلَى اللَّهِ))، مع الالتجاء إليه ﷻ، والاستعانة به: الاهتداء بهديه، واقتباس البصيرة من نوره، وكذلك (الرُّدُّ إِلَى الرَّسُولِ) مع القدوة والتأسي بالاستبصار بسيرته وهديه المبارك.

((الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ))، يعني: المتفق عليها، الثابتة، ((غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ))؛ لأن بعض ما روي عن الرسول ﷺ لا يصح عنه؛ إنما هو مفترى عليه، كذلك الرجوع إلى أولي الأمر بحسب تراتبية المسؤولية، هذا فيما يتعلق بالجوانب والمسؤوليات العسكرية والأمنية، وهذا جانبٌ مهمٌّ جدًّا.

ثم يأتي الحديث عن معايير اختيار القضاة؛ لأهمية الدور القضائي في ترسيخ العدل، والاستقرار، والأمن في حياة الناس، واستقرار الحياة في كل مجالاتها.

((ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ))

الجانب القضائي لأهميته الكبيرة، لا ينبغي أن يكون الانضمام إليه، والالتحاق به، والدخول في أعماله بشكلٍ عشوائي، بل ينبغي أن يكون وفق معايير محددة، تتناسب مع طبيعة هذه المسؤولية، وهذا العمل، فهو عمل حسَّاس، وعمل مهم، ومسؤولية خطيرة، فلذلك لابد من المعايير؛ لأن من المؤسف جدًّا أن البعض يلتحقون بالأعمال القضائية من باب الطمع المادي؛ لأن الوظيفة بشكلٍ عام أصبحت عند الكثير من الناس وسيلة للكسب المادي، وإرضاء النفس

بالمَنْصِب والسلطة، ولم تعد هدفاً لخدمة الناس، وإرضاء الله ﷻ، عند الكثير من الناس أصبحت الوظيفة وسيلة للحصول على المكاسب المادية، ولتدبير أمور المعيشة، يريد وظيفة ليحصل على مال من أجل واقعه المعيشي، وهذا التوجه خطير جداً، وأثر تأثيراً سلبياً على الناس، كثيرٌ من الناس ممن توظفوا بهدف الحصول على المال، وتحقيق المكاسب الشخصية، يؤدُّون أدوارهم بشكلٍ سلبي، وبدون أمانة، ويبقى الهمُّ المادي هو الذي يحكم تصرفاتهم، ويؤثر على أدائهم.

فذلك قال: **((تُمْ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ))**، اختيار وفق معايير معينة، **((تُمْ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ))**، والاختيار هذا مثلاً في هذا الزمن، يفترض أن يكون من بداية الأمر، يعني مثلاً: في بلدنا هناك معهد للقضاء، هذا المعهد يفترض أن يتم اختيار من يلتحق به منذ البداية وفق معايير معينة، وليس دخولاً عشوائياً، أو دخولاً لا يُحَظ فيه إلا جانب واحد، جانب فقط، هو جانب الذكاء، ودرجة معينة يحصل عليها الإنسان، كل تلك الدرجات حُسبت بها حالة واحدة هي حالة الذكاء، ومدى استيعاب الإنسان، وحفظه للمسائل، هذا جانب واحد فقط، غير كافٍ في التأهيل لهذه المسؤولية، التأهيل لهذه المسؤولية يجب أن يكون على أرقى مستوى، والسقف في هذا الجانب سقف عالٍ جداً، قال: **((أَفْضَلُ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ))**، إلى هذا المستوى؛ لأهمية القضاء بين الناس، ومن المعروف مثلاً عندنا في اليمن، في كل العالم العربي، وفي أكثر العالم الإسلامي، أن من أكثر ما يعاني منه الناس: الخلل في الجانب القضائي، هذه مشكلة يصيح منها الناس في مختلف بلدان العالم العربي والإسلامي في أكثرها، يصيحون بشكل كبير جداً، خلل كبير في هذا الجانب؛ لأنه لا يتم وفق معايير مهمة.

((أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ))، ترى فيهم الأفضل من حيث مستواهم

الإيماني، والتقوى، ومن حيث هذه المعايير التي ستأتي:

((مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ))

على المستوى النفسي: عنده تحمل، لا يؤثر عليه ازدحام المشاكل، والقضايا، وأعباء القضاء، وتزاحم القضايا، فيعيا، ويتحطم، ويضيق.

وعلى المستوى المعرفي: يمتلك المعرفة الكافية للفصل في القضايا، لا يعيا، وتأتية القضايا لا يعرف كيف يحكم في هذه القضية، وكيف يفصل في تلك القضية.

فهو على المستوى المعرفي وعلى المستوى النفسي ((لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ))، هو في مستوى تحمل هذه المسؤولية.

((وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ))

لا يتأثر بشجار المتشاجرين، وخصام المتخاصمين، ويُستفز من ذلك؛ حتى يتحول هو في طريقة تعامله معهم إلى مخاصم ومشاجر، يتحول إلى مشاجر مع المتشاجرين؛ لأنه يتأثر وينزعج ولا يتحمل، فيتحول إلى مخاصم.

((وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ))

هو سريع الرجوع إلى الحق، إذا زل- يعني: أخطأ- في عمله القضائي، وفي (تعامله) مع القضايا، فهو سريع الرجوع، ويبادر إلى تصحيح خطئه في أدائه العملي؛ حتى لا يستمر ويتمادى في الخطأ.

((وَلَا يَحْصِرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ))

لا يتحرج من الرجوع إلى الحق، إذا عرف الحق، حتى لو كان قد أخطأ في تقديره للموقف، أو في حكمه في القضية، أو في تعامله مع القضية، كان

عنده خطأ في ظل مزاوله العمل، في مراجعة الخصوم، والقضية، والأخذ، والرد، والسماع، فكان عنده خطأ معين، أو في مقدّمات العمل، أدرك خطأً معيناً، يبادر، فيصحح خطأه على أساس الحق، لا يأنف حتى يتكبر ويصر على الخطأ، ويصر على الموقف الخاطئ، الحق عنده أهم من كل شيء.

((وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ))

لا يتطلّع ويُسْتَمَال بالطمع، يتطلّع إلى الطمع، وينجذب نحو الطمع والاغراءات المادية، وهذه مسألة مهمة جداً؛ لأن من أكبر الآفات في العمل القضائي، هو: الطمع والرشوة، والناس يلمسون هذه الإشكالية بشكل كبير، كيف تدمّر العدل، وكيف تضيّع الحقوق، وكيف تضر بالناس ضرراً بالغاً، من أكبر الآفات في هذا الزمن في العمل القضائي في مختلف البلدان العربية، وفي أكثر العالم الإسلامي: الرشوة، والأطماع المادية، التي تؤثر على الفصل في القضايا بالحق والعدل، فالقاضي يجب أن يكون نزيهاً، نزيهاً وعفيفاً، ليس طماعاً ومادياً.

((وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ))

عنده تثبت، وتفهم، ويسعى إلى أن يستوعب القضية بملابساتها وحيثياتها، لا يكتفي بأول فهم، وأطرف فهم للمسألة، وأبسط فهم للمسألة، فيصدر حكمه سريعاً، يتثبت أكثر، ولا يماطل ويتأخر إلى ما لا نهاية.

((وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ))

إذا اشتبهت عليه القضية، أو اشتبه عليه الحكم فيها، فهو يتثبت ويتبين؛ حتى يبني أمره على صحة.

((وَأَخَذْنَهُمْ بِالْحُجَجِ))

هو يعتمد في إصداره للحكم، وفي تعامله مع القضية، على أساس الحجة، والدليل، والبرهان، وعنده تمييز للحجج.

((وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ))

عنده تحمل للمتشاجرين في تقديم أدلتهم، ومراجعتهم، لا يضيق ويسأم ويمل من ذلك، فيقطع عليهم استمراريتهم في تقديم حججهم؛ لأنه لا يتحمل أن يسمع لكل ما يقدمونه من حجج، وأدلة، واعتراضات، أو تبيينات، أو... ما يجري في الجانب القضائي في: التقديم، والأخذ، والرد، فهو يعطيهم الفرصة لتقديم ما لديهم، الفرصة بالحق يعني، بالعدل، بالإنصاف، بالمستوى الصحيح، أما إذا أصبحت المسألة مماطلة، وتضييعاً للوقت، يكون عنده تمييز وحسن نظر، فيفهم الحالة التي هي مجرد تضييع للوقت، والحالة التي هي فعلاً تقديم للحجة والبرهان، فيعطيهم الفرصة الصحيحة الكافية بالقدر اللازم، دون افساح المجال للمماطلة والتضييع للوقت بلا حاجة.

((وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ))

عنده صبر في التعامل مع القضية، بما يصل به إلى الحقيقة قدر الاستطاعة، والاستفادة من كل ما يساعده على ذلك، ليس متعجلاً جداً؛ لأن البعض فيه طبيعة التعجل الزائد، الذي قد يزلُّ به قبل أن يستوفي ما يتعلق بالقضية، والبعض عنده تأخير طويل، وتردد زائد، وكلا الحالتين خاطئة، حالة التسرع الزائد، وحالة التردد والمماطلة والتأخير الزائد، وهذه مما يشكي منها الناس، إما تَعَجُّلٌ في غير محله، أو تباطؤ وتردد وتأخير يزيد على حجم القضية.

((وَأَضْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ))

((أَضْرَمَهُمْ)) يعني: أقطعهم للخصومة، يفصل، إنسان يفصل، لا يبقى متردداً، متذبذباً، مماطلاً، عند اتضاح الحق، واستيفاء ما يجب استيفاءه في النظر للقضية، يبادر ويفصل ويحسم المسألة.

((مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءً))

لا يؤثر على نفسيته الإطراء والمدح وحسن الثناء عليه؛ لأن البعض من المتخاصمين والمتشاجرين يبدع في ذلك، يمدح القاضي ويثني عليه؛ ليستميله، وليحرجه، وليؤثر على نفسيته في إصدار الحكم لصالحه، ويكثر من ذلك.

((وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءً))

ولا يستميله الإغراء: التحريض والإثارة تجاه الخصم الآخر؛ لأن البعض من الخصوم أيضاً يبدع في هذا الجانب، في أن يستثيرك على الطرف الآخر بجوانب أخرى، أو عبارات، أو... بطريقة أو بأخرى، يستثيرك لتكون خصماً لخصمه، وتقدم مسألة الاستمالة بالإغراء المادي في قوله: ((وَلَا تُشْرِفْ نَفْسَهُ عَلَى طَمَعٍ))، وهنا الإغراء: على حسب التعبير المحلي [المحارشة]، الإثارة على الخصم. طبعاً من يمتلك كل هذه المواصفات ذات الأهمية الكبيرة، من القضاة، والتي تضمن القيام بهذه المسؤولية الكبيرة على أرقى مستوى، يقول عنهم الإمام عليٌّ عليه السلام:

((وَأَوْلَيْكَ قَلِيلٌ))

قليلٌ في عصره، فكيف في عصرنا وزمننا؟! قليلٌ جداً، لكنها معايير ذات أهمية كبيرة، والمهم هو: التربية عليها، والتأهيل على أساسها، أن تكون معايير واضحة، محددة، يتم العمل على تأهيل قضاة ليكونوا بهذا المستوى، ولو في

الحد الأدنى من هذا المستوى يعني، ولو بمستويات متفاوتة، الناس يتفاوتون، ولا يستوون في مستوى مؤهلاتهم، ومستوى التزامهم بهذه المعايير، ومستواهم فيها، يتفاوتون في كل شيء، حتى في إيمانهم، هم بمستويات، قال الله في القرآن الكريم: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١)، هذا واقع البشر.

ثم مع هذه المواصفات والمعايير:

((ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ))

يعني: من المهم أن يكون هناك رقابة على القضاء، رقابة للأداء في القضاء، رقابة وتقييم لما يصدره القضاء، وما ينتجه القضاة، وما يصدر منهم من أحكام، أن يكون هناك أيضاً مع التقييم عمل للتصويب، والمعالجة، والملاحظة.

((وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقَلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ))

أحرص في الرعاية المادية أن توفر له احتياجه الضروري؛ حتى لا يؤثر عليه الفقر والحاجة الشديدة، فيستميله الناس عن طريق ذلك؛ لأن البعض - غير مسألة الطمع الكبير- الظروف الصعبة قد تؤثر عليه، الفقر الشديد قد يؤثر عليه، ليس لأنه شديد الطمع وكبير الطمع، لكن مثلاً لأن ظروفه صعبة جداً، قد يؤثر عليه هذا في الجانب المادي، والاستمالة بالمال.

((وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ))

القضاة والعاملون في القضاء بحاجة إلى دعم ورعاية معنوية، وليس فقط الاهتمام المادي، بل إلى الدعم المعنوي، والمساندة المعنوية؛ لأنهم يواجهون في عملهم القضائي الكثير من الاستفزات وردة الفعل، التي عادةً تحصل من جانب الناس.

(١) آل عمران: من الآية ١٦٣

يقولون عن القاضي شريح، كان قاضياً في عصر أمير المؤمنين علياً عليه السلام، أنهم سألوه عن حاله: [كيف أصبحت؟]، قال: [أصبحت ونصف الناس عليّ غضبان]، يعني: كل من قد حكم عليهم يسخطون عليه.

عادةً في العمل القضائي مع صدور الأحكام على هذا الطرف، أو هذا الطرف، يكثر الساخطون، وتأتي ردود أفعالهم في الكلام المسيء، والتعبير المسيء... وغير ذلك، فالعاملون في الجانب القضائي بحاجة إلى رعاية معنوية، إلى تقدير لدورهم، لجهدهم، لمنزلتهم، إلى تقدير لمسؤولياتهم، أنها مسؤوليات كبيرة، مهمة، ذات أهمية كبيرة، بالنظر إلى موقع المسؤوليات وأهميتها، وبالنظر إلى أثرها في الواقع.

((وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ،
لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ))

ليكون مطمئناً من جانبك أنك لن تتسرع في تصديق ما يقال عليه، أو ما يشي به الواشون عندك تجاهه، يكون مطمئناً تجاهك أنك سندٌ له في الحق، وأنت سندٌ له في العدل، أنك ستثبت مما سيقال عنه، أنك لن تكون سريعاً ومتسرعاً في التجاوب مع حالات الاحتيال والمكر التي يتآمر بها البعض ضده من خلالك؛ ليحاولوا أن يجعلوا منك ذراعاً لهم لضربه، واستهدافه وأذيته، وهذه مسألة مهمة جداً.

مثلاً: العاملون في المجالات التنفيذية والأمنية والعسكرية، لا يجوز لهم أن يكونوا في علاقتهم بالقضاة مخيفين للقضاة، مصدر خوف على القضاة، وأمثلاً للطامعين، والساخطين، والانتهازيين، والعابثين، الذين لا يريدون العدل، بأنهم سيلتفون من خلالهم، أنه سيحتمي بهذا القائد العسكري، أو بهذا المسؤول، أو

بهذه السلطة، أو بتلك الجهة، وباستناده إليها سينتقم من ذلك القاضي، الذي لم يصدر الحكم الذي يعجبه.

((لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ، فَاَنْظُرِي فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا))

لأن جانب القضاء له علاقة كبيرة بالعدل، وله علاقة كبيرة باستقرار حياة الناس، يحتاج إلى نظر عميق، وإلى اهتمام كبير، وإلى عناية كبيرة.

((فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا))

ما الذي أضع كل هذه المعايير، كل هذه القيم، كل هذه المبادئ العظيمة، التي هي مبادئ الإسلام، نظام الإسلام، منهجية القرآن؟ ما الذي أضعها، ونحن نقرأها من أول ما قرأنا في هذا العهد المبارك، إلى ما وصلنا إليه، وما سنقرأه- إن شاء الله- إلى ختامه، ما الذي أضع هذه المبادئ، هذه التعليمات، هذه الأسس، هذه المعايير؟

أضعها الأشرار، الذين عبثوا بالدين؛ حتى فقد الناس الشعور بعظمة الإسلام، بقيمة الإسلام وأثره في حياتهم، بما يمثله من حل وصلاح في واقع حياتهم، الأشرار أضعوا كل هذه المبادئ، كل هذه الأسس، كل هذه القيم، وأتوا بالبديل عنها؛ مما ضيَع العدل، ضيَع الحق، ضيَع الأمة، ضيَع قيمة الدين وأثره في حياة الناس.

((يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى))): بهوى النفوس، ((وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا))، هذا ما أثار على الناس ويؤثر.

فلذلك إذا أراد الناس الخير لحياتهم، والصلاح لحياتهم، والاستقرار في حياتهم،
والتغيير لواقعهم نحو الأفضل، فليعودوا إلى هذه المبادئ القرآنية الإسلامية،
إلى هذه المعايير، ليصححوا وضعيتهم على أساسها.

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُوفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يَرْضِيهِ عَنَا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا
الْأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جُرْحَانَا، وَأَنْ يَفْرِجَ عَنَّا أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصِرَنَا بِنَصْرِهِ،
إِنَّهُ سَمِيعُ الدَّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،



درس من

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الصفحة: ١٥٥

الدرس: السابع

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

سبق الحديث فيما يتعلق بالمسؤوليات، والهيكل الإداري في الدولة، عن المستشارين، والوزراء، والأعوان المباشرين، وعن المسؤوليات العسكرية والأمنية، وعن القضاة، والقضاء، وما يتعلق بذلك.

ثم وصلنا الآن إلى معايير اختيار المسؤولين والعمال، قال عليه السلام:

((ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا، وَلَا تُؤَلِّمْهُمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ))

العمال: الذين هم مسؤولون على مناطق معينة، سواءً بحسب المسميات الإدارية، محافظات، أو مديريات، أو ولايات، أو... في أي مستوى من المستويات، أو على رأس مثلاً مؤسسات معينة كبيرة، حُسُنُ الاختيارِ للمسؤولين والموظفين عاملٌ أساسيٌّ في النجاح، والنهضة، والازدهار، وتحقيق الأهداف المهمة، وتحقيق الاستقرار في الواقع، لا يمكن أن تنهض أمةٌ ولا شعبٌ، وأن تنجح في تحقيق أهدافها، وأن تبني حضارة، وأن تزدهر حياتها، وأن يستقر واقعها، إلا بذلك، عندما يكون المسؤولون القائمون على الأعمال والمسؤوليات من ذوي الكفاءة الأخلاقية، والمهنية، والعملية.

وهذه مسألة مهمة جداً، ولا بدَّ من تفهمها من الجميع، ممن هم في موقع المسؤولية، ومن المجتمع نفسه؛ لأن المجتمع إذا لم يعتمد على أساس هذه النظرة، ويبنى على ذلك، فيمكن أن يكون هو مساهماً في اختلال هذا الأمر، من خلال فرض شخصيات غير كفوة في أعمال معينة، أو مسؤوليات معينة، بطريقة أو بأخرى، وكذلك داخل الدولة نفسها فيما يتعلق بالمعنيين بالمسؤوليات الأساسية، عندما لا يفهمون أهمية هذه المسألة، فتأتي التعيينات الخاطئة.

حسن الاختيار ينبغي أن يعتمد:

- أولاً: على المعايير، معايير محددة، تبين مثلاً صلاحية لهذه المسؤولية، أو لهذه الوظيفة بحسبها، بحسب ما تتعلق به، وما يستلزم ذلك من معايير معينة، أو مواصفات معينة، بحسب نوع المسؤولية، أو مجالها، هذا جانب.

- كذلك أن يلحظ في مدى الأهلية والكفاءة: التجربة العملية، أن يكون هذا الإنسان الذي يُراد تعيينه على رأس مسؤولية معينة، ممن له تجربة عملية، لا يكون إنساناً لا كفاءة له في العمل، وليس له أي تجربة عملية أصلاً، وإنما جيئ به من أول يوم ليكون في تلك المسؤولية، وليس بالضرورة أن تكون التجربة العملية في نفس المنصب، يمكن أن تكون في نفس المجال، أو في مهام وأعمال ذات تشابه مع طبيعة تلك المسؤولية، الكفاءة فيها تعتبر كفاءة لتلك المسؤولية، وما شابه ذلك.

- أيضاً التأهيل لمثل ذلك النوع من المسؤوليات: أن يكون هناك تأهيل، أن يكون هناك بناء وتعليم سابقاً، ما قبل تبوؤ ذلك المنصب، ولاحقاً فيما بعد أن تستمر عملية التأهيل للارتقاء بالكادر العملي، بالموظفين، بالمسؤولين في أداء مسؤولياتهم.

عملية الاختبار عندما يقول هنا: **((فَاسْتَعْمَلَهُمْ اخْتِبَاراً))**، من خلال الاختبار لهم، وليس الاكتفاء فقط بمجرد حسن الظن فيهم، أو الأمل فيهم، أو بالنظر إلى جوانب معينة في سلوكياتهم العامة، لا يكفي هذا، والاختبار يمكن أن يلحظ في ذلك الجانب العملي، والجانب النظري:

- الجانب النظري، مثلاً: أن تستشير، أن تستفسر منه، أن تتعرف على رؤيته، تفكيره عن تلك المهام، عن تلك الأعمال، بالطريقة المناسبة، أو أن يقدم دراسة، أو رؤية عملية، عن ذلك المجال؛ لتعرف كيف يفكر، كيف ينظر في مسائل معينة، في جوانب عملية معينة.

- ثم كذلك الاختبار في الأداء العملي: من خلال تكليفه بمهام عملية، وتقييم كيف نجاحه في تلك المهمة العملية، وتلك المهمة العملية الأخرى، وهكذا، حتى يكون لديك صورة تقريبية عن مستوى كفاءته لتلك المسؤولية التي تفكر في أن تعينه فيها.

فالاختبار طريقة مهمة جداً، يساعد الإنسان حتى لا يتورط عندما يعتمد فقط على الظن والتخمين، والتقدير النفسي، غير المبني على واقع عملي، ولا على اختبار عملي؛ إنما من باب حسن الظن فحسب، فالاختبار في مهام، في أعمال ينجزها، الاختبار في معرفة تفكيره تجاه ذلك الأمر، أو ذلك الأمر، أمر مهم جداً، وأمر يساعد على حسن الاختيار، قد تكتشف أن ذلك الإنسان ليس مناسباً في ذلك العمل أصلاً، وأنت كنت اختبرته فقط بمهمة عملية محدودة، وليس بوضعه في نفس المنصب والمسؤولية.

((فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا))، طريقة جيدة، مع ملاحظة المعايير أن تكون ظاهرة بشكل أو بآخر، الاختبار أيضاً.

((وَلَا تُؤَلِّمُ مَحَابَةً وَأَثَرَةً))

لا تولهم في تلك المسؤوليات والأعمال محاباةً، مجاملةً وميلاً، لسبب صداقة، أو قرابة، أو صهارة، أو علاقة معينة؛ لأنه قريبٌ لك في نسبك، أو لأنه صديقٌ لك، أو لأن بينكما علاقة مادية معينة، أو مصالح معينة مشتركة، كل ما كان من قبيل الميل والمجاملة فقط، ليس بالاستناد إلى الكفاءة العملية فلا يجوز.

((وَأَثَرَةً)): إثارةً له على غيره مثل هذه الاعتبارات: اعتبارات مصالح، أو قرابة، أو صداقة... أو نحو ذلك، وهذه مسألة خطيرة جداً، عندما يتصور الناس مثلاً أن المسؤولية في الأعمال والمناصب المهمة في الدولة، هي تعود إلى إعطاء الإنسان لها وكأنها مقابل إما استحقاقات، أو كأن الشخص نفسه يمتلك تلك المسؤولية امتلاكاً، فيتصور أن له أن يعين من يشاء ويريد بحسب مزاجه الشخصي ورغباته الشخصية، بدون النظر إلى الكفاءة الفعلية، مسألة خطيرة جداً، أو يتصور الناس مثلاً أن المسؤوليات والمناصب يلحظ فيها المكافأة في أمور

معينة، واعتبارات معينة، أو مجرد الولاء، مثلاً: يريد أن يعين شخصاً في مسؤولية معينة، وهو لا يمتلك أي كفاءة نهائياً، لكنه يطمئن إلى ولاءه فقط، هذا الاعتبار لوحده لا يكفي ولا يجوز فقط أن يكون هو لوحده المعتمد والمعتد، والبعض من الناس مثلاً يظنون أنهم يستحقون المناصب والمسؤوليات المعينة، بالاستناد مثلاً إلى اعتبارات غير الكفاءة، إما لأنهم أصحاب دور معين، أو عطاء معين، أو إسهام معين، فيتصورون أن ذلك كافٍ لأن يعطوا تلك المسؤوليات، وهذه مشكلة خطيرة جداً؛ لأن لها تأثيرات سيئة.

مثلاً: البعض في مراحل التصعيد الثوري يأتي فيما بعد ليقول: [أريد منصب كذا، أو وظيفة كذا]، لماذا؟ هو لا يمتلك الكفاءة لنفس ذلك المنصب، أو لتلك المسؤولية، قال: [لأنني قدمت جملاً، أو أسهمت بتبيع، أو أحضرت قافلة، أو شاركت في مظاهرة، أو حضرت في مخيم اعتصام، أو...]، أي شيء من هذا القبيل، البعض مثلاً يأتي ولديه قائمة، قبيلة محدودة فقط مثلاً أسهمت إسهاماً جيداً، يأتي الشيخ مثلاً ليقول: [أريد- هذه قائمة- خمسة وعشرين مديراً، وإلا كذا كذا وزراء، أو كذا كذا محافظين، أو كذا كذا مسؤولين، هؤلاء أريد أن يكونوا كذا، وهؤلاء أريد أن يكونوا كذا، وهؤلاء...]، لماذا؟ قال: [هؤلاء فعلوا، وهؤلاء عملوا، وهؤلاء قدموا]، هذا ليس كافٍ، لابدء من النظر إلى مسألة الكفاءة، الكفاءة العملية، الناس مثلاً حتى في الثورة عندما ثاروا لديهم مثلاً مطالب معينة، لديهم اعتبارات معينة؛ حتى يكونوا أوفياء لمبادئهم الثورية، وأوفياء لأهدافهم المعلنة، لابدء أن يأخذوا بعين الاعتبار هم ذلك، ثم يلحظوا الكفاءة التي تعود إلى المعايير الصحيحة.

أحياناً بعض المعايير يمكن أن تصحح، بعض المعايير شكلية، ليست ذات أهمية حقيقية، شكلية، يمكن أن يتجاوزها الآخرون، والمتسلقون، والمحتالون يمكن أن يتسلقوا من خلال المعايير الشكلية، لكن المعايير المهمة الأساسية، هي التي يبنى عليها النجاح، وتعتبر ضروريةً للنجاح في العمل.

((وَلَا تُوَلِّهِمْ مَحَابَبَةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ))

المحابة: التولية والتعيين في المسؤوليات المهمة لمجرد المجاملة، والاعتبارات غير الصحيحة، الميل، والعلاقة المعينة، وكذلك الأثرة، هذا يجمع فروع الجور والخيانة، يتفرع عنه الكثير من المفسد، والمظالم، والمخاطر، والتي تؤثر سلباً على الناس في حياتهم؛ لأن المسؤولية ليست عبارة عن استحقاق شخصي وملك شخصي للإنسان، يتصرف فيها وفق مزاجه ورغباته وأهوائه، المسؤولية تتعلق بالناس، هي مسؤولية أولاً أمام الله ﷻ، ما بينك وبين الله ﷻ، وهي عمل لخدمة الناس، هي تتعلق بهم أصلاً، فإذا لم يلاحظ الإنسان ذلك، لم يأخذ بعين الاعتبار ذلك، وتصرف وفق هوى نفسه، ومزاجه، ورغباته، وعلاقاته، وأهوائه، ومنطلقاته الشخصية، ومكاسبه الشخصية، فهذا سينتج عنه الكثير من المفسد والمظالم:

- من بينها: إقصاء ذوي الكفاءة.

- من بينها: تضييع الأمة، تضييع الناس، تضييع الأعمال.

بدلاً من أن تكون العملية الإدارية والأداء للمسؤولية في ذلك الموقع المعين لخدمة الناس، يؤدي الهدف منه، ليحقق نتائج معينة، ليصلح حياة الناس، ليحل مشاكلهم، لينفعهم في إطار نفس المسؤولية وطبيعتها، وعلاقتها بالمجتمع؛ يتحول إلى مصدر للضرر، مصدر للخراب، وللتضييع، وللهدر، فتكون النتيجة

هي الضرر الكبير في واقع الحياة، وهذا ما يحصل في كثيرٍ من البلدان العربية، وفي كثيرٍ من بلدان العالم الإسلامي، خلل كبير جداً في إدارة شؤون المجتمع؛ لأن المسؤوليات هي لإدارة شؤون المجتمع، عندما يحصل الخلل في شؤون المجتمع، تنعكس آثاره على كل حياة الناس: على وضعهم المعيشي، وعلى وضعهم الاقتصادي، وعلى وضعهم الأمني، وعلى وضعهم حتى على مستوى الجانب الديني والقيم الدينية، تضع القيم من أوساط المجتمع، تضعف الأمة، تنهار، لا تقوى، لا تبني حضارة، لا تنهض، تعيش حالة البؤس والتخلف، تتفاقم في داخلها المشاكل في كل المجالات، تكبر المشاكل الأمنية؛ لأن الأداء العملي المختل ينتج المشاكل، لا يصلح، يفسد ويخرب وينتج المشاكل، فتتفاقم المشاكل الأمنية، والمشاكل الاجتماعية، والمشاكل الاقتصادية، ويكبر البؤس، ويضيع المجتمع، والذي يتأمل في واقع الأمة، يلحظ الضياع الكبير لأمتنا العربية والإسلامية في أكثر البلدان، تتفاوت المسألة من بلد إلى آخر، لكن يلحظ الإنسان المشكلة الكبيرة، التي تعود إلى جوانب متعددة في هذه المسألة، ومنها هذا الجانب: سوء الاختيار لمسؤولين وموظفين غير كفؤين نهائياً لأداء هذه المسؤوليات، ومع ذلك أتت الخيانة، والولاء لأعداء الأمة، وتنفيذ أجندة الأعداء؛ للإضرار بالأمة عمداً، لتعطيل نهضة الأمة، وهكذا، تمثل هذه مشكلة كبيرة جداً.

((فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ))، فينتج عنهما: الكثير من المفاسد، والمظالم، والضياع للأمة، والتفاقم للمشاكل في حياتها، والضرر في كل شيء، وانعدام الاستقرار، ويتعطل البناء الحضاري... وغير ذلك، مع إقصاء ذوي الكفاءة، الذين كان يمكن أن يكونوا عامل نهضة للأمة ونجاح في أداء المسؤولية.

((وَالْخِيَانَةَ))، يعتبر ذلك خيانةً لله ﷻ، لأنك مسؤولٌ أولاً أمام الله ﷻ، إذا تعمدت أن تأتي بشخص ليس لديه أي كفاءة عملية على الإطلاق، وإما لمجرد علاقته بك، أو مصالحك المشتركة معه، أو علاقات معينة، أو ارتباطات معينة فقط، هذه خيانة لله، وخيانة للأمة، وخيانة للناس.

((فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ))، وخيانة للحقوق، التي ستضيع نتيجةً لذلك، ما ينتج عن ذلك من فساد مالي، وإداري، وخلل، ومظالم... إلخ.

فهذا تحذير كبير من الاختيار بناءً على المحاباة، وبناءً على الأثرة، إذا وصل الإنسان إلى مسؤولية معينة، ثم أراد أن يوظف كل أقاربه، كل أصدقائه، كل أصحابه، لماذا؟ لتلك الروابط وتلك العلاقات، دون النظر إلى مسألة الكفاءة، هذه مسألة خطيرة وسلبية كبيرة جداً.

((وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ))

(تَوَخَّ) يعني: اطلب وتحزَّ منهم من لهم تجربة عملية، ليس جديداً على الواقع العملي ب كله، أتيت به من غير أي تجربة عملية سابقة، التجربة العملية لا يشترط أن تكون فقط على مستوى المنصب نفسه، مهام عملية، أو كذلك مستويات عملية معينة سابقة، وما شاكل ذلك.

(وَالْحَيَاءِ)، مع التجربة الاعتبار الأخلاقي المهم، لا يكفي فقط جانب التجربة، أو جانب المهنة مثلاً، أو التخصص، أو الدراسة، كثيرٌ من هذا النوع الذين يفقدون الكفاءة الأخلاقية، لا تستفيد الأمة لا من تجربتهم، ولا من خبرتهم، ولا من دراستهم؛ إنما يكونون أكثر ضرراً؛ لأنهم أكثر قدرة على التحيل،

والتلاعب، والتغطية على أعيابهم، جانب الأخلاق معيارٌ مهمٌ جدًّا، معيارٌ أساسي إلى جانب التجربة، إلى جانب الخبرة، معيارٌ ضروري.

ولهذا عندما قال: من **((أَهْلُ التَّجْرِيبَةِ وَالْحَيَاءِ))**، (وَالْحَيَاءِ) الإنسان فيه حياء؛ لأن من لا حياء له، لا دين له، ولا أمانة له، ولا وفاء له، سيكون جريئاً على الخيانة، وجريئاً على الفساد، وجريئاً على الإخلال بمسؤولياته، وعلى التقصير، وعلى الإهمال، هو لا يستحي، لا يستحي من الله، ولا يستحيي من الناس، فليس متحرجاً من الإقدام على ما يسوء، على فساد، أو على خيانة، أو اختلاس مالي، أو تقصير، أو إهمال، فالحياء معيار مهم.

((مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ))، يعني: الذين يتربون على مكارم الأخلاق، وعلى القيم، الناس الذين لديهم أصالة في التربية على مكارم الأخلاق والقيم، هذه الأصالة التي تطمئنك أنه لا يتصنع أمامك، ليس إنساناً لديه رصيد سيء جدًّا، لا أخلاقي، لا قيمي، لديهم رصيد كبير من النصب والاحتيال، والفساد، والسوابق السيئة، ثم بدأ يتصنع؛ لأنه أراد الوظيفة، أو المنصب، وبدأ يتظاهر بالصلاح، فقلت: [أهلاً وسهلاً، هذا أصبح رجلاً صالحاً من قبل أمس، أو من أمس]، هو حديث عهد بالتظاهر بالصلاح، قلت: [هذا يصلح محافظ، هذا يصلح مدير، هذا يصلح كذا، هذا يصلح...].

لابدَّ أن يكون هناك عناية بالتربية، ليس فقط على مستوى البيوتات، هذا الدور مهم أن يحسب حسابه، في المدارس، في الجامعات، في كل عمليات التأهيل، أن يكون هناك اهتمام بالجانب التربوي، التربية على الأمانة، وعلى الوفاء، وعلى مكارم الأخلاق، وعلى الصدق، التربية حتى في الأداء العملي في حياة الناس، حتى في المجتمع أن تنمى هذه القيم، وأن ترسخ في داخل المجتمع، سواءً في الريف،

في الحضرة، في المدينة، في القبيلة، في سائر المجتمع، أن تنمى هذه القيم، هذه التربية، هي قيم أساسية، على المستوى الديني مكارم الأخلاق أساسية في الدين، هي جزء أساسي من الدين نفسه، من الالتزام الإيماني نفسه، تأتي الموصفات التي يصف الله بها عباده المؤمنين، بالصبر، بالصدق، بالوفاء، بالقيم بمختلف أنواعها، القيم العظيمة.

فمن تربي على القيم العظيمة، ومكارم الأخلاق، مع اكتسابه التجربة في الواقع العملي، يمكن أن يؤتمن في مسؤوليات حساسة، وفي أعمال مهمة، وعلى مال هو مال الأمة، وعلى مسؤوليات فيها صلاحيات تتعلق بالأمة، حتى يكون محل ثقة أنه لن يوظف تلك الإمكانيات، وتلك الأموال، وتلك الصلاحيات، التي هي للأمة، ولخدمة الأمة، ولخدمة الناس، في المصالح الشخصية، والمكاسب الشخصية، والاستغلال الشخصي، والمكاييدات، والانتقام من الآخرين، استغلالاً لموقعه، ومسؤوليته، وإمكانياته، وصلاحياته، هذه مسألة مهمة جداً.

((مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ))
 ممن نشأ وتربى، وله رصيد أخلاقي وقيمي، وسوابق حسنة، وأعمال مشرفة، وإسهامات مشرفة، تجلى من خلاله وبرز ما هو عليه، من الإحساس بالمسؤولية، ومن الكفاءة للمسؤولية، في الجانب الأخلاقي والتجربة العملية.

((فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحُ أَعْرَاضًا))

ممن يمتلك مكارم الأخلاق، وتربى عليها، وهو يلتزم بها، وهي ظاهرة في سلوكه، وفي عمله، وفي أدائه لمسؤولياته، وفيما ينفذه من مهام، وكذلك هو صحيح العرض، نقي، ليس ملوثاً بالأعمال السيئة، بالتصرفات والمظالم والمفاسد المخزية، إضافةً إلى أنه ممن يستحي، يحرص على عرضه، يتورع عما يشينه،

وعمّا يخزيه، وعمّا يسيئُ إليه، ليس متهتكاً مستهتراً، لا يبالي بما يفعل مما يسيء إليه، وإلى سمعته، وعرضه، وكرامته، وما يخزيه، مما هو شينٌ عليه؛ لأنّ النوع المتهتك المستهتر الذي لا يبالي بعرضه ولا شرفه، ولا كرامته، سيكون جريئاً على الخيانة، على الفساد، على الاستغلال السيء للمنصب والوظيفة.

((وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً))

الإنسان الذي تربي على مكارم الأخلاق، وعلى تقوى الله ﷻ، وعلى الأمانة، وعلى الوفاء، ويهمه عرضه وكرامته، ويستحيي، هو أقل في المطامع إشرافاً، ليس متطلعاً إلى الأطماع، ليس من النوع المستهتر الذي هو جريء بسبب طمعه على أن يسرق من مال الأمة، من حق الأمة، من المال العام، أن يتحول إلى لص، أن يكون دنيئاً لدرجة الخيانة، أو يدخل في صفقات لخيانة الأمة بشكل أو بآخر، فالإنسان الذي تربي على مكارم الأخلاق، وترسّخت فيه، أصبح حتى بطبعه عزيز النفس، كريم النفس، متنزهاً عن الخيانة، عن السرقة، عن كل ما فيه دناءة، تسيء إلى دينه، وشرفه، وكرامته، وعرضه، هو حريص على عرضه، وفعلاً البعض من الناس عرضه أعلى عنده من الدنيا وما فيها، لو كان سيعطى الدنيا بكل ما فيها في مقابل أن يتحول إلى سارق، لص، خائن للأمة، يسرق المال العام، يسرق مال الله، مال الأمة، لو كان سيحصل على الدنيا كلها من وراء ذلك، لما أقدم على ذلك؛ لأنه عزيز النفس، كريم النفس، عرضه غالٍ عنده، لا يريد أن يلوث نفسه، أن يشوه نفسه بما يخزيه، القيم عنده غالية.

((وَأَبْلُغْ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا))

فهم الأكثر ائتمانا، هذا النوع من المتربين على مكارم الأخلاق، وعلى التقوى، وعلى الاستقامة، هم الأكثر أمانةً على المسؤوليات والمهام العملية، والمناصب المهمة لخدمة الأمة؛ لأنهم يدركون العواقب السيئة للفساد، وللإهمال، وللنصب، وللاختلاس للحق العام، على المستوى المالي، وعلى المستوى العملي يدركون عواقب الأمور عليهم هم، وعلى المسؤولية نفسها، وعلى الدولة مثلاً، وعلى واقع الأمة، فذلك هم أكثر إحساساً بالمسؤولية، وإدراكاً لأهمية المسؤولية، واستيعاباً للعواقب السيئة، للتفريط، والإهمال، والتضييع، والاختلاس، والتسبب في العمل، كل الأعمال السيئة، أو الظواهر السلبية في أداء المسؤولية، هم يدركون عواقبها السيئة، وهم ممن يستشعر المسؤولية، وهو حريص على النجاح في المسؤولية، وهو حريص على تحقيق الأهداف المهمة، المهمة بالنسبة إليه، والمهمة بالنسبة للأمة، والمهمة فيما يترتب عليها من نتائج مهمة، أو عواقب سيئة بالتفريط والإهمال، أو بالخيانة وما شابه ذلك.

((ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ))

يعني: اهتم أن يكون لهم مرتبات مجزية، تكفيهم لاحتياجاتهم الضرورية، طبعاً هذا مرتبط أيضاً بما سيأتي عن الجانب المالي، وعن الخراج، وعن الجانب الاقتصادي؛ لأن المسؤوليات مترابطة.

فمستوي ما يمكن أن يقدم لهم بحسب ما هو متوفر بالتأكيد، **((أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ))** بحسب ما هو متوفر، وبالذات عندما يكون الناس في مراحل بناء، ومرحلة بداية، مرحلة ظروف عصيبة، من المهم بذل كل جهد، في العناية باحتياجاتهم الضرورية، مع أن يكون الكل متفهمين لطبيعة الظروف، وصابرين في المراحل التي تحتاج إلى صبر.

((فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ))

هذا يساعدهم على الاستقامة والصلاح؛ لأن الفقر المدقع والحاجة الملحة قد تمثل عامل ضغط يؤثر على البعض حتى على مستوى القيم والأخلاق، وحتى على مستوى الالتزام الإيماني، ((كاد الفقر أن يكون كفراً))، فتكون المسألة بالنظر إلى الاحتياج الضروري، بحسب الحالات، والظروف، والإمكانات المتوفرة، هذا ((قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ))، وكذلك ((وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ))، لا يحتاج إلى استغلال مال العمل، ومال النفقات العملية، والمال المخصص لمجالات معينة، أو لمشاريع معينة.

((وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ تَلَمَّوْا أَمَانَتَكَ))

(حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ) سواءً إن خالفوا في الأمر فيما يتعلق بخطة العمل، وفي التوجيهات العملية، التي ينبغي أن توظف لها الإمكانيات، أو نقصوا في أداء الأمانة، و خانوا في أداء الأمانة، حجةٌ عليهم كبيرة.

((ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ))

بعد ملاحظة مسألة القيم والمعايير، المعايير في اختيار العمال والمسؤولين، وبعد مسألة رعايتهم المادية، تأتي مسألة التفقد لأعمالهم، وهذه من أهم عوامل النجاح، وتصويب الأعمال، وتلافي الأخطاء، مسألة التفقد للأعمال، أن يكون هناك نشاط وآليات عمل، تساعد على تحقيق ذلك، في التفقد لأعمالهم، وتقييم أعمالهم، لمعرفة مدى اهتمامهم، ومدى نجاحهم، ومدى إصابتهم... إلى غير ذلك. أو إذا كان هناك جوانب فيها نقص، أو تقصير، أو فيها خطأ، أو خلل، تتم المبادرة لعملية تصويب مسار العمل، فالتفقد مسألة أساسية جداً، ويجب

أن يكون هناك تفهم لمسألة التفقد؛ لأن البعض يزعج من ذلك، إذا كان على رأس عمل معين، ثم لاحظ هناك اهتماماً بتقييم عمله، وتفقد عمله، يستاء من ذلك، وينزعج من ذلك، لا مبرر للاستياء، لا مبرر للانزعاج، هذه مسألة ضرورية لنجاح الأعمال، والأعمال لا تفصل أساساً بمعيار أهواء الناس، ورغباتهم الشخصية، واعتباراتهم الشخصية، يقول: [أنا كفو، وأنا شخص مهم، وأنا شخص امتلك الجدارة الكافية، وأنا... وأنا... هل أنتم لا تثقون بي؟ هل أنتم تشكون بي؟ هل أنتم كذا؟ هل...]، لا مبرر لذلك؛ لأن المسألة مسألة لم تفصل عليك شخصياً، وليست ملكاً شخصياً لك، أنت تأتي لأداء مسؤولياتك، ثم أنت من سيتغير في يومٍ من الأيام، أو يتوفى، أو ينتقل إلى مهمة عملية أخرى، أكبر، أو أصغر، أو غير ذلك، هذه مسألة تعود إلى واقع المسؤولية بين الناس وبين الله، وتجاه الأمة.

فلذلك لابد من الاستفادة من العوامل التي هي عوامل للنجاح، عوامل وأسس تساعد على الأداء الصحيح، وعلى تصويب الأعمال، وعلى تلافي الأخطاء، وعلى السعي إلى تفادي الكثير من الخلل الرهيب الذي يحصل نتيجة الإهمال والغفلة، وترك الناس يعملون كيفما أرادوا وشاءوا، أو يكتفى فقط بتقاريرهم هم.

((ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ))، فالتفقد مسألة أساسية، وعامل مهم، وحافز ودافع للاهتمام والنجاح، إذا أصبحت مسألة قائمة في الواقع، لا مناص منها، ستكون عاملاً مساعداً لمن هو في موقع المسؤولية، أن يهتم أكثر، وأن يجد أكثر، وأن يحرص على النجاح أكثر.

((وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ))

إضافةً إلى عملية التفقد والتقييم يكون هناك أيضاً رقابة، الرقابة في هذا الزمن هناك رقابة ظاهرة، وأجهزة عادةً ما تكون في الدولة، مهمتها رقابية، ولكن لابد أيضاً أن يكون هناك رقابة سرية، الرقابة السرية هي أكثر فاعليةً وتأثيراً حتى من الرقابة الظاهرة والعنوية، الرقابة السرية على أداء مسؤولياتهم، وعلى أعمالهم، هذه مسألة مهمة جداً، ولهذا قال:

((وَابْعَثِ الْعُيُونَ))، يعني: الرقباء، ابعث المراقبين، من تكلفهم بهذه المهمة الرقابية.

((مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ)): لابد أن يكون من يعتمد عليهم في هذه المهمة الرقابية، من أهل الصدق؛ حتى لا يكذبوا، حتى لا ينقلوا أشياء مكذوبة، غير صحيحة، أو يعتمدوا على أشياء غير صحيحة من الأساس، على آخرين، بل يكون ممن يحرص على أن يتحري، وأن يتأكد وأن يكون صادقاً في نقله.

((وَالْوَفَاءِ)): بحيث يكون وفياً، لا يستمال، يذهب إلى ذلك المسؤول، ويقول له: [أنا مكلف بالرقابة عليك، لكن لا يهمك ادفع شيئاً معيناً وأنا سأنقل تقريراً رائعاً عنك]، يكون وفياً في أداء مهمته الرقابية بشكلٍ صحيح، وسليم، ومؤكد، وممن لهم معرفة بالأعمال نفسها، والمهام، والمسؤوليات؛ حتى لا ينقلوا بالاشتباه، والغلط، والخطأ، ليس عندهم نظرة صحيحة إلى العمل نفسه.

((مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ
لَأُمُورِهِمْ، حَدُوءٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ))

المراقبة لهم، والتحري عن أدائهم لأعمالهم بهذه الطريقة السرية، هو عاملٌ مساعدٌ لهم على أداء مسؤولياتهم بشكلٍ صحيح، وبالأمانة، وبالرفق بالرعية، الرفق بالناس، الرفق بمن لهم ارتباط بمسؤولياتهم، بمن هم في نطاق مسؤولياتهم، بمن تتوجه تلك المسؤوليات إليهم، لخدمتهم، للعناية بشأنهم، لإدارة شؤونهم؛ لأن الرفق جانبٌ أساسيٌّ يعني: حسن التعامل، والاهتمام بالناس بطريقة ليست عنيفة، ولا غليظة، ولا خشنة، أداء المسؤولية على الوجه الصحيح، مع حسن التعامل مع الناس.

البعض مثلاً من المسؤولين قد يكون من أهل الاختصاص والمهنة، وقد يكون جاداً في أداء مسؤولياته، ولكنه فضُّ غليظ، خشن، طريقته في أداء المسؤولية غليظة وفضة، سيء الخلق، سيء التعامل مع الناس، هذا منفر، يصعب على الناس التعامل معه، ولهذا تأثير مباشر سلبي وسيء على أداء المسؤولية، قد يفضل البعض من الناس ألا يتعامل معه أصلاً؛ لفظاظته، ولسوء خلقه.

فالرفق نفسه مطلوب في أداء المسؤولية، حسن التعامل وأداء المسؤولية بشكلٍ راقٍ، وهذه مسألة مهمة، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، مهما كانت الكفاءة فيما يتعلق بالمهنة والاختصاص، إذا لم يقترن معها الرفق وحسن التعامل، فلن يُستفاد منها على الوجه الصحيح، هذا الإنسان الفظ، الغليظ، السيئ الخلق، السيئ في تعامله، قد يظلم، قد يؤثر سلباً في أداء تلك المسؤولية بفظاظته، وغلظته، وسوء خلقه، فهذا معيار مهم جداً.

فذلك يكون مما يلحظ في مسألة الرقابة، في مسألة الاختبار، كيف هذا المسؤول في أمانته، في أدائه مسؤولياته بالشكل الصحيح، وفي أخلاقه، وطريقته في التعامل، وفي رفقته بالناس، وحسن تعامله معهم، والرقابة السرية ضرورية جداً، وهي أكثر فاعلية من الرقابة الظاهرة والعلنية؛ لأن الكل سيلحظون، وبالذات عندما تأتي المحاسبة، والمتابعة، والتصويب، من غير كشف ذلك الرقيب، ومن غير الإخبار به، يلحظ ذلك المسؤول أنك تتابعه نتيجة خلل معين، أو سوء تصرف، أو سوء معاملة، [أنت أسأت المعاملة مع فلان، أنت فعلت كذا، أنت تصرفت بكذا].

أمَّا عندما تصل المسألة إلى مسألة خيانة، أو سلوك سلبي مستمر، تأتي الحالات التي لا علاج لها إلا التأديب، أو التغيير، حالات تقتضي التأديب، وحالات تقتضي التغيير، والعزل عن ذلك الموقع، وعن تلك المسؤولية، فالرقابة السرية التي لا يدري المسؤول متى، وأين، ومن، من يراقبه؟ كيف يراقبه؟ كيف يفعل؟ متى؟ في أي وقت؟ ستكون عاملاً مساعداً على الاستقامة، وعلى أداء المسؤولية بشكل أفضل.

((وَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ))

((وَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ)): كن حذراً متنبهاً لهم، ولأدائهم، ولأعمالهم، لا تغفل عنهم، وتتجاهل أداءهم، وتتركهم ليتصرفوا كيفما يشاؤون ويريدون، كن متنبهاً، ومهتماً، ومراقباً.

((فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ
عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا))

لاحظ في قوله: ((وَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ))، فيما يتعلق بالمسؤوليات العامة، والمناصب في الدولة، والمسؤوليات على رقاب الأمة، هذه مسائل حساسة، مسائل مهمة، مسائل خطيرة، يعني: لا يكفي فيها مجرد مثلاً المعرفة السابقة، أو الثقة المبنية على حسن الظن، والسلوك الإيجابي المعروف عن الشخص؛ لأن الكثير من الناس يمكن أن يتغيروا، يعني: البعض مثلاً من المسؤولين قد يكون ما قبل أن يصل إلى تلك المسؤولية، أو في بداية ما وصل، أو في مراحل معينة من أدائه للمسؤولية، رجلاً صالحاً، كان معروفاً بالصلاح، كان ظاهر الصلاح، كان ممن يمكن أن يؤمل فيه، أن يعتمد عليه، ولكن الكثير من الناس يمكن أن يتغيروا، البعض يفسدون بعد ظاهر الصلاح، البعض يتغير سلباً في سلوكه، وأدائه للمسؤولية، مثلاً: البعض يصاب بالغرور، والعجب، والكبر، تأتي آفات كثيرة تدخل إلى البعض في أداء مسؤولياتهم، فيمكن أن يتغيروا، ولذلك عندما يقول: ((وَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ))، لا تكتف بما كان هناك من معرفة سابقة، من اطمئنان سابق؛ لأن البعض يمكن أن يتغيروا، البعض مثلاً لم يواجه واقعاً في السابق مثل ذلك الواقع، فيما يتعلق بالإمكانات، أو الإغراءات، أو المقام المعنوي، أو الظروف المعينة، فالتحفظ مسألة مهمة، أن يكون هناك انتباه، وتعاهد، واهتمام بتقييم العمل، وملاحظة للواقع العملي.

((وَتَحَفَّظَ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَتِهِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اِكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ))

مع كل ما سبق من احتياطات، ومعايير، واهتمام، ورعاية، وتفقد، تأتي الرقابة، فإذا لوحظ من خلال هذه الرقابة، وبطريقة تم فيها التأكد، والتبين، والتحري، فاتضح أن أحداً من أولئك المسؤولين ((بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَتِهِ))، خان الأمة، خانها إما في المال، وأكثر ما تأتي الخيانة في المال والإمكانات، أو الخيانة لصالح العدو، أو الخيانة في أداء المسؤولية، من خلال مثلاً الاستغلال للمنصب للممارسات الظالمة، وارتكاب المفسد والجرائم... وغير ذلك مما يمثل خيانه، فإذا تم التأكد؛ لأنه هنا يقول: ((اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ))، يعني: لا تكتف مثلاً بأول خبر؛ لأنه يمكن أن يكون هناك كذب، أو يمكن أن يكون هناك اشتباه، أو أن يكون هناك خطأ، لكن عندما تتأكد من مصادر موثوقة متعددة، حتى أصبحت متأكداً من ذلك، فيبقى أن تتخذ الإجراءات.

والإجراءات عادةً ما تحدد الإجراءات، ونوعية الإجراءات، مثلاً: ما الذي يجري فيه السجن، وكم مثلاً، والتشهير، وأي إجراءات أخرى، إجراءات تحدد أصلاً، يعني: هناك آليات، هناك نظم، هناك ما ينظم مستوى هذا الإجراءات في مقابل الخيانة، فتفعيل مبدأ الثواب والعقاب تجاه المسؤولين مسألة مهمة جداً.

((وَأَخَذَتْهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبَتْهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ))؛ لأنه يستحق الإهانة، وأن يعرف الناس بخيانتته وبعقوبته.

((وَقَلَّدَتْهُ عَارَ التَّهْمَةِ))؛ لكي لا يعتمد عليه فيما بعد، في أي مسؤولية مهمة، وهذا أمرٌ مهمٌ، عندما يكون الواقع العام في أداء المسؤوليات والمهام العملية واقعاً مهملاً، قائماً على التسيب، وعدم المحاسبة؛ يتجرأ الكثير على الفساد، ويتجرأ الكثير على الاستغلال السيئ، ويتجرأ الكثير على الإهمال والتفريط في أداء المسؤولية؛ ولذلك عندما تأتي العقوبة، هي أولاً لإقامة العدل؛ لأن هذا من العدل ومن الحق أن يُعاقب، في مقابل خيانتته للأمة، وهي كذلك زجر وردع للآخرين، عندما يشاهدون أنه عوقب، وأنه أخذ بخيانتته، وبما فعل، فهي مسألة مهمة جداً.

هذا درسٌ مهمٌ جداً؛ لأن هذا الجانب من أهم الجوانب الضرورية لإصلاح العمل الحكومي، العمل في الدولة، وفي خدمة المجتمع، والذي يُبنى عليه النجاح فيما بعد ذلك، فيما يتعلق ببناء الحضارة، وفي استقرار حياة الناس، في حسن إدارة شؤونهم، في إصلاح واقعهم.

نكتفي بهذا المقدار...

ونسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛



درس من

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَابِ الْمَلِكِ الْأَشْتَرِ

الصفحة: ١٧٥

الدرس: الثامن

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،

وصلنا في الدرس إلى تنمية الموارد المالية، وما يتعلق بالخراج، والخراج: عنوانٌ يعبرُ به عن الإيرادات المالية من الإنتاج الزراعي، وأيضاً يعبرُ به في فقه الشريعة الإسلامية عن الأراضي التي سيطر عليها المسلمون، ثم تصالحوها مع

أهلها، على أن تبقى في أيديهم مقابل نسبة معينة من محاصيل تلك الأموال للأمة الإسلامية، للنظام الإسلامي، وطبعاً يعبر هنا بشكل عام ويستفاد مما ورد هنا فيما يتعلق بالإيرادات المالية والإنتاج الزراعي... وما يتصل بذلك.

قال **عليه السلام**:

((وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ))

العادة في اهتمامات الأنظمة والحكومات في كثير من بلدان العالم، وفي واقع المسلمين على مدى قرون من الزمن، أن يكون التركيز من الحكومات على الجباية المالية بشكل واسع، بأكبر قدر ممكن، والحرص على أن يكون التحصيل المالي للإيرادات المالية وفيراً، مع تجاهل واقع المزارعين، والعملية الإنتاجية في نفسها، وهذا كان يؤثر تأثيراً كبيراً على المزارعين، وعلى المنتجين؛ لأن الدولة والحكومة لا تلتفت إليهم، وإلى معاناتهم، وما يؤثر على إنتاجهم، وزراعتهم، وأحياناً لم تكن الحكومات والولاة يتعاطفون ولا يقدرّون الظروف الكارثية، والظروف الصعبة للمزارعين والمنتجين، فكانوا مثلاً يجبون جبايةً واحدة، ولا يفرّقون بين ظروف الجذب وظروف الغيث والأمطار، لا يفرّقون بين الأوقات التي تحصل فيها مثلاً كوارث معينة على المزارعين، على الأراضي، والحال المختلف عن ذلك، لا يأخذون بعين الاعتبار رعاية هذا المجال، ومآله، واستمراريته، وتطويره، همهم الوحيد هو الجباية المالية، والتحصيل المالي، والسيطرة على ما يتمكنون من ذلك، وتوفير أقصى قدر ممكن من ذلك.

الإمام **عليّ عليه السلام** قدّم سياسةً رشيدةً وعادلةً، تمثل المصلحة الحقيقية للأمة، بهذا التعبير عندما قال: **((وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ))**.

الإمام عليّ عليه السلام قدّم هذه الرؤية، التي يبني عليها الخير، ويبني عليها الصالح العام للأمة، حتى فيما يركّز عليه الولاة أنفسهم والحكومات نفسها، فيما يتعلق بالإيراد المالي أن يكون إيراداً كبيراً، هذه الرؤية هي تحقق هذا الهدف، إضافةً إلى هدفٍ له أهمية كبيرة في واقع الأمة، فالنظر في أمر الخراج من خلال الدراسة لذلك، واعتماد سياسة يبني عليها في العمل، هو وفق هذا: **((بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ))**، بما يصلح القطاع الزراعي، ويساعد على استمراريته، وحفظه، ومثائه، وتطويره، لاحظ هذه السياسة سياسة حكيمة، ورشيدة، ومفيدة، تحقق الأهداف المرجوة، وتحقق النتائج المهمة لمصلحة الأمة؛ لأن النظر في هذا الأمر ليس من زاوية واحدة: [كيف يتوفر مال للدولة]، بل من زوايا متعددة، وجوانب مهمة، ولهذا قال: **((فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا مِّنْ سِوَاهُمْ))**، فالنظرة إلى هذا الموضوع بما يمثله من أهمية للأمة.

للأسف الشديد تراجع اهتمام المسلمين حكوماتٍ وشعوباً بالإنتاج الزراعي، والعناية بالزراعة بشكلٍ عام، بأكثر من بقية الأمم والشعوب، لا تزال مسألة الاهتمام بالزراعة، والعناية بالإنتاج الزراعي، من الأولويات القصوى، الأولويات الأساسية لدى كثير من أمم الأرض، بمختلف دياناتهم، وبمختلف أجناسهم، فتجد الاهتمام بهذا الأمر بشكلٍ كبير في الغرب مثلاً، وفي بعض الدول الشرقية، كالصين، وكذلك مختلف البلدان والشعوب في غير العالم الإسلامي والمنطقة العربية، الاهتمام الكبير جداً بالزراعة، والإنتاج الزراعي، وتطوير هذا الجانب، والتركيز على الأولويات فيه، حتى وصلت الكثير من البلدان - وبالذات البلدان الكبرى- في إنتاجها إلى تغطية احتياجاتها الضروري، أو تغطية احتياجاتها بشكلٍ كامل، وأصبحت مصدرةً للفائض من إنتاجها الزراعي، فتصدره كثرة ضخمة إلى مختلف بلدان العالم.

السياسات المعادية للإسلام والمسلمين لها دورٌ، في تراجع اهتمام المسلمين في العناية بالزراعة، والإنتاج الزراعي، والمحاصيل الزراعية، من خلال الأنظمة العميلة، والحكومات العميلة، التي تعمل في سياساتها، وتعتمد في سياساتها ما يمليه عليها أعداء الأمة، وأيضاً الغفلة والتخلف التي سادت في واقع أكثر المسلمين على مدى قرونٍ من الزمن، كان لها تأثيرها الكبير أيضاً في تلاشي اهتمامهم وتفاعلهم مع هذا الجانب، وتحمل الأنظمة والحكومات المسؤولية- بالدرجة الأولى- في ذلك.

عندما نتأمل في هذه المسألة وأهميتها، نجد كثيراً من الدول والشعوب الأخرى في نظرهم إليها يعتمدون على ركيزتين:

■ الركيزة الأولى: يعتبرونها أمناً قومياً:

بمعنى: أنها من الضروريات الأساسية لكي نكونوا دولاً وشعوباً قوية، وحررة، ومستقلة، وقادرة على مواجهة أعدائها، وقادرة على مواجهة التحديات والأخطار، وأن هذا يدخل ضمن الضروريات الأساسية، التي ينبغي بحكم الفطرة، بالدافع الفطري، أن تكون من أهم الأشياء في إنتاج الشعوب، بل في أولوياتها للإنتاج، والثروة الوطنية؛ لأنها من الاحتياجات الضرورية، والإنسان بفطرته إذا بقيت له فطرة سليمة- ولو في بعض الأمور هذه- يدرك أهمية الإنتاج لضروريات الحياة، وفي مقدمتها الغذاء، والغذاء يعتمد بشكل رئيسي على الزراعة، فهم ينظرون من هذا المنظور، ولديهم اهتمام كبير بهذا الاعتبار: أن هذه ضرورة لحياتهم، وضرورة لحریتهم واستقلالهم، حتى لا تكون هذه وسيلة لاستعبادهم وإذلالهم من قبل دول أخرى؛ لأنهم إذا فقدوا توفير احتياجاتهم الغذائي الضروري، واعتمدوا على الآخرين في ذلك، سيكون وسيلة بيد أولئك الآخرين، في التحكم

بهم، والاستغلال لهم، والضغط عليهم، وسيكونون عرضةً للحصار الشديد الضار الموجه في أي لحظة، فهم يهتمون بهذه المسألة اهتماماً كبيراً.

■ ومن جانبٍ آخر: هم يدركون أنها تمثل ثروةً ضخمة:

بحساب المصلحة المالية، والمصلحة الاقتصادية، الزراعة والإنتاج الزراعي من أهم الثروات الضخمة، التي تحرك الاقتصاد، وتنعش الاقتصاد، ينتج على أساس العناية بها نشاط اقتصادي واسع، واسع من جوانب كثيرة، في متطلباته، في متعلقاته، فهم يدركون أهمية هذا الجانب أيضاً، ولذلك يهتمون به اهتماماً كبيراً جداً، ويسعون إلى إبعادنا عن الاهتمام بذلك من جوانب كثيرة، ألا يكون هذا الأمر حاضراً لا في ثقافتنا، ولا في تعليمنا، ولا في إعلامنا، ولا في نظامنا الاقتصادي، ولا في اهتماماتنا، تخيب هذه المسألة بشكل كبير.

المسلمون اليوم وهم يعيشون وسط أزمات عالمية، وتحديات متنوعة، يحتاجون- أكثر من أي وقتٍ مضى- إلى تصحيح سياساتهم فيما يتعلق بهذا الموضوع، وإلى التركيز على التوعية بشأنه، وترسيخ أهميته، واعتماد سياسات، وإجراءات عملية، وآليات عمل، تعالج هذه المشكلة التي أصبح واقع الأمة فيها واقعاً مأساوياً، وهناك فجوة كبيرة جداً في هذا المجال، وإلا سيكونون ضحية لتقصيرهم وإهمالهم لهذا الجانب، أصبح هذا الموضوع له علاقة بالحرية، والاستقلال، والكرامة، والثبات على المبادئ والقيم، يمثل بالفعل أمناً قومياً للأمم والشعوب، ويمثل ضرورةً للحياة، وأهميةً كبيرة على مستوى الإنتاج الاقتصادي، وتوفير المال، وسعة الأرزاق، وما يتصل بذلك، فالغفلة عن هذا الجانب تمثل مشكلةً كبيرة، لاحظوا اهتمام الآخرين بهذا الجانب، وما نتج عنه في واقعهم، وفي قوتهم، عامل قوة، وعنصر قوة بأيديهم.

الإمام عليٌّ عليه السلام يلفت النظر إلى أهمية هذه المسألة في قوله:
((فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا مِّنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ مِّنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ))
 الكل بحاجة إلى المحصول الزراعي، والإنتاج الزراعي، في موارده المالية من
 جهة، وبحاجة إليه كغذاء، كاحتياج ضروري لحياتهم وغذائهم من جانبٍ آخر.
((وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ، أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ))

هذه عناوين مهمة جدًا للاهتمام بالجانب الزراعي، ولكن قبل ذلك، قبل أن نأتي إلى بعض من تفاصيل ما يصلح هذا الجانب، نلفت النظر إلى أهمية أن يكون هناك توجهٌ جاد للاهتمام بهذا المجال؛ لأن الاهتمام بهذا المجال حصل فيه تراجع كبير في مختلف البلدان، مثلًا: عندنا في اليمن، الآباء والأجداد كانوا أكثر اهتماماً بالزراعة والإنتاج الزراعي منا في هذا العصر بكثير، وكانت نسبة الزراعة في زمنهم مقارنةً بالسكان نسبة كبيرة، مقارنةً بنا في هذا العصر، في المساحة المزروعة، ونسبة السكان، فهناك تراجع كبير في الاهتمام بهذا الجانب، ولكن هناك تضرر، ويزداد هذا الضرر كلما استمرت هذه الغفلة وهذا الإهمال.

❖ إذا جئنا إلى الاهتمام بهذا الجانب، فمفتاحه، وأساس النجاح فيه، وأول ما ينبغي أن نحسب حسابه في هذا الجانب، هو: ضرورة العودة إلى الله تعالى بشكلٍ عملي:

أن نسعى لإصلاح أمرنا، لإصلاح ديننا، لإصلاح أنفسنا، لإصلاح أعمالنا، لترسيخ تقوى الله تعالى في سلوكياتنا واهتماماتنا، وفي عنايتنا فيما يتعلق بمسؤولياتنا

والتزاماتنا الإيمانية والدينية والأخلاقية، هذا جانبٌ مهمٌ جدًّا.

❖ أيضاً فيما يتعلق مثلاً بإخراج الزكاة، والعناية بذلك بما ينبغي، بمستوى أهمية الأمر:

هذا شيءٌ أساسيٌّ لنحظى برعاية الله ﷻ، لنحظى بالبركات، لنحظى بالغيث من الله ﷻ، ليمن الله علينا من واسع فضله، كما في القرآن الكريم: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾، ﴿وَأَلِّ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿٢﴾﴾، فهذا شيءٌ مهمٌ جدًّا، لا يمكن تجاهله والتجاوز له وإهماله، لابدٌ من الاهتمام بهذا الجانب.

ثم ضمن هذا الرجوع العملي، نسعى إلى الاهتمام بهذه المسألة، بالنظر لأهميتها حتى في ديننا، لأهميتها حتى في استقلالنا، وكرامتنا، وحریتنا، فنسعى إلى الاهتمام بذلك بشكلٍ كبير، المقومات الزراعية معروفة، ويمكن توفير ما لا يتوفر، والاستفادة مما هو متوفر.

بالنسبة للمقومات الأساسية الضرورية جدًّا، فهي - بفضل الله ﷻ - متوفرة، ويمكن الاستفادة منها واستثمارها بشكلٍ أفضل، من خلال الرجوع إلى الله، والاهتمام العملي بشكلٍ صحيحٍ وحكيم.

❖ أول المقومات الزراعية هو الأرض، الأرض الصالحة للزراعة:

بحمد الله ﷻ يتوفر في بلدنا مساحات شاسعة جدًّا صالحة للزراعة، وفي بيئات متنوعة، البيئة الجبلية، وفي الجبال مساحات كثيرة قابلة للزراعة، وأيضاً

(١) نوح: ١٠-١٢

(٢) الجن: الآية ١٦

في المناطق الشرقية مساحات شاسعة جداً من الأرض الصالحة للزراعة، في الجوف، ومأرب، وشبوة، وحضرموت، مناطق شاسعة للغاية، ولا زالت أكثرها لم تستغل بعد في الزراعة، ما زالت مهمة.

❖ في البيئة أيضاً (التنوع البيئي):

مثلاً: ما بين المناطق الجبلية، والمناطق الشرقية، والمناطق التهامية، المناطق التهامية أيضاً هي فيها سعة كبيرة جداً، ومساحات شاسعة من الأرض الصالحة للزراعة، التي لم تستثمر بعد.

التنوع البيئي يساعد في وفرة وتنوع المحاصيل الزراعية، وأيضاً التكامل في الإنتاج الزراعي، فمثلاً: بعض المناطق يمكن فيها إنتاج بعض المحاصيل الزراعية بجودة عالية ووفرة كبيرة، في المناطق الشرقية يمكن إنتاج القمح بوفرة كبيرة، وبجودة عالية، وبيسر، هي صالحة جداً لإنتاج القمح؛ بينما نجد مثلاً كذلك بعض أنواع النخيل تصلح فيها بشكل كبير لإنتاج أنواع من التمور الممتازة، والبعض أيضاً يصلح منها في المناطق التهامية، كذلك بقية الأنواع من المحاصيل الزراعية، شيء منها يصلح في تهامة بشكل أفضل، وشيء منها يصلح في المناطق الجبلية بشكل أفضل، هذا كله يساعد على التنوع والوفرة في الإنتاج الزراعي.

الأرض المتوفرة للزراعة بحاجة إلى استثمار، واستغلال، وعمل، مما يؤثر على العمل في الجانب الزراعي: توجه الكثير من سكان الريف إلى المدن، وتكدسهم في المدن، هذا من أكبر عوامل تعطيل الزراعة، والعمل في الزراعة، والإنتاج الزراعي، وهي إشكالية كبيرة وخطيرة، خطيرة علينا كمجتمعٍ يمني. في بقية البلدان العربية هناك أيضاً فرص كثيرة للزراعة، ومجال واسع للزراعة، والعمل ضعيفٌ في ذلك.

• عندما نأتي إلى موضوع الأرض الزراعية، من المشاكل التي نعاني منها فيما يتعلق بهذا الجانب، هو: توجه الكثير من الناس لل عمران في الأراضي الزراعية: يعني: يختار لبناء منزل، أو لبناء سكن... أو متجر، أو غيره، يختارون الأرض الصالحة للزراعة، والمناسبة جداً للزراعة، وقد يتكون إلى جوارها مكاناً عادياً، مكاناً صخرياً... أو نحو ذلك، يمكن أن يعمروا فوقه، فيتكون تلك الأماكن، ويذهبون إلى أحسن الأماكن للزراعة للبناء فيها، لل عمران فيها، وهذا يؤثر، حتى في بعض المناطق مثلاً حصل في صعدة، في دمار، في عمران... في مناطق متعددة، في صنعاء، اتجه الناس لبناء المساكن والمنازل في أحسن المناطق للزراعة، وتركوا الأماكن التي يمكن البناء عليها دون أن تكون صالحة للزراعة، وهي صالحة للبناء عليها، هذا من قلة الحكمة، وقلة الرشد.

واجبنا كشعبٍ يمني أن نكون حكماء، ونتصرف برشد وحكمة في تنظيم شؤون حياتنا، وفي التخطيط لشؤون حياتنا، وأن نترك العشوائية؛ لأن العشوائية منافية للحكمة، العمل العشوائي غير المخطط، غير الهادف، الذي لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار مصلحة الأمة، والخير لها، وما فيه صلاح حياتها.

• من المشاكل فيما يتعلق بالأراضي الزراعية: استغراق أكثرها بزراعة القات، والاستمرار على هذه الطريقة:

يعني: في كل عام وهناك المزيد من الأراضي التي زرعت بالقات، استمرار في توسيع الزراعة بالقات، والاعتماد على القات بشكل كبير جداً، وهذا خطأ فظيع، وأمر مؤسف جداً؛ لأنه على حساب المحاصيل الزراعية التي يحتاجها الناس لغذائهم، لأكلهم، لطعامهم، لضرورة حياتهم، والكثير من الناس حتى من كان مثلاً زرع نسبةً من أراضيه ومزارعه بالقات، ونسبة أخرى كانت متروكة إمّا للبن،

أو للمحاصيل الزراعية الأخرى، ومنها الحبوب أو القمح، مثلاً: البعض كان يترك نسبةً من مزارعه لزراعة الذرة في المناطق الجبلية، الذرة الرفيعة، وزراعة نحوها من المحاصيل التي هي محاصيل غذائية وقوت، فاستكمل بقيتها بزراعة القات، وهذا حصل في مناطق كثيرة، والبعض أيضاً يستصلح أراضٍ أخرى، ثم يقوم بزراعتها بالقات، أو يشتري أرضاً ويصلحها للزراعة، يهيئها للزراعة، ويعدها للزراعة، ويغرسها قاتاً.

والقات آفة ضارة، ولا ينبغي أن يكون التوجه والسياسة المعتمدة في البلد هي استغراق الأرض بزراعته، كل ما هيئت أرض، أو أعدت للزراعة، تغرس بالقات؛ لأنه لن يفيد الناس في حال حدوث أزمات غذائية، لن ينفعهم في حال اشتد الحصار.

لذلك من الخطأ التوسع في زراعة القات، واستغراق بقية الأراضي في القات، هذه من المشاكل في هذا الجانب.

❖ من المقومات الأساسية التي تصلح أمر الخراج، تصلح الزراعة، والقطاع الزراعي، والإنتاج الزراعي، من المقومات الضرورية: المياه:

هناك مناطق كثيرة مثلاً في تهامة، وفي المناطق الشرقية، تتوفر فيها المياه الجوفية بشكل كبير، وتحتاج فيها وفي غيرها، في كل البلد، في كل عالمنا الإسلامي، نحتاج في الحصول على الماء بشكل كبير، بالشكل الذي يلائم ويناسب مستوى الاحتياج إلى الماء، وهو من ضروريات الحياة، وعمود الحياة، نحتاج إلى الرجوع إلى الله ﷻ كما ذكرنا في بداية الحديث، وإلى العناية باستثمار النعمة، نعمة المياه.

عندما تأتي الأمطار- وتحدثنا عن هذا كثيراً- معظم المياه تذهب، شيء يسير يستفيد منه الناس، البقية مثلاً في بلدنا يذهب في الوديان، جزء منها في البلد

يذهب إلى الصحراء، مناطق كثيرة تصب مياهها في الوديان، وتنزل كميات هائلة وضخمة جداً، ملايين الأطنان من المياه، تذهب حتى تصل إلى الصحراء، وملايين الأطنان كذلك، والكميات الهائلة من المياه في كثيرٍ من المناطق تصب في الوديان، وتتجه من الوديان إلى البحر، والشيء اليسير هو الذي يستفيد منه المجتمع.

فيما مضى كان الآباء والأجداد يهتمون جداً بحواجز المياه، ففي كل قراهم، وتقريباً عند أكثر المنازل والبيوت، كانوا يهتمون بالبرك، والخزانات، والأحواض المائية، التي تستوعب من الماء ما ينتفعون به، ويستفيدون منه لشربهم، ولمواشيهم، ولمنازلهم... ولمختلف احتياجاتهم، وأيضاً عند مزارعهم، وكذلك السدود في بعض المناطق.

في هذا الزمن نحتاج إلى العناية بهذا الأمر بشكلٍ كبير، الحواجز المائية بكل أشكالها: الخزان، والبركة، والحوض، والسد... وكل أشكال الحواجز المائية، وما هو على المستوى الشخصي، أو لأسرة معينة، وما هو على مستوى جماعي، بالتعاون بين أبناء منطقة معينة، أو عزلة معينة، أو قرية معينة، أو حتى عدة مناطق، في بعض الأماكن التي يمكن أن يستفيدوا منها بشكلٍ واسع، هذه مسألة مهمة جداً، وأنا أستغرب كيف لا يهتم الناس بهذا، وهم يرون ويشاهدون ويعيشون معاناة كبيرة نتيجةً للتقصير في هذا الجانب، يعني: هو شيء محسوس في حياتهم، يلحظون المعاناة الكبيرة في هذا الجانب! وهذا الجانب يحتاج إلى تعاون واهتمام كبير رسمي وشعبي، وجدية في الاهتمام بهذا الأمر؛ لأنه من المقومات الأساسية للزراعة، الزراعة تحتاج إلى ماء.

فاستثمار نعمة الأمطار في مواسمها، حيث تأتي- بفضل الله ﷻ- أمطار غزيرة، ولكن- كما قلت- تصب أكثرها إلى الوديان، جزءً منها- بحسب المناطق-

يصل إلى الصحراء، والجزء الآخر يصل إلى البحر، ثم يبقى الناس في الأوقات الأخرى (في غير المواسم) في حالة من المعاناة الشديدة، حتى على مستوى مياه الشرب، فهذا الموضوع يحتاج إلى عناية واهتمام، ترى الكثير من الأسر تجلس في بطالة مثلاً في أوقات الجذب، تبقى في بطالة، بدون عمل، بإمكانهم أن يعملوا في أن يحفروا لهم بركة، يحفروا لهم خزاناً، يعملوا لهم حاجزاً، قرية، أو عزلة، أو منطقة كذلك يبقون في حالة فراغ كبير؛ نتيجةً لتعطل أعمالهم الزراعية بسبب الجذب، فيبقون في حالة من القعود، والجمود، والإهمال، والتطائين، والضنك، والضييق، والفراغ، هذا أمر مؤسف! يفترض أن يتجهوا للعمل.

فالاهتمام بالحواجز المائية، والقنوات في مثل تهامة والجوف، القنوات المائية من الوديان، التي تساعد على ري الكثير من الأراضي، هذه مسألة مهمة جداً.

وكذلك العناية بالري الحديث؛ لأن أسلوب استهلاك الماء في الزراعة فيه هدرٌ كبير، السقي بالطريقة القديمة، تحويل كل الماء إلى كل الأرض، في هذا العصر استفاد العالم من الري الحديث المنظم، الذي فيه ترشيد كبير لاستهلاك الماء، يمكنك بقليل من الماء الذي كنت تستهلكه سابقاً، بطريقة الري الحديث، أن تروي مزرعتك بنسبة أقل بكثير مما كنت تحتاج إلى استهلاكه سابقاً، وهذه أيضاً من المسائل المهمة جداً، هناك أنواع معتمدة في الري الحديث لسقي المزارع بشكل يساعد على ترشيد الماء، واستهلاك كمية قليلة مقابل ما كان يحتاج الناس إلى استهلاكه سابقاً، وهذا من الرشد، والحكمة، ومما يفترض أن يؤخذ بعين الاعتبار.

أيضاً الاستفادة من الطاقة الشمسية؛ لأن الكثير يعانون من مشكلة الديزل في توفير المياه، عندما يحتاجون إلى الاعتماد على الآبار الارتوازية ونحوها،

يحتاجون إلى الديزل، والديزل مع ظروف شعبنا بسبب الحصار، ونهب ثرواته الوطنية من قبل العملاء الخونة، الذين يوالون الأجانب، وسيطرة الأجانب على المناطق المنتجة للنفط، والحصار الشديد، مع الأزمات الدولية، والمشاكل الدولية، أصبح ثمن الديزل كبيراً ومكلفاً، ويزيد من الكلفة في الإنتاج الزراعي، وخارجاً عن استطاعة الكثير من المزارعين، فالطاقة الشمسية يمكن أن تساهم - كذلك - طاقة الرياح في بعض المناطق، وسائل كذلك معاصرة يستفاد منها في هذا الجانب، هذا مما يصلح، عندما قال: ((بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ)).

❖ أيضاً من المقومات الأساسية للزراعة: الأسمدة، وأيضاً المكافحات للآفات، التي تؤثر على المحاصيل الزراعية:

الأسمدة يَسْتَوْرِدُ البلد بمبالغ كبيرة أسمدةً من الخارج، منها: أسمدة ضارة، تؤثر على التربة تأثيراً سيئاً، وبمئات ملايين الدولارات يتم استيراد الأسمدة والمكافحات من الخارج، من المفترض أن يكون هناك استفادة بشكل أوسع وأكبر من الأسمدة الطبيعية، مثل: مخلفات المواشي.

إنتاج للأسمدة في البلد، الكثير من التجار الذين يشترون من الخارج، ويستوردون من الخارج بملايين الدولارات أسمدة، يمكن أن ينتجوا في البلد، كذلك بعض الجمعيات التعاونية، يمكن إنشاء جمعيات تعاونية تنتج الأسمدة في البلد، تنتج المكافحات في البلد، بجودة أفضل، وكلفة أقل، وغرامة أقل، مع الأخذ بعين الاعتبار المحاذير، وتجنب الأسمدة الضارة، والمكافحات الضارة، الضارة بالزراعة، والنباتات والأشجار، والتربة، والإنسان، بصحة الإنسان، وهناك كارثة تحصل من كثيرٍ من المكافحات التي يعتمد عليها المزارعون، وينتشر بسببها مرض السرطان، وينتشر بسببها أمراض فتاكة قاتلة للناس، فيتحول بعض

المزارعين إلى قاتل، إلى منتجٍ لِمَا يشكل تهديداً لحياة الناس؛ نتيجةً لاستخدامه تلك المكافحات الضارة جداً، ليس فقط لصحة الإنسان، بل القاتلة للإنسان، وهذه مشكلة خطيرة على الناس، ولذلك يمكن إنتاج الكثير من المكافحات والأسمدة في البلد، وبكلفة أقل، وقرامة أقل، وأسعار أقل، مع تجنب الضرر، فتتعدد المنافع في ذلك.

❖ من المقومات الأساسية للزراعة: الوسائل:

(الحراثة، الحصادات، وسائل الري... ونحو ذلك)، البعض منها يمكن أن يجلبه التجار، وإذا جلبوه فيمكن أن يأخذوا بعين الاعتبار مصلحتهم ومصلحة البلد، في أن تكون الأسعار منطقية، وغير مجحفة؛ ليستطيع الناس أن يشتروا منهم بشكل أكبر، وهذا سيوفر لهم المال.

وأيضاً البعض منها يمكن صناعته أيضاً في البلد، البعض تمكنوا بجهود فردية من صناعة حراثة بأشكال متنوعة، ويمكن من خلال العمل التعاوني والاستثماري إنتاج هذا الجانب بشكل أكبر ومنتوع، بحسب المناطق واحتياجاتها، وهذه مسألة مهمة؛ لأن الوسائل تساعد على القدرة الإنتاجية، عندما تشتغل بحراثة، القدرة في ذلك، واليسر، والإنجاز، والسرعة، والكلفة، أقل بكثير من العمل اليدوي في ذلك، وهكذا حصادات، وهكذا بقية الوسائل.

❖ من الأشياء المهمة فيما يتعلق بصلاح الإنتاج الزراعي والزراعة: العناية بالجودة، والسلامة (سلامة المحاصيل الزراعية) أثناء العمل، وفي طريقة العمل، وأثناء الجني، وأثناء القطف أو الحصاد، بحسب المحصول الزراعي: هذه مسألة مهمة؛ لأن الكثير من المزارعين إمّا يقطف، أو يحصد، قبل الوقت المناسب، وهذا يؤثر سلباً، يأتي بالفواكه إلى السوق قبل أن تطيب، قبل

أن تصبح صالحة للاستهلاك، أو تكون طريقته في القطف، أو الحصاد، أو الجني، طريقة مؤثرة سلباً، تلحق الضرر بالمحصول الزراعي، فيصل إلى السوق مصاباً، أو تالفاً... أو غير ذلك، وهذه مشكلة كبيرة على المزارعين، يجب الرشد في العمل، في طريقة العمل، وفي الحفاظ على المحصول، في السعي إلى سلامته، في الاستفادة من وسائل التخفيف، ومن طريقة التعبئة، والحفاظ على المنتج؛ حتى الإيصال له إلى السوق سالمًا، ويستفاد منه، هذه مسألة مهمة، (الكف عن الاستعجال على القطف أو الجني قبل وقته).

❖ من الأشياء المهمة لصالح الجانب الزراعي: ضبط الكلفة وترشيدها:

لأن البعض من المزارعين يعمل بطريقة عشوائية، فتكون الكلفة المالية على العمل كلفة كبيرة، يخرج فلوساً بدون أن يحسب حساب المحصول كم سيكون مثلاً، ثم يوازن الغرامة في العمل، ويرشُد الإنفاق في العمل، ليكون بالقدر الذي لا يستهلك كل عائدته المالي، يبقى له ما يفيد، البعض حتى يخرج بغرامة؛ لأن هناك هدرًا وعشوائية، الهدر والعشوائية في الإنفاق على العمل، وفي طريقة العمل، وفي أسلوب العمل، حتى يكون العمل مثلاً بكلفة كبيرة زائدة على اللزوم، إذا درست هذه المسألة، ودرس الإنسان كيف أعمل لكي أنتج بأقل كلفة، فسيصل إلى نتيجة في ذلك، عندما تكون الأمور محسوبة، ومنظمة، وهناك خيارات في العمل، وطريقة في العمل، ومستوى الإنجاز كيف يكون، والاستفادة في هذا من بلدان العالم التي تنتج بأقل كلفة، وتصل بضائعها إلى أسواقنا لتنافس منتجنا المحلي بكلفة أقل، فلننظر كيف يفعلون، ماذا يعملون في ذلك، ونستفيد من تجارب الآخرين، ونطور الموضوع عندنا نحن كذلك.

❖ أيضاً من الأشياء المهمة، هي: العناية بالتسويق الزراعي:

التسويق الزراعي بدءاً في البلد، قد يتوفر محصول زراعي معين في محافظة، إلى درجة أن يرخص ثمنه في أسواقها؛ بينما هو بأسعار مرتفعة، ويكاد يكون معدوماً في المحافظات الأخرى، تَظُم هذا الموضوع لابدّ فيه من اهتمام رسمي وشعبي؛ حتى لا يبقى فائض من المحصول الزراعي إما ينتهي، أو يبخر ثمنه، يصل إلى طريقة تسبب الخسارة للمزارع، بينما بقية المحافظات لا يتوفر فيها ذلك المحصول، فنظم هذه المسألة في التسويق الزراعي في البلد أولاً.

ثم خارج البلد لما يصبح كذلك فائضاً عن احتياج الناس في البلد، مسألة مهمة، وتحتاج إلى عناية رسمية، وانتظام في الواقع الشعبي، وفهم لهذه المسألة؛ لأن هناك جانباً يعود إلى الجانب الرسمي، مثلاً: توفير المعلومات، وإرشاد المزارع، وجانباً منه يعود إلى المزارع، إلى اهتمامه هو، كيف يكون ملتفتاً، هل هنا ما يخرجنه في تسويق محصولي الزراعي، وأصبح فائضاً هنا، ومتوفراً جداً، وسأخسر، ويمكن التسويق به إلى مكان آخر، وكذلك عناية الذين يعملون في هذا المجال، في التسويق الزراعي.

أيضاً في توفير أسواق زراعية، أسواق للمنتجات الزراعية، تقدم الخدمة للمنتج الزراعي، بدأ العمل في هذا، ويحتاج إلى عناية وتوسيع، وكذلك إلى اهتمام في بعض المحافظات التي لم تبدأ فيها هذه الخدمة للمزارعين؛ لأن فيها مثلاً ثلاثيات، فيها تغليف، فيها ما يساعد المزارع.

وضبط الاستيراد الخارجي؛ حتى لا يضرب المنتج المحلي، والمحصول الزراعي المحلي؛ لأن البعض من التجار يشتغلون بطريقة تضرب الإنتاج الزراعي في البلد، فيجلب من الخارج نفس نوع المحصول الزراعي في البلد، في موسمه،

إمّا بقيمة أقل، أو حتى بقيمة أرفع، لكن بقدرة تسويقية أكبر، يروّج للمنتج الخارجي الذي جلبه من الخارج، ويوصله إلى الأماكن الأخرى، على حساب المحصول الزراعي المحلي؛ فيضرب المحصول الزراعي المحلي، وهذا يتضرر منه المزارعون بشكل كبير في البلد، ويؤثر تأثيراً سيئاً على الإنتاج في البلد، هذه المسألة تحتاج إلى:

- وعي من التجار، واستشعار للمسؤولية.
- وكذلك اهتمام من الجانب الرسمي بما ينبغي، بمستوى أهمية هذا الموضوع.
- وكذلك من جانب المواطنين، الوعي بأهمية الإنتاج المحلي، والإقبال على المحاصيل المحلية، والإنتاج الزراعي البلدي والمحلي، هذه مسألة مهمة جداً.

الحث للتجار على الاستثمار في التسويق الزراعي، بدلاً من جلب المحاصيل من الخارج فيما هو متوفر في الداخل، فلا يكون ما يوفر من الخارج إلا لتغطية النقص الحاد، فيما لم يتوفر بعد بما يغطي الاحتياج في البلد من الإنتاج المحلي.

❖ مما يصلح الزراعة، هو: العناية بالإرشاد الزراعي:

أن يكون هناك اهتمام كبير بإرشاد المزارعين، بتقديم المعلومات الضرورية لهم، لإصلاح الزراعة، لمعالجة المشاكل التي يواجهونها في الزراعة، لمواجهة آفات... وهكذا أشياء كثيرة تدخل ضمن الإرشاد الزراعي، وحتى في العملية الزراعية، والتسويق الزراعي... وغير ذلك، هناك احتياج شديد للإرشاد، وأن يكون هناك تفاعل من جانبهم أيضاً، واهتمام من جانبهم؛ ليستفيدوا، وورش، ودورات، وإعلانات، وبرامج، وأنشطة متنوعة للإرشاد الزراعي.

❖ وأيضاً العناية بالتعليم في الجانب الزراعي:

يحتاج إلى العناية بالتعليم؛ لأن التعليم في هذا الجانب كان ضعيفاً في المراحل الماضية جداً، لا يواكب الاحتياج الكبير للبلد في هذا الجانب، إهمال كبير من أضعف المواد التي تدرّس، والاهتمام بها هو اهتمام ضئيل جداً.

❖ مما يصلح الجانب الزراعي، ومن أهم متطلباته وضرورياته: العمل على إنتاج البذور محلياً، وكذلك المشاتل:

لأن إنتاج البذور أمر ضروري للزراعة، لا بد منه، وكذلك المشاتل أمر ضروري للزراعة، وللعناية بالزراعة، ولتوفير ما يحتاجه الناس لغرس الفواكه، والأشجار، والنباتات الضرورية، والمهمة، والمفيدة، وهذا يحتاج إلى عناية رسمية وشعبية، واهتمام من الجميع، وكذلك من الجمعيات التعاونية.

❖ مما هو مهمٌ أيضاً، وينعش الجانب الزراعي ويصلحه، هو: العمل على إنتاج وتصنيع وتحويل المحاصيل إلى معلبات، وعصائر... ونحو ذلك:

يعني: العملية الإنتاجية للمحصول الزراعي من خلال المصانع، هذه مسألة مهمة جداً، وواسعة، والاستثمار فيها مهمٌ جداً، يوفر الغذاء للشعب، ويجعل الناس يستفيدون بشكل أكبر من المحاصيل الزراعية، والمنتجات الزراعية، يستفيدون بشكل أكبر، وبشكل أوسع، وهذا أمرٌ مهم؛ لأن البلد يستورد من المعلبات والعصائر والمنتجات الزراعية المعلبة والمنتجة بمليارات الدولارات سنوياً، وهذا أمر مؤسف، والكثير منها ضار، وجودته متدنية، وتأثيراته سيئة؛ بينما لو يتجه الاهتمام بوعي وأمانة للإنتاج في البلد، يمكن أن نتجنب كل تلك السلبات، وأن ننعش الاقتصاد المحلي عندنا، ونحتاج في هذا أيضاً إلى ملاحظة الجودة؛ حتى ننافس المنتج الخارجي، ونحتاج إلى تقليل الكلفة؛ حتى لا يكون مرتفع السعر والثلثن بشكلٍ باهظ، لا يستطيع أكثر أبناء الشعب شراءه.

❖ من الأشياء المهمة التي ستنهض بالقطاع الزراعي، والإنتاج الزراعي، والتصنيع للمنتجات الزراعية، هي: الجمعيات التعاونية والاستثمارية في الزراعة: البعض من التجار لا بأس اتجهوا- وهذا رشدٌ منهم، وتوفيقٌ لهم- إلى الاهتمام بالزراعة، والاستثمار في الزراعة، وهم قليل من اتجه هذا التوجه، المواطنون بشكل عام بإمكانهم أن ينشئوا جمعيات تعاونية استثمارية، تعمل في الجانب الزراعي، ولكن- كما نبهنا كثيراً- مع الحذر من النصب والاحتلال، ومع رعاية رسمية لهذا الجانب، لتكون هذه الجمعيات التعاونية، مؤسسة على أساس صحيح، وبشكل صحيح، لا يكون فيه ضياع، ولا إهمال، ولا فشل، وتعمل أيضاً بشكل صحيح، وفق آليات صحيحة، وشفافة، ومضمونة؛ حتى لا يكون فيها نصب، ولا تضييع، ولا هدر لحقوق الناس، وهذا الجانب سينهض بالإنتاج الزراعي والعمل في الزراعة، والإنتاج في الزراعة، وهذا أمر مهم جداً، من ضروريات تطوير هذا الجانب، وتقويته، وإصلاحه، لا يتحقق إلا بهذا الجانب؛ لأن القدرة المالية الفردية هي محدودة لدى أكثر الناس، ليس عندهم قدرة تمويلية للإنتاج في الزراعة، وتطوير الجانب الزراعي وتقويته.

❖ إلى جانب الثروة الزراعية النباتية، هناك ثروة مرتبطة بها، وهي توأمها، وهي الثروة الحيوانية:

الثروة الحيوانية ذات أهمية كبيرة جداً؛ لأنها ثروة للناس في غذائهم، وثروة مادية، وتوفير لشيء ضروري لحياة الناس، ولقوتهم ومعيشتهم، والثروة الحيوانية إلى جانب الزراعة؛ لأن المواشي تعتمد على الزراعة أيضاً، وتستفيد منها.

مع ذلك أيضاً الاهتمام بإنتاج الأعلاف، هناك ضعف في هذا الجانب في البلد، حتى إنتاج أعلاف الدجاج، هناك ضعف في هذا، والاعتماد على الاستيراد

لأكثر الأشياء، أو انعدام لبعض الأشياء، إنتاج الأعلاف مسألة مهمة، مع الاهتمام بالثروة الحيوانية.

الاهتمام بالطب البيطري مسألة مهمة، وتطوير العمل في هذا المجال؛ لأن العمل فيه تقليدي وقديم، وقد تطور العالم، أصبحت هناك وسائل لتربية المواشي، مفيدة، وحديثة، وميسرة لهذا الجانب، ومفيدة في هذا الجانب.

والعناية بالصناعة والإنتاج في إطار ذلك، إنتاج الحليب، ومشتقاته، وما يتصل بهذا الجانب، وإنتاج العسل بأمانة، وبطريقة جيدة، وتسويقه بطريقة جيدة، هذا الجانب أيضاً توأم للثروة الحيوانية.

فقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ:

((وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ))

لا يكن همك فقط الحصول على الإيرادات المالية، اعمل على تطوير القطاع الزراعي، والإنتاج الزراعي، والزراعة، وستوفر الإيرادات.

((لَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ، أَخْرَبَ الْبِلَادَ))

تتعطل؛ لأنها عملية استنزاف، أخذ للأموال، فرض لضرائب وغرامات من دون نتيجة.

((أَخْرَبَ الْبِلَادَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا))

لأنه يتعامل بظلم، والظلم سبب للعقوبة الإلهية العاجلة، وأيضاً يضرب البنية التحتية، والقدرة الاقتصادية، التي لابد منها في استمرار الدول والحكومات.

((فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا))

ثقل بسبب الغرامة مثلاً، أو الكلفة المالية، فُرِضت عليهم ضرائب أكبر، التزامات مالية أكبر.

((أَوْ عَلَةً))

حصلت عليهم علة من العلل في محصولهم الزراعي، وإلا ضربة، أو آفة سماوية، أو أي جائحة، أو مشكلة.

((أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ))

مما يسقى، لم يعد يتوفر له الماء، كان يسقى من نهر، أو حاجز مائي، أو غيره، فانقطع.

((أَوْ بَالَةً))

لم يحصل مما كان يعتمد على المطر، فانقطع عنه المطر، حتى انتهى.

((أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ))

أو كذلك فساد البذور والنباتات في أرض؛ بسبب غرقها بالماء بشكلٍ مستمر.

((أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ))

واضح.

((خَفَّضَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ))

لأن مما تحرص عليه أن يبقى هذا القطاع مستمراً، أن ينمو، وأن يتطور، لا أن تضغط عليهم؛ حتى تدمر الزراعة، أو تصل بالمزارع إلى يأس من خواجه في ذلك، يرى أنه متضرر، وأنه سيخسر على كل حال، فيختار أن يستبدل بالزراعة سبباً آخر.

((وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَضَتْ بِهِ الْمُؤَنَّةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ

يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ))

لا يصعب عليك ويثقل عليك أنك قدمت لهم تسهيلات، وخففت عنهم تخفيضات، تنعشهم، تساعدهم على تطوير عملهم الزراعي، وتقوية عملهم الزراعي، وتجنبهم الخسارة، أدرك أن ذلك مهمٌ حتى لك أنت في حكومتك، وفي ولايتك؛ لأن له أثرًا إيجابيًا كبيرًا.

((يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ))، حتى

على مستوى تزيين ولايتك، أنك ناجح في عملك، في أداء مسؤوليتك، ولهذا أهمية كبيرة، نهضت البلاد في عهدك... إلى غير ذلك.

((مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ ثَنَائِهِمْ))

لأنهم سيرتاحون لك، ويثنون عليك، ويشيدون بعدلك، ورحمتك، وتفهمك، وحكمتك، ورشدك.

((وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ))

أنت سترتاح، تظهر ارتياحك باستفاضة ظهور العدل، وانتشار العدل فيهم.

((مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ))

أنت ستستفيد لاحقاً من قوتهم، التي كنت أنت مسهماً فيها، عندما تسعى لأن يكون الإنتاج الزراعي قوياً في بلدك وفي شعبك، أنت- كحكومة وسلطة- ستستفيد من ذلك، ستكون عائدات ذلك قوية، يقوى الشعب، فتقوى الدولة، وتقوى الحكومة، وتكبر الإيرادات، وينتعش الناس.

((وَالثِّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ))

مع مكسب كبير، وهو: العلاقة القوية ما بين الولاة، ما بين المسؤولين، وما بين الشعب، وما بين هذه الفئة من أبناء الشعب (المزارعين)، هذه الثقة لها أهميتها الكبيرة في مستوى تعاونهم، اهتمامهم، تفهمهم، دعمهم في الظروف والمراحل الصعبة والحساسة.

((بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ، وَرَفِقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنْ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ، اخْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ))

يكونون سنداً في الظروف الصعبة، في مواجهة تحديات كبيرة، وفي مواجهة خطر من الأعداء، في مواجهة ظروف صعبة في البلد، سيتعاونون بطيبة أنفسهم، عندما تكون علاقتك طيبة معهم، أنت ترفق بهم، وتسهل لهم، وتهتم بهم، وتخفف المؤونات عنهم، وتقدم لهم التسهيلات الواسعة في الأشياء التي يحتاجون إليها، في المتطلبات الأساسية في الزراعة.

أحياناً قد يشعر المزارع أنه محارب من بعض المسؤولين، محارب بأشكال كثيرة، عندما يريد توفير أي شيء من متطلبات الزراعة، هم له بالمرصاد، مضايقات، وغرامات، وضرائب، ولا يصل الشيء إلا بشق الأنفس، السياسة الخاطئة لها تأثيرات سيئة جداً، تضر بهذا المجال.

((فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ))

نعم، البنية الاقتصادية التحتية تمثل سنداً كبيراً للبلد، للمجتمع، وللدولة، في مواجهة التحديات الكبيرة، والأخطار الكبيرة، وفي مواجهة حصار، وفي مواجهة حرب، ومجاعة، في مواجهة ظروف معينة، يمكن أن يعتمد عليها.

انظر مثلاً إلى واقع روسيا، فرض عليها الأمريكيون وحلفاؤهم حضراً اقتصادياً شديداً جداً، لكن لأنها تمتلك بنية زراعية عملاقة وقوية لم تتضرر، لم يتضرر الناس في قوت عيشهم، في غذائهم، في ضروريات حياتهم، بعد كل ما فعلوه من حصار، وإجراءات، تضييق على الروس تضييقاً كبيراً جداً، اكتمل الموسم عندهم، وإذا معهم فائض من القمح (خمسين مليون طن)، هذا الذي يريدون أن يصدروه إلى الخارج، يعني: فائض هائل جداً، فائض ضخم من إنتاجهم من القمح. هذه البنية التحتية الزراعية ستكون دعامة وقوة للبلد، في مواجهة أي تحديات، أي حرب، أي حصار، أي مجاعة، أي ظروف في العالم.

((وَأِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهِ))

نعم، الخراب: تدهور الجانب الزراعي، والعملية الزراعية، وانتهاء أكثر المزارع، وتوقف هذا الجانب؛ بسبب فقر وظروف أهله، عندما يصبحون في حالة فقر وحاجة، المزارع نفسه لم يعد يستطيع أن يوفر شيئاً بسبب الغرامات، والإجحاف، والتضييق... إلخ. هذا يسبب الخراب لهذا الجانب.

((وَأِنَّمَا يُعْوَزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوَلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ))

إذا كان همّ الولاة والمسؤولين كله في جمع المال، ليس في عمارة البلاد، وتكون هي الطريق إلى الحصول على المال، جمع المال بغض النظر عن تضرر الواقع، وتضرر القطاعات المنتجة، فهذه سياسة خاطئة جداً، عندما يكون المزارع محارباً في كل شيء، كل متطلبات الزراعة عليها ضرائب مجحفة، وعليها تضييق لا تصل إلا بشق الأنفس، ثم يواجه المشاكل الكثيرة، أثناء العمل الزراعي، ما بعد الزراعة، وما بعد الإنتاج، وما بعد توفر المحصول، فيجد نفسه في حالة من الضيق، والتعب، والغرامات الكبيرة، والتشديد؛ لأن المسؤولين همهم أن

يجمعوا مالاً من كل شيء، ضرائب على كل شيء، ضغط في كل شيء، هذا يؤثر.

((وَسُوءَ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ))

لأن البعض من المسؤولين يرى المنصب وسيلة للحصول على مكاسب، وهو كذلك يظن في نفسه أنه سيبقى فترة محددة وسيذهب، يريد ألا يخرج من منصبه إلا وقد جمع أموالاً كثيرة؛ لكي يستفيد منها هناك أرصدة، أو في استغلال تجاري، أو مصالح فيما بعد، يكون قد كسب لنفسه ثروة شخصية من أيام منصبه.

((وَقَلَّتْ اِنْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ))

عدم اعتبارهم بالمتغيرات الكبيرة، والظروف التي تحصل كعقوبة من الله ﷻ، وضيق من المجتمع، عندما تكون السياسة ظالمة، وضاغطة، ومضيقه على الناس، ما لذلك من تأثيرات سلبية.

ف نجد هذه رؤية مهمة جداً في الاهتمام بالجانب الزراعي، وتحقيق الأهداف المتعددة والمهمة من هذا الجانب، الإيرادات الضخمة، والبنية التحتية الاقتصادية القوية، وتوفير الاحتياج الضروري للناس... إلى غير ذلك، شرحنا الكثير عن هذا الأمر، مع تأكيدنا على أهمية العناية بالزكاة، الزكاة مسألة مهمة جداً لنيل البركات، والحصول على الخيرات والغيث.

نكتفي بهذا المقدار.

وطبعاً مع قرب العيد، يوم غد هو اليوم التاسع، ولذلك سنتوقف عن بقية الدروس إلى ما بعد أيام التشريق إن شاء الله، الناس سينشغلون بأمور العيد وغير ذلك، البعض يحتاج يسافر ويسير ويجي، إلى غير ذلك، إن شاء الله نواصل الدروس بعد أيام التشريق؛ لاستكمال عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشر «رضوان الله تعالى عليه».

نسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛



دروس

عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتري

الصفحة: ٢٠١

الدرس: التاسع

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،

كنا وصلنا في الدروس في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتري إلى معايير اختيار الكتاب وما يتصل بذلك.

قال عيسى عليه السلام:

((ثُمَّ انظُرْ فِي حَالِ كِتَابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِيهَا مَكَائِدُكَ وَأَسْرَارُكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْعَفْلَةُ عَنْ إِيْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ)).

الكتاب: هم الإداريون، والعاملون في المكاتب، وأمناء السر، والذين - عادةً - ما يكونون في أعمال في محيط العاملين الأساسيين، والمسؤولين الأساسيين.

دور هؤلاء هو دورٌ مهمٌ جدًّا؛ لأنهم يمثِّلون حلقة الوصل بين المسؤول وبين الناس، ولأن كثيراً من الترتيبات العملية، والتجهيزات العملية، والأمور الفنية، يُعتمد عليهم في إعدادها، وفي إنجازها، ولأنهم هم من يباشرون إنجاز المعاملات، وتحرير المعاملات أيضاً، فأعمالهم مهمةٌ جدًّا، وكثيرة، ودورهم أساسيٌّ في إطار المسؤول (المعني).

ومن الملاحظ في واقعنا في البلدان العربية، أن من أكثر ما يعاني منه الناس: مشكلة العاملين في المكاتب الحكومية، والمسؤولين في المكاتب الحكومية، الذين هم المعنيون المباشرين لترتيب المعاملات، وتنظيم المعاملات، وتحرير المعاملات، وهم قنوات وحلقات الوصل مع المسؤولين، وهم الذين يباشرون الكثير من الأمور والتفاصيل، فالخلل في هذا الجانب يمثِّل إشكاليةً كبيرةً في واقع العمل، فالبعض - مثلاً - قد يكون مهملاً، لا يستشعر المسؤولية، لا يبالي، فقد يكون في طريقته في العمل مستهتراً، يضيِّع الكثير من المعاملات، أو لا يهتم

بإنجاز الكثير من المعاملات، ولا يمثل حلقة وصلٍ تساعد على إنجاز العمل، لا يصل بصوت الناس، أو بمعاملاتهم، أو بشكاواهم... إلى المعنيين، أو يؤخرها جدًّا؛ نتيجةً لإهماله وتقصيره.

كذلك عندما تعود المسألة إلى مسألة إنجاز معاملة ما بعد وصولها إلى المعني، وما بعد ما حدده في ذلك إنجاز المعاملة، فيما بعد ذلك تنفيذ التعليمات، التوجيهات، والأوامر التي صدرت، يأتي التأخير.

فمثلاً: من أبرز ما عُرف عن المكاتب الحكومية في معظم البلدان العربية، هو: تأخير معاملات الناس إلى حدٍ كبير، وأحياناً تدخل بعض الأنظمة والروتين الإداري كعامل في التأخير، من عوامل التأخير، البعض لهم أنظمة وتعقيدات وروتين ممل ومطول، فيؤخرون إنجاز معاملات الناس إلى حدٍ كبير، فالمعاملة التي قد يكون من الممكن إنجازها في أسبوع، قد يؤخرونها لأشهر، والمعاملة التي يمكن إنجازها في شهر، قد يؤخرونها لسنوات... وهكذا يكون أداؤهم السيئ، وروتينهم الطويل الممل والمعقد، ولا مبالاتهم، وإهمالهم، سبباً لعرقلة الناس، ولعرقلة معاملاتهم، ولتأخيرهم في أمورهم، فيكون لذلك تأثير سيئ في واقع الناس في حياتهم، حتى أن البعض مثلاً قد يتجه اتجاهاً آخر في أموره العملية، ثم يسبب له ذلك إشكالات فيما بعد، يقولون عنه: [مخالف، لم يأخذ الترخيص، لم ينجز معاملته بشكلٍ رسمي، لم ولم... إلخ].

فالآن مثلاً من المعروف أن كل المسؤوليات الحكومية، والجهات المعنية في الدولة، تعتمد على مكاتب، تعتمد على أمناء سر، تعتمد على إداريين، وعادةً ما تناط كثيرٌ من التفاصيل العملية، ومن المعاملات التي تتعلق بالناس في واقع حياتهم، في مختلف المجالات: المجالات الاقتصادية، المجالات الاستثمارية...

مختلف المعاملات، فهناك دوائر وإدارات وجهات تعمل على إنجاز معاملات الناس، تمثل حلقة الوصل بين المسؤول وبين المجتمع، وتتعلق بها، وترتبط بها الكثير من التفاصيل لإنجازها.

صلاح المكاتب، وصلاح هذه المواقع الإدارية، التي تمثل حلقة الوصل بين المسؤول وبين المجتمع، وأداؤها الصحيح، وإنجازها على الوجه الصحيح لمعاملات الناس ولأمورهم، تمثل أهمية كبيرة جداً في حسن إدارة شؤون الناس، وإصلاح واقع الناس، وتفادي الكثير من الإشكاليات في واقع الناس؛ ولذلك ركّز أمير المؤمنين عليّ عليه السلام على هذه المسألة، وقدم بشأنها هذه التوجيهات المهمة جداً، قال عليه السلام:

((ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ))

أمورك أنت، ما يتصل بمسؤوليتك، ما له علاقةً بعملك بشكلٍ مباشر.

((فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ)): اختر المسؤول عليهم الذي يديرهم وفق معيار الخيرية.

((خَيْرَهُمْ)): الذي تعرف فيه التقوى، والإيمان، ومكارم الأخلاق، والاستشعار العالي للمسؤولية، والفهم الصحيح للعمل، وحسن الإدارة، وحسن الأداء... إلى غير ذلك مما يتناسب مع موقع المسؤولية، وفي مستوى حجم المسؤولية.

**((وَإِخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ
بِأَجْمَعِهِمْ لِيُجِوهَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ))**

ثم في هذا الإطار: في إطار العمل المباشر وفي محيطك، وفي إطار مسؤوليتك، لاحظ ما يتضمن معلومات حسّاسة، أو تديراً، أو خطّة، أو خطأً فيها ما يتعلق

بالتصدي للأعداء، فيها ما يتعلق بالاستعداد للتصدي للأعداء، وفيها الأسرار العملية، التي لا ينبغي أن تصل إلى العدو؛ لأنه سيستغلها للإضرار بالبلد، للإضرار بالناس، أو للتأثير على العمل نفسه، بسبب خروجها وتسربها لخلل في العمل نفسه، وعادةً ما يكون هناك أسرار للعمل، أسرار تتعلق بالتدبير والخطط في مواجهة الأعداء، وفي التصدي للأعداء، وفي بناء القوة اللازمة، وفي إعداد الترتيبات العملية اللازمة للتصدي للأعداء، فمن المهم الحفاظ عليها من التسرب.

((بِأَجْمَعِهِمْ))، ولذلك المعني بهذا الجانب يتميز بماذا؟ بقوله:

((بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهُ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ))، يكون من خيرهم، من أجمعهم لمكارم الأخلاق، وللمواصفات الإيجابية، يعني: يكون أكثرهم إيجابيةً وتناسباً مع هذه المهمة الحساسة، بحيث تأمنه في كتمان السر في كل الأحوال؛ لأن البعض مثلاً إما في حالة السخط، أو الغضب... أو لعوامل أخرى، البعض مثلاً ممن يمكن استمالته بالأطماع والأهواء، أو ممن يكون في حالة الغضب إنساناً غير متزن، يمكن إذا انفعل جداً أن تكون ردة فعله نحو العمل نفسه، لا يبالي بالامة، ولا يبالي بالعمل، ولا يقدر المسؤولية، فتكون ردة فعله أحياناً بما يضر بالعمل، فيسرّب البعض من المعلومات.

البعض ليس من هذا القبيل؛ وإنما من حيث الإهمال، هو إنسانٌ مهمل، مستهترٌ بالمسؤولية، لا يعي قيمة الأشياء، وأهميتها، ولا يعي خطورة بعض الأمور، وخطورة أن يطلع العدو عليها، فيسبب ذلك لفشل في عملٍ مهم، أو فشل لخطة معينة، أو لتدبير مهم.

فلذلك يكون الاختيار لمثل هذه الأمور دقيقاً، ويكون الاعتماد وفق معايير إيمانية، أخلاقية، قيمية، بحيث يكون الإنسان مطمئناً على أن هذا الإنسان

ممن يمكن الوثوق به، والاعتماد عليه، فهو ممن يستشعر المسؤولية، ويقدّس المسؤولية، ويدرك أهمية الأمور، ليس إنساناً طائشاً، ولا عابثاً، ولا مستهتراً، ولا يمكن أن يشتري بالمال، ولا يغرى بالأطماع... وغير ذلك.

((مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأ))

من تعتمد عليه، وتقربه منك، ويصبح معاوناً لك في إطار مسؤوليتك المباشرة، سواءً في أي مجال من المجالات، في مجال هذا الجانب: مثلاً الرسائل ذات الأهمية الكبيرة، أو حلقة الوصل في إيصال توجيهات، أو إيصال أوامر معينة، أو متابعة أعمال معينة، من في محيطك ممن تعتمد عليه هذا الاعتماد الكبير، أو في مستوى مكتبك الذي تعتمد عليه في إنجاز معاملات، وتحرير معاملات... إلى غير ذلك، لابد أن تلحظ فيه الجوانب الأخلاقية، والإيمانية، والقيمية، مع كفاءته للعمل نفسه الذي يباشره، من حيث: التخصص، والمهنة، والمعرفة.

ويكون من هذا النوع: **((مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأ))**؛ لأن البعض من الناس إذا قربته، ووثقت به، واعتمدت عليه، وأعطيته الصلاحيات، وأصبح له عندك مكانة ودور عملي مهم، يتأثر بشكل سيئ في نفسيته، وأخلاقه، وقيمه، تبطره النعمة؛ فيطغى، ويفقد توازنه النفسي، ويصبح إنساناً مغروراً، معجباً بنفسه؛ وبالتالي يتجرأ حتى على مخالفتك، والعناد لك، وقد يكون منه ذلك حتى وأنت في حضرة ملاً، وأنت في إطار عمل بين أوساط الناس، وأنت في إطار تعامل مباشر مع الناس، فهو ممن يحاول أن يُظهر حتى أمام الآخرين بحضورك أنه هو الأصل والفصل، وأنت عندك مجرد عامل بسيط، هو الذي ينجز لك، والأصل في

إنجاز الأمور، وأنت ممن لا يعرف، ولولا هو لما كنت ناجحاً في أداء مسؤوليتك، يتصور من خلال اعتمادك عليه، وثقتك به، وإعطائك له صلاحيات، وتمكينك له من دورٍ فاعل، ودورٍ مهم، يتصور أنه الأجدر منك بالمسؤولية، والأصل في نجاح عملك بكله، فيبطر، ويسيء أدبه نحوك، يجترئ عليك، ويسيء أدبه نحوك، فيسيء إليك، ويتعامل معك بطريقة خالية من الاحترام، حتى بمحضر الناس، وهذا له تأثير سيئ على عملك أنت، وأدائك أنت للمسؤولية؛ لأن المطلوب في أداء العمل بمثل ما تحرص أنت على أن تؤدي عملك بشكلٍ صحيح، بما يرضي الله ﷻ، وتؤدي واجبك نحو الناس، أن تؤدي هذا الدور بكرامة، وحرثام، وتقدير، وليس بمهانة، وإساءة، وبدون احترام، وطبعاً وبدون أيضاً تكبر، وبدون غرور، وبدون طغيان، وبدون تعالٍ على الناس.

ولكن الحالة التي يصبح واقعك فيها من جانب من يعينك، من تعتمد عليه، من تثق به، من هو في محيطك العملي، هي قائمة على تعاملٍ سيئ، بلا احترام، ولا تقدير، وبإساءة، وجرأة، وبوقاحة، واستخفاف ومخالفة ومعاندة حتى في حضرة الناس، يكون لهذا الأثر السيئ على نجاحك في عملك أنت، على قابليتك وقابلية عملك أنت؛ لأنه إذا كان من تعتمد عليه ناصحاً، من تثق به، من هو في إطار عملك، سواءً في مكتبك، أو على رأس دائرة أو إدارة من أعمالك الأساسية، يمكنه أن ينبهك على مسألة معينة، أو على معطيات معينة، أو يشير عليك إن كان له رأي بطريقة مؤدبة، وطريقة محترمة، لا حاجة إلى أن يسيء أدبه، وأن يتظاهر بأنه هو الأصل، والفصل، والمبدع، وأنه يمتلك القدرة على مخالفتك، ومعاندتك، وأنه متمكنٌ من ذلك، لا يحتاج إلى هذا أبداً، يمكنه أن يشير عليك بطريقة محترمة، أو يقدم لك المعطيات التي قد يكون متصوراً أنها لم تصل إليك.

فمسألة أن يكون من في محيطك، مكتبك، إدارتك، دوائرك، من في إطار مسؤوليتك المباشرة من الأعوان (الإداريين والكتّاب)، أن يكونوا ممن يستشعرون قدسية المسؤولية، ويهتمون بأداء مسؤولياتهم من جهة، وهم من ذوي الأدب، والأخلاق الرفيعة والراقية من جانبٍ آخر، في تعاملهم معك، وفي تعاملهم مع الناس، ليس المطلوب أن يكونوا ممن يسيء الأدب تجاهك، ولا ممن يسيء الأدب تجاه الناس أيضاً، تجاه من يأتون للمعاملة، ومن لهم ارتباط بالموضوع بشكل أو بآخر، ممن هم في نطاق مسؤوليتك، ممن يأتون للمعاملات، أو يبلغون... أو نحو ذلك.

فالبعض ممن يبطر بالكرامة، اعتمادك عليه، وثقتك به، وتمكينك له في إطار عمل معين، في إطار مسؤولية معينة، في إطار دورٍ معين، يطغيه، يحدث عنده فقداناً للالتزان النفسي، البعض يصاب بجنون العظمة، يتصور أنه أصبح إنساناً عظيماً جداً، ومهماً جداً، ثم ينظر إليك بالنظرة القاصرة والسلبية، فيقابل تكريمك له، واحترامك له، وتقديرك له، واعتمادك عليه، وثقتك به، بقلة الأدب، والإساءة، والاحتقار، والطغيان، تبطره الكرامة، هذا النوع من الناس هم اللئام، اللئيم تبطره الكرامة، يطغى، يبطر، يتصور نفسه أنه أصبح شيئاً عظيماً جداً ومهماً، ثم يحتقر الآخرين.

((مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأِ))، بحضرة الناس، يخالفك، ويعاندك، ويسيء إليك، وهو معاونك، وهو من يتولى أموراً إداريةً في إطار مسؤوليتك، فيكون هو من يجترى بمخالفتك ومعاندتك أمام الآخرين، فهذا النوع لئيم، لا تعتمد عليه هو، وهو في نفس الوقت يؤثر بذلك سلباً على العمل وعلى قابلية ما تقدّمه أو تقررهِ ويُعلم الآخرين الجراءة على المخالفة بدون مبرر.

((وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَالِكَ عَلَيْكَ))

ولا يكون من النوع المهمل المستهتر، الذي قد تدفعه الغفلة وتؤثر عليه في التقصير في إيصال ما ينبغي إيصاله إليك من تقارير العاملين، والمسؤولين المعنيين، الذين تتابع أعمالهم في إطار مسؤوليتك، لهم علاقة بأعمالك، وأنت مسؤول عنهم.

((وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْغَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَالِكَ عَلَيْكَ))، بل

يهتم بالوارد والصادر، ما يرد من تقارير، من بلاغات، من مواضيع، من قضايا، من أمور، ينظمها، ويرتبها، ويوصلها إليك.

فهو يهتم بالوارد، لا يهمل، أو يغفل عن قضايا، يغفل عن تفاصيل، وبعد فترة هو ذلك الذي يقول: [نسيت، لم أنتبه، غفلت... إلخ.]. يكون متنبهاً، ومهتماً، وجاداً، يستشعر المسؤولية.

((وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ))، كذلك إصدار الجوابات،

تصبح في المكاتب والأعمال الإدارية آليات عمل، وقوالب فنية لإصدار التعليمات، والاجابات، وبشكل صحيح.

((وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ))، بشكل صحيح، لا يكون

فيه زيادة، ولا نقصان، ولا إهمال، ولا تفريط، وبطريقة صحيحة، وبشكل صحيح.

((فِيْمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي عَنْكَ))

في إطار هذه المعاملات، وتحريرها، ومتابعتها، سواءً فيما يأخذ لك، أو يوصله إليك، أو يأخذه من التزامات، أو يعطيه منك، من تعليمات، أو التزامات، أو تحرير معاملات... أو غير ذلك.

((وَلَا يُضَعِفُ عَقْدًا اغْتَقَدَهُ لَكَ))

فيما يعقده من عقود، فيما يبرمه من عقود، من معاملات، من التزامات، يكون متقناً في تحرير العقود والمعاملات والالتزامات، ويعرف كيف يصيغها، ويقدمها بشكلٍ منظمٍ وسليمٍ وصحيحٍ.

((وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ))

كذلك يكون قديراً في متابعة التنفيذ والإنجاز فيما تضمنته تلك الالتزامات، وأيضاً قديراً على معالجة ما يدخل فيها من إشكالات، إذا اقتضى الأمر معالجة التزام معين، أو عقد معين، أو معاملة معينة تحتاج إلى التعديل، أو التصويب... أو غير ذلك، فهو قديرٌ على التنفيذ والإنجاز، وقديرٌ أيضاً على التصويب، ومراجعة ما يحتاج إلى مراجعة، أو تعديل.

((وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ))

يعرف قدر نفسه، وحدود صلاحياته، لا يتعامل وكأنه المسؤول بدلاً عنك، وكأنه المعني هو بدلاً عنك، وكأنه من يمتلك الصلاحيات التي هي منوطة بك أنت، أو كأنه أكثر صلاحيةً منك، أو أهم منك، أو أقدر منك، وبناءً على ذلك يتصرف هو فوق حدود صلاحياته، ويتعاضم نفسه، فيتعاطى بما ليس له.

معرفة الإنسان بقدر نفسه، بحدود صلاحياته، وحدود مسؤوليته، والتزامه بذلك، هو أمرٌ مهمٌ في أداء المسؤوليات، والنجاح فيها، والحد من الاختلالات فيها، وضبط الأداء العملي، هذه مسألة مهمة جداً؛ لأن البعض يريد أن يكون متدخلاً في كل الأمور، فيسبب هذا تضارباً كبيراً في الأداء العملي، في المسؤوليات، فيتدخل هنا، ويؤثر هنا، ويسبب خللاً هناك.

((وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ))

فيؤثر هذا تجاهك، وتجاه الآخرين، وتجاه الناس.

((ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ))

مسألة الاختيار لا تكون مبنية على أساس التقديرات الشخصية، وحسن الظن، والتخمين، [أن ظاهر هذا الإنسان الصلاح، ويظهر من حاله أنه مناسب لهذه المسؤولية، مناسب أن أعتد عليه في مكتبي، أو في إدارة من الإدارات، أو دائرة من الدوائر، في إطار مهامي ومسؤوليتي، فأعتد عليه اعتماداً أساسياً؛ لأنه يظهر من حاله الصلاح، وتقديري نحوه أنه شخصٌ جيد]، لا تكفي التقديرات، والتخمينات، وحسن الظن في مسألة المسؤوليات، والمسؤوليات والمهام العملية المرتبطة بالناس، المرتبطة بالحق والعدل مسألة مهمة جداً، لا تكفي فيها هذه التقديرات.

((فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ- وفي بعض الروايات (يَتَعَرَّضُونَ)- لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُوعِهِمْ، وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ))

البعض من الناس هم يتقنون التظاهر بالصلاح، ويقدمون أنفسهم بطريقة معينة، بحيث ترى فيهم أنهم فعلاً جديرون بأن تعتمد عليهم، بأن يكونوا في إطارك، بأن يكونوا هم في إطار مسؤولياتك المباشرة، يعينونك فيها، يحسنون التعامل معك، يظهرن أنفسهم بالصلاح، ويقدمون خدمات معينة لك، ويظهرن اهتماماً معيناً نحوك، فالبعض من الناس قد يتأثر بذلك، عندما يرى هذا النوع من الناس الذين يتعرضون وهمهم الوصول- بما يظهرونه من حسن

الحال، من الكفاءة، ومكارم الأخلاق، وتقديم خدمات معينة، واهتمام- همهم بذلك الوصول إلى محيطك العملي، أو اختراق محيطك العملي للوصول إلى مسؤولية معينة فيه.

((وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ))، لا هم ناصحون، ولا هم أمناء، بحيث يعتمد عليهم، والنصيحة والأمانة هي الأساس في أن تعتمد على هذا، أو تثق بهذا، في إطار مسؤولياتك المهمة.

ولذلك لا تكتف بالتقديرات، والتصورات، والفراسة، وحسن الظن، المبني على ما لاحظته من ظاهرهم، وخدماتهم التي يقدمونها، ولفتهم لنظرك إليهم بشيءٍ من الاهتمام.

((وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُتُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ))

(اخْتَبِرْهُمْ): اعتمد على الاختبار، لا يكفيك التظاهر من جانبهم، بما يظهرهم أمامك بأنهم من ذوي الكفاءة والثقة للاعتماد عليهم، اعتمد على الاختبار:

إمَّا بما ذكره هنا: **((بِمَا وُتُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ))**، يعني: بتجاربتهم السابقة، إن كانت لهم تجربة في إطار صالحين آخرين قبلك، فكانوا في إطار أعمال معهم، كيف كان أداؤهم، كيف كان أثرهم من خلال مسؤولياتهم، أثرهم في الواقع، كيف كان الانطباع العام في نطاق مسؤولياتهم نحوهم.

أو مثلما سبق، الاختبار مثلما سبق في مسألة العمال: الاختبار بمهام عملية محددة ومحدودة، والاختبار أيضاً في أحوال مختلفة، اختبره في حالة الغضب، في حالة الرضا، في حالة اليسر، في حالة العسر، في أحوال مختلفة كيف هو، عندما يكون معنياً في تنفيذ مهمة، أو في تقدير موقف... أو نحو ذلك، ولكن في حالة

غضب كيف هو؟ أو في حالة رضا، أو في حالة يسر، أو في حالة عسر، وكذلك مستوى المهام المطلوبة منه لإنجازها، هذا هو المفيد (الاختبار العملي).

ومعرفة الخبرة بالنظر إلى ما قد كانوا عليه سابقاً، ما كانت أعمالهم في السابق، ما الذي أنجزوه، كيف كان أثر ذلك في الواقع...إلخ.

((فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا))

أحسنهم أثراً في الناس، في نطاق مسؤوليته طبعاً، إذا كانت مسؤوليته في محيط عملي معين، في أي مستوى عملي مثلاً، إذا كان في إطار المجتمع، عمل مباشر به مسؤولية تجاه المجتمع بشكل مباشر، في حي معين، في منطقة معينة، في بلد معين، في مستوى معين، أو إن كان في إطار عملي آخر في نطاق مسؤوليته، كيف كان الأثر، كيف كان الانطباع عنه، وعن أدائه، هل كان له أثر جيد في نفوس الذين في نطاق مسؤوليته، أم لا؟

وكذلك قوله: **((وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا))**، الذي يؤدي مهامه العملية بكل أمانة، باختلاف المهام، وتنوع المهام، هو يؤديها بكل أمانة، مؤتمن على الإمكانيات، مؤتمن على إنجاز العمل نفسه، على اهتمامه به، على طريقته في العمل.

((فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ، وَإِنَّمَا وَكَلْتَهُ أَمْرَهُ))

هذا يدل على نصيحتك لله ﷻ، أنك صادق ومخلص مع الله ﷻ، أنت بذلت جهدك في حسن الاختيار لأجل أداء المسؤولية كما ينبغي، بما يرضي الله ﷻ.

وكذلك نصحك للناس، (لَمَنْ وُئيتَ أَمْرُهُ): لمن تتحمل المسؤولية تجاهه، أنك تعمل بصدق، وإخلاص، وجد، وأنك تبذل جهدك في حسن الاختيار، بما يساعد على حسن الأداء للمسؤولية، وإنجاز المهام.

((وَأَجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتْ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا))

الإنسان كلما كبرت مسؤوليته، كلما احتاج إلى من يعينه من الناس، لا يستطيع هو بمفرده أن يستوعب كل التفاصيل، وأن ينجز كل الأشياء، وأن يستقبل كل شيء دفعةً واحدة، يحتاج إلى من يعينه في استقبال الأمور، وتنظيمها، وترتيبها، واختصارها، وتقريبها، وفيما بعد في إنجازها، ومتابعتها... إلى غير ذلك، وتنظيم هذه المسألة في إطار المعينين من هؤلاء (الإداريين، والكتّاب، وأمناء السر... وغيرهم)، تنظيم هذه المسألة فيما يتعلق بالمجالات: هذا على مجال كذا، هذا على ملف كذا، هذا على موضوع كذا، مسألة مهمة جدًا، أن يتفرغ مثلاً كلٌّ منهم في متابعة مجال معين، أو ملف معين، ليهتم بشكل كبير، ويساعدك بشكل جيد، مع ملاحظة قوله ﷺ: ((لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا))، هذا ينظم عملك، ويساعدك على نظم عملك، عندما يكون على رأس كل أمرٍ من الأمور شخص يتابع، ولكن يمتلك الكفاءة لمتابعة ذلك المجال، أو ذلك الملف.

((لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا)): كبير الأمر ذلك، يعني: ما فيه من مسائل صعبة، أو مواضيع شاقة، أو قضايا حساسة، وكبيرة في نطاق ذلك الموضوع، أو ذلك المجال، أو مستوى ذلك الأمر، فيملك القدرة يعني، لا يضعف، فيهمل، أو يقصر، نتيجة ضعفه؛ لأنها كبرت المسألة عليه، المسألة أكبر من قدرته النفسية، والإدارية، والمعرفية.

((وَلَا يَتَشَتَّتْ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا)): لا يتشتت عليه، فيضيع الكثير من التفاصيل، والكثير من الأمور المهمة؛ لأنه لا يتمكن من الإحاطة بذلك المجال، من الاستيعاب له، والاستيعاب لتفاصيله المهمة.

فيمتلك القدرة تجاه المسائل الصعبة، والكبيرة في ذلك الموضوع وفي ذلك المجال، أو في ذلك الملف، ويقدر على استيعاب التفاصيل، ونظمها، وجمعها، لا تتشتت وتضيع. فيؤدي دوره بشكلٍ فاعل، وإيجابي، فيكون معيناً حقيقياً.

((وَمَهْمًا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ))

الذين هم في إطار عملك ومسؤوليتك من الأعوان، والكتّاب، والإداريين، وهم حلقة الوصل بينك وبين الناس، وهم الذين يباشرون استقبال ما يرد إليك، وإصدار ما يصدر عنك، ما كان فيهم من عيبٍ فتغابيت عنه، وتجاهلته، ولم تبال به، فتأثيراته السلبية عليك، في الأخير يصل الأمر إلى الإساءة إليك، يسيء إليك أنت، ولذلك لا ينبغي التغافل عندما تلاحظ تقصيراً عند أحدٍ منهم، أو عدم كفاءة، أو سوءاً، أو خللاً خطيراً، أو إهمالاً كبيراً، أو جوانب سلبية معينة، لا تتغافل عن ذلك، احرص على إصلاح ذلك، ومعالجة ذلك، والاهتمام بذلك؛ لأن هذا يتصل بمسؤوليتك المباشرة، وعملك المباشرة.

ولذلك يفترض أن يكون هناك تفقد بشكل منتظم، ومتابعة، وملاحظة، وسعي للارتقاء بهذا النوع من المعنيين والمسؤولين، ليكونوا بالمستوى المطلوب، والاهتمام بهم إيمانياً، أخلاقياً، كذلك فيما يتعلق بمجالات عملهم، والارتقاء بهم، على مستوى التأهيل لهم فيها، إلى غير ذلك مما يحافظ عليهم، ويرفع مستواهم، ويحسن أداءهم، فيكون لذلك الأثر الإيجابي في إنجاز المهام، وإنجاز الأعمال.

نكتفي بهذا المقدار.

ونسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا
الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره،
إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،



دروس من

عهد الإمام علي بن مالك الأشتر

الصفحة: ٢١٧

الدرس: العاشر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وصلنا في دروس عهد الإمام علي بن مالك الأشتر إلى موضوع التجارة، والتجار، وذوي الصناعات... وما يتعلق بذلك.

قال عليه السلام:

((ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا،
الْمُقِيمِ مَتَهُمْ، وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرْفِقِ بِيَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ
الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلَابُهَا مِنَ الْمُبَاعَدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ،
وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ))

الحركة التجارية والصناعية هي ضرورةٌ معيشيةٌ في حياة الناس، وسنةٌ
الله ﷻ وتديره لشؤون عباده، جعل من التجارة والصناعة نشاطاً أساسياً من
أنشطة الإنسان في هذه الحياة؛ لتوفير ضروريات نفسه، ولعمارة الأرض، وهي
قديمة في الواقع البشري والمجتمع البشري على مرّ الأزمان والعصور، وتطوّرت في
مراحل تاريخية معينة، وتطوّرت في هذا الزمن إلى حدٍ كبير، ربما- والله أعلم-
قد يكون غير مسبوق.

وهي بما أنها ضرورة لتوفير المتطلبات الأساسية للناس، التي يحتاجون إليها
في معيشتهم من: غذائهم، ودوائهم، وكسائهم... ومختلف متطلبات حياتهم، وما
يحتاجونه لعمرانهم، هي أيضاً ذات علاقةٍ كبيرة بالأمن القومي للمجتمعات،
وهذه مسألة معروفة في مختلف البلدان، وبالذات الأشياء الضرورية، تعتبر
مهمّةً جداً، وذات أهمية كبيرة فيما يتعلق بأمن واستقلال البلدان. فمثلاً: البلد
الذي يعتمد على استيراد كل احتياجاته الضرورية من بلدانٍ أخرى، غذائه، وقوّته
الضروري، الاحتياجات الأساسية في الحياة: من دواء، من غذاء، من كساء... من
مختلف الاحتياجات الضرورية، يصبح ضعيفاً إذا واجه تحديات، أو مشاكل،
مع بلدٍ أجنبي، وتعرض لحصار، أو تتحكم به نفس تلك البلدان التي يعتمد
عليها في توفير احتياجاته الضرورية، ويصبح ذلك ورقةً بأيديهم للضغط عليه.

ومعروفٌ في عصرنا هذا وفي زمننا هذا ما تبادر إليه أمريكا والغرب لاستهداف أي بلدٍ مسلم، وحتى أي بلدٍ آخر في العالم يختلف معهم، أو يستهدفونه لسببٍ أو لآخر، فمن أول الإجراءات، ومن أول أشكال الاستهداف: الحظر الاقتصادي، والاستهداف الاقتصادي بكل الأشكال، بكل الأساليب المتاحة أمامهم، مثلاً: استهداف العملة، استهداف القدرة الشرائية للمجتمع، السعي للإضرار بالمجتمع في منتجاته... إلى غير ذلك، أساليب كثيرة يستخدمونها فيتحول الجانب الاقتصادي- بنفسه- إلى وسيلة أساسية من وسائل الصراع والاستهداف والضغط.

فذلك مختلف البلدان يعتبرون الاحتياجات الضرورية والأساسية مما يدخل ضمن الأمن القومي، ويعتبر توفيره محلياً، وإنتاجه بما يكفي، بما يلبي الاحتياج، من الضروريات التي تساعد البلد على مواجهة أي تحديات، وتساعد البلد على الصمود، العملية الإنتاجية تساعد البلد على الصمود، والثبات، وتحفظ له استقلاله، يقف، ويصمد، ويصر على موقفه، أو يتمسك بحقه في الاستقلال، وهو لا يخشى أنهم سيجوعون شعبه، سيمنعون عنه الغذاء الضروري، سيلحقون به الضرر الكبير جداً.

وللأسف الشديد تضررت بلداننا العربية والإسلامية إلى حدٍ كبير عندما غابت عنها هذه النظرة، عن أهمية الحركة التجارية، والصناعية، والإنتاجية، والزراعية، واعتمدت بشكلٍ رئيسي وبشكلٍ أساسي على الاستيراد من البلدان التي تختلف معها، وتطمع فيها، وتستهدفها، ولها دوافع عدائية تجاهها، فكان لهذا تأثيره الخطير جداً.

فذلك بالنظر إلى الأهمية: من حيث الضرورة المعيشية، ومن حيث الكرامة، والاستقلال، والحرية، والتخلص من التبعية، والتخلص من الابتزاز

السياسي، والابتزاز والضغط في أشياء كثيرة؛ لأن الدول الغربية تبتز بلداننا العربية، وتضغط عليها من خلال الجانب الاقتصادي، لفرض سياسات، أو لفرض مواقف، أو للتقبل بأشياء هي مما يؤثر عليها، مما ليس لها فيه مصلحة حقيقية، مما لا ينسجم مع مبادئها الدينية والإيمانية، مما ينتقص من حقها في السيادة والاستقلال، مما ينتقص من كرامتها، فتصبح المسألة هامةً جدًّا:

- بحساب الضرورة المعيشية، أهميتها واضحة.
- وبحساب الجانب الاستقلالي، والحرية، والكرامة، والأمن القومي.

تعتبر أيضاً مسألةً مهمةً جدًّا بالاعتبارين؛ ولذلك يفترض أن يكون هناك توجه نشط في بلداننا للعناية بهذا الجانب على أسسٍ صحيحة، عندما نقرأ في القرآن الكريم، عندما نقرأ فيما ورد عن رسول الله ﷺ وفي سيرته المباركة، عندما نقرأ فيما قدّمه لنا أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، من ضمن ذلك ما ورد في هذه الوثيقة العظيمة والتاريخية والمفيدة جدًّا، في عهده لمالك الأشر، ندرك أهمية هذه المسألة، وكيف هو التحرك الصحيح فيها، الذي ينسجم مع مبادئنا، ومع قيمنا، ومع انتمائنا الإيماني، والذي يحقق الخير لنا، والذي يتميز عن غيره، فالحضارة الإسلامية لها مميزات راقية جدًّا، ترقى على بقية الحضارات، التي هي ذات منطلقات مادية بحتة، لا تعطي للجوانب الأخلاقية أي اعتبار ولا قيمة، هذا جانبٌ مهمٌّ.

لأهمية المسألة يقول الإمام عليٌّ عليه السلام هنا:

((ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا))

استَوْصِ بِهِمْ: ليكن عندك أنت اهتمام بأمرهم، وأيضاً مع اهتمامك الشخصي بموضوعهم، والعناية بأمرهم، أوصِ بهم كل المسؤولين الآخرين، الذين لهم

علاقة بالحركة التجارية، والحركة الصناعية والإنتاجية، بحسب مسؤولياتهم، أوصهم كذلك، ((أَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا)).

عندما نلاحظ هذا العنوان: ((خَيْرًا))، عنوان واسع جدًا، كم سيدخل تحته من التفاصيل، ونحن عندما نقرأ هذه الوثيقة العظيمة والمفيدة، نقدّم قراءةً أوليةً مبسّطةً مختصرة، وإلا فيمكن الاستفادة من عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لمالكٍ الأشرّ على نحوٍ واسعٍ جدًا، ويمكن استدراك الكثير من التفاصيل بحسب الحاجة العملية، وبحسب المراحل، وبحسب التخصصات؛ إنما نقدّم قراءةً مختصرةً، وعرضاً موجزاً؛ للفت النظر إلى هذه الوثيقة المهمة والاستفادة منها، إلى هذه الرؤية العظيمة، التي هي من نور القرآن، ومن هدي الرسول صلّى الله عليه وآله، ومن تعاليم الإسلام.

هذا العنوان: ((خَيْرًا)) يدخل تحته أشياء كثيرة جدًا، فنلاحظ مثلاً مع أهمية السعي للنهضة التجارية أن تكون هذه مسألة حاضرة لدى المعنيين، أن يمتلكوا النظرة لأهمية المسألة، وخطورة التفريط فيها، وما يمثله ذلك من إشكاليات كبيرة في واقعنا؛ لأن الأعداء طوّروا هم هذا الجانب، أعطوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً جدًا، لكن من منطلقاتهم الاستعمارية والمادية، لكنهم أعطوا هذا الجانب اهتماماً كبيراً، وسعوا لتطويره إلى حدٍ كبير، على العكس من واقعنا في العالم الإسلامي والبلدان العربية، كانت المسألة مختلفة في النظرة إلى هذا الجانب، وإلى تطويره، وإلى تقديم ما يساعد على نمائه.

الآخرون طوّروا هذا الجانب، واستغلوه سياسياً، واستغلوه على مستوى الاستهداف الديني والأخلاقي، وسعوا إلى تشكيل شركات عملاقة عابرة للقارات، وسعوا إلى السيطرة من خلاله على البلدان، من خلال السيطرة الاقتصادية،

فحرصوا على تعطيل الإنتاج والتصنيع المحلي في بلداننا العربية، وحرصوا أن يكونوا هم المستأثرين بالتصنيع، والمتحكمين في الحركة التجارية والأسواق، فحرصوا حتى على السيطرة على التجار، يحرصون على أن يسيطروا على التجار المحليين في هذا البلد أو ذلك، فيكون التاجر مجرد وكيل لهم، يجلب بضائعهم ومنتجاتهم إلى الأسواق، ويبيعها لهم، ويوفر إليهم الأموال، وحرصوا على تقوية العملية الإنتاجية، وتوسيعها، وتطويرها إلى حدٍ معروف يعني ما وصلوا إليه.

فسعيهم هذا لابد أن يقابله اهتمام من جانبنا في بلداننا، عند شعوبنا، عند المسؤولين في بلداننا، أن يقابل هذا اهتمام، أن يلحظوا مدى اهتمام الآخرين بهذه المسألة، وأن يقابله اهتمام بنظرة ورؤية صحيحة لأهمية المسألة، وتجنب تام للحسابات الشخصية، والأطماع الشخصية، والمكاسب الشخصية؛ لأنها تؤثر على تعامل الإنسان مع الأمور المهمة، عندما يكون في موقع المسؤولية.

إذاً من عنوان الخير هذا، مما يدخل ضمنه: التسهيل في المعاملات والأنظمة والقوانين: يعاني الكثير من التجار، والكثير من أرباب الصناعات ممن يهتمون بالجانب الصناعي، أو يسعون، أو يؤملون، أو يرغبون العمل في الصناعة، يعانون كثيراً من عقدة المعاملات الرسمية، إذا دخل في معاملة، فأمامه مشوار طويل ومعقد، حتى يصل إلى نتيجة، وقد لا يصل البعض، والبعض قد يصل بمقابل إتاوات مالية، وغرامات مالية، ورشوة هنا، وهديّة هناك، واستغلال هنا، وابتزاز هناك، وتتحول إلى مسألة معقدة جداً، سواءً في البداية، أو فيما بعد: أثناء الحركة التجارية، أو أثناء العمل في مجال التصنيع والإنتاج، تأتي العراقيل، والتعقيدات، والمعاملات السيئة، فتسهيل المعاملات، وملاحظة هذا الجانب فيما يتعلق بالأنظمة، ألا تكون أنظمة معقدة ومعقدة، في القوانين كذلك، هذه من الأشياء

المهمة التي تدخل تحت عنوان الخير هذا فيما يُوصَى به، فيما يتم السعي إليه، لتسهيل الحركة التجارية والصناعية.

أيضاً منع الابتزاز المالي، والاستغلال، والظلم، والجبايات المرهقة:

لأن البعض مثلاً من موقعه في المسؤولية، من وظيفته الحكومية والرسمية، قد يستغل تاجراً معيناً، وقد يضغط عليه، وقد يعرقل معاملته، أو يهدده، أو يخيفه ويقلقه على بضاعته، وهذا موضوع حسّاس لدى التاجر، قلقٌ على ماله، قلقٌ على تجارته، على بضاعته، قلقٌ عليها من النهب، من المصادرة، من الكساد، من التلف... إلى غير ذلك، فالعرقلة الشديدة، والتأخير الشديد، الذي يكون الهدف منه أحياناً الابتزاز المالي، في الأخير المطلوب منك أن تدفع مبلغاً معيناً، وهم سينجزون معاملتك، أو يمررون بضاعتك، أو يرفعون تهديدهم وعيونهم الحمراء والمفتوحة عنك، فهذه قضية خطيرة جداً، وسلبية كبيرة، وتؤثر على الحركة الاقتصادية، وعلى النشاط التجاري، والنشاط الصناعي والإنتاجي، ويكون لها تأثيرات فيما بعد، عند وصول البضاعة إلى الأسواق، تأثيرات على المستهلك، المستهلك الذي قد يكون من الطبقة الفقيرة، أكثر المستهلكين، وأكثر المشتريين من الطبقة الفقيرة، تصل إليهم البضائع بعد مرحلة طويلة من العراقيل، والابتزاز، والجباية هنا، والجباية هناك، والاستغلال هنا، والاستغلال هناك، والضغط هنا، فيأتي التاجر ليحسب حساب كل ما قد خسره، وقدمه، وبذله من الغرامات، لتكون في رأس ذلك المستهلك المسكين، الذي يشتري أبسط متطلباته بأعلى الأثمان، بثمنٍ مرتفعٍ جداً، فتسبب هذه معاناة كبيرة عامة للمجتمع بشكلٍ عام، فمنع الابتزاز، والظلم، والجباية غير المشروعة، التي هي

للاستغلال، والجبايات المرهقة التي لا مبرر لها، مما يجب أن يدخل ضمن عنوان: ((أَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا)) من الخير.

أيضاً من الأشياء المهمة التي يُوصَى تحت عنوان (الخير): حسن التعامل، وترسيخ الطمأنينة والأمن حتى على المستوى النفسي:

لأن بعض المسؤولين بطبيعته فظٌّ، غليظ، عابس، سيئ، رفيع الصوت، كثير التهديد والوعيد، فتكون المعاملة معه معقّدة؛ لأنه يستخدم أسلوب الإهانة، وأسلوب الإخافة، وأسلوب الترهيب، يتعامل التاجر معه وهو قلق، وهو مستاء، وهو خائف، خائف على نفسه، قد يكون معرضاً بأبسط كلمة عندما يرد، أو يناقش، معرضاً للسجن، أو معرضاً للإهانة، للضرب مثلاً، أو معرضاً للمصادرة لشيءٍ من ماله، أو لتحميله غرامةً ماليةً معينة.

هذا النوع من المسؤولين، الذي هو فظٌّ، غليظٌ، سيئ الخلق، عُتْلٌ، لا ينبغي أبداً أن يُقرَّر في عمل، ينبغي أن يغيَّر، ينبغي أن يبدَّل؛ لأن هذه ليست من أخلاق الإسلام في شيء، ولا مما يحقق المصلحة الحقيقية للناس، وهو أمر يتنافى تماماً مع المسؤولية، وما ينبغي أن يكون عليه من هم في موقع مسؤولية، من حسن خلق، من توازن، من رشد، من صلاح، فهذا النوع من المسؤولين الذي هو فظٌّ غليظ، يسيء التعامل، تصعب المعاملة معه، تصعب الإجراءات العملية معه، وفي نهاية المطاف يؤثر سلباً على الحركة التجارية، وعلى النشاط التجاري، وعلى المعاملات، وعلى إنجازها، فتأتي التأثيرات عامة، والبعض قد يراعون شخصاً معيناً، أو قد يعجبون ببعض من هذا النوع؛ لأنهم يعتبرونه حازماً، وصارماً، أو قديراً على التحصيل المالي، وقد يأتي غيره ممن هو حسن الخلق، وأمين، وإذا احتاج إلى الحزم، لا يحتاج إلى الحزم بطريقة سيئة، بفظاظة، وغلظة، وإهانة،

وعبارات نابية، وتلفظات سيئة... ومن هذا القبيل، أو استخدام الضرب بيده، لا المسألة إجراءات بطريقة عادلة، وحكيمة، وراشدة، وتصرفات صحيحة، ويمكن أن يحقق الإنسان ما فيه الخير على أساس العدل والحق.

فهذه مسألة مهمة، مسألة حسن التعامل؛ لأن الشخص الذي هو في موقع المسؤولية إذا كان حسن التعامل، والناس يتعاملون معه ويشعرون بالاطمئنان من جانبه، لا يقلقون وهم يتعاملون معه، يقلقون فقط إذا تلعبوا، إذا أرادوا أن يتعدوا عن الحق والعدل، أرادوا أن يعملوا ما فيه المضرّة والمفسدة، يعرفون عنه أنه حازم، لن يقبل بذلك، لكن سلوكه العام، وأسلوبه في التعامل: راقٍ ومحترم، وبرشد وحكمة، فسيشعرون عنده بالاطمئنان، يسهل عليهم التعامل معه، ولا ينفرون من التعامل معه، هذه مسألة مهمة جدًّا، ونأمل الالتفات إليها، وسنسعى لذلك إن شاء الله؛ لأن البعض من المسؤولين - فعلاً - يغيب عنهم حسن التعامل، وعندهم الفظاظة والغلظة بشكلٍ عجيب.

من الخير العام للبلد، للناس، للتجار، للشعب، للمجتمع بشكلٍ عام: السعي لتوجيه النشاط التجاري والصناعي لمصلحة الأمة في إنتاج الضروريات محلياً، وتطوير هذا الجانب: تطوير الإنتاج المحلي:

هذه مسألة مهمة جدًّا، وبجودة عالية، والسعي لأن تكون عملية الإنتاج بتشديد في الكلفة، بما يساعد على إنتاج جيد، قليل التكلفة، لا يكون ثمنه باهظاً جدًّا، فوق مستوى القدرة الشرائية للمجتمع، وبالذات للطبقة الكبيرة من أبناء المجتمع، وهم ذوي الدخل المحدود، الذين يعانون من الظروف المادية الصعبة.

إذا توجه النشاط التجاري- لأن في كل بلد نشاط تجاري كبير، وحركة مالية كبيرة- إذا توجه نحو الداخل، لتحريك الحركة التجارية، والنشاط التجاري والصناعي في الداخل؛ فسينعش اقتصاد أي بلد يحدث فيه ذلك، سيحرك اليد العاملة، وسيساعد على استخراج المواد الخام، وسينهض بالأمة في كل المجالات، حتى في الجانب العمراني، وفي مختلف المجالات، هذا له أهمية كبيرة جداً، وهو من ضروريات النهضة، ومن ضروريات معالجة المشاكل والأزمات الاقتصادية في أي بلد: أن يكون هناك عناية فائقة وجادة بالإنتاج المحلي، والتصنيع المحلي، وتقوية الحركة التجارية المحلية، وأن تقدّم لذلك التسهيلات اللازمة، بأكثر من الحركة التجارية من الخارج، ويلاحظ في ذلك إنتاج الضروريات من غذاء، ودواء، وكساء... ومختلف الأغراض الضرورية.

مما يساعد أيضاً على النشاط التجاري، وتيسير الحركة التجارية والصناعية وتنميتها، هو: الاهتمام بكل جهد بجانب الخدمات والبنية التحتية: الطرق... وغيرها من الخدمات الضرورية، التي يحتاج الناس إليها في حركتهم لنشاطهم التجاري والتصنيعي وغيره، البنية التحتية ذات أهمية كبيرة جداً.

ومما يساعد أيضاً ولا بد منه للنشاط التجاري، تحقيق الأمن والاستقرار العام، ورعاية الحقوق، والحفاظ على الممتلكات، إضافةً إلى عدالة القضاء ليطمئن- التجار والمستثمرون في الصناعة- على أنفسهم وممتلكاتهم، وعلى رعاية حقوقهم. فغياب الأمن والعدالة، وانتشار: الفوضى، والظلم، والمخاطر الأمنية، من أخطر العوامل المؤثرة سلباً على الاقتصاد.

فالاهتمام بهذه الجوانب التي تساعد على إنعاش الوضع الاقتصادي، تدخل تحت عنوان: ((خَيْرًا))، ((وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا)).

((الْمُقِيمِ مِنْهُمْ))

((الْمُقِيمِ مِنْهُمْ)): المستقر في نشاطه التجاري.

((وَالْمُضْطَرِّبِ بِمَالِهِ))

الذي يتحرك في ماله وحركته التجارية من بلد إلى بلد.

((وَالْمُتَرْفِقِ بِيَدْنِهِ))

المتكسب بيده؛ لأن البعض منهم- مثلاً- لهم أنشطة من هذا القبيل، مثلما حال ذوي الصناعات، ومثلما حال ذوي المرافق التجارية المتنوعة، مثل: المطاعم، والأماكن الترفيهية، المستشفيات... إلى غير ذلك.

((فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ))

هم الذين يوفرون للناس ما يحتاجون إليه من المتطلبات الضرورية، والحاجات الأساسية.

((وَجُلَابُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ))

يجلبونها حتى من البلدان البعيدة، ويغامرون في ذلك، يأتون بها في البر، وعبر البحر، ويتنقلون بها من المناطق الصعبة، ويواجهون التحديات والمخاطر الكبيرة، فنشاطهم نشاط مهم، مما يحتاج إليه المجتمع، ومما فيه مصلحة عامة للمجتمع.

((وَحَيْثُ لَا يَلْتَمُّ النَّاسُ مَوَاضِعَهَا))

هم يأتون بها من حيث لا يمكن أن يذهب لها عامة الناس، ومن حيث لا يمكن أن يجتمعوا عليها، يأتون بها إلى الأسواق، والمجتمعات، ويوصلونها إليها.

((وَلَا يَجْتَرُّونَ عَلَيْهَا))

حيث لا يجترئ الناس إلى أن يذهبوا، أحياناً توجد مخاطر أمنية وتحديات.

((فَإِنَّهُمْ سَلَمٌ لَا تَخَافُ بَأْتِقَتَهُ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ))

التجار، وذوي الصناعات، وأصحاب المرافق (المنشآت) التي تقدّم الخدمات للناس بمختلف أنواعها، الغالب فيهم أنهم من أهل السلم، وممن لا يشكّلون خطورة عسكرية، ولا خطورة ولا تهديداً على المستوى الأمني، حالات نادرة فيهم قد تكون من لديهم خدمة للأعداء، أو من هم يعملون من الأعداء تحت غطاء نشاط تجاري، أو نشاط صناعي... أو غير ذلك، وإلّا فالغالب في هذا النوع من الناس أنه حريص على الحفاظ على حياته، وعلى تجارته، وعلى صناعته، ولا يريد أن يعرّض نفسه للخطر؛ وبالتالي لا تكون النظرة إليهم كتهديد، أو شر، أو خطر، تكون النظرة في أصلها إيجابية إليهم؛ بالنظر إلى دورهم المفيد للناس، والنافع للمجتمع، الذي يوفّر ما هو مصلحة حقيقية للناس، وحاجة ضرورية للمجتمع.

((وَتَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ))

تفقّد أمورهم حيث أنت، في مدينتك، أو في عاصمتك، ولا تكتف بذلك، بل حتى في حواشي بلادك، في المناطق النائية، في الريف، وفي بقية الأماكن، تفقّد أمورهم، كيف عملهم، كيف ظروفهم، هل يتعرضون لابتزاز، أو استغلال، أو مضايقات، أو ظلم... أو غير ذلك، هذا جانب من الجوانب الإيجابية التي تؤخذ بعين الاعتبار في الموضوع.

((وَأَعْلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشَحَاقِبِيحًا))

في كثيرٍ من التجار، مع الأخذ بعين الاعتبار هذه الإيجابيات، وما تمثله من أهمية، والمصلحة العامة للمجتمع، لكن أيضاً خذ بعين الاعتبار الانتباه من السلبيات؛ لكي تحافظ على الإيجابيات، وتساعد على تنمية هذه الإيجابيات، وتحد من السلبيات؛ لأن هناك أيضاً جوانب سلبية في الموضوع، ((فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ))، يعني: ليس في كلهم، هناك من التجار من هم صالحون وجيدون، وعندهم الالتزام الأخلاقي والديني، في أدائهم، وأعمالهم، ومعاملاتهم، والبعض منهم يختلفون عن ذلك.

((وَأَعْلَمَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا)): عسر في المعاملة؛

بسبب ظروف العمل التجاري، وهو اجسه، والقلق فيه، والطمع فيه، مؤثرات متنوعة تؤثر على نفسياتهم؛ فتكون النتيجة هي: الضيق، العسر في المعاملة، والشدة فيها؛ لأنه دائماً يحسب حساب أن يربح بشكل كبير، وأن يحذر من الخسارة، وأن يحقق لنفسه المكاسب الكبيرة، أن... إلخ.

((وَشَحَاقِبِيحًا))، شح: طمع شديد، يريد أن يحقق أكبر المكاسب،

وبخل شديد، لا يريد أن يؤدي ما عليه من الحقوق، هذه حالة تحصل لكثير من التجار، يتهرب دائماً من أن يخرج ما عليه من الحقوق.

((شَحَاقِبِيحًا))، شَحًا يصل إلى حد القبح، البعض منهم في مقابل أن

يحصل على الأرباح، وأن يحصل على الأموال، ليس عنده تفريق بين حلال، ولا حرام، ولا ضار، ولا نافع، ولا مفيد، ولا مفسد، ولا... غير ذلك، يستخدم أي أسلوب، يستخدم أسلوب النصب والاحتيال، والاستغلال، ولا يتحرج أبداً مما فيه مخاطر، أو أضرار، على الناس، أو على حياتهم، وهذه مسألة يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.

فإلى جانب الاهتمام بالأشياء الإيجابية، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار منع المضار والمفاسد، المضار من جانب التجار والمفاسد:

مثلاً: منع التجار من جلب المواد الضارة بحياة الناس وصحتهم، الضارة على المجتمع، أي ضرر مؤكد محقق على المجتمع، يمنعون من ذلك، البعض من التجار مثلاً قد يجلب إلى الأسواق المبيدات التي تستخدم مثلاً لأغراض زراعية، ولكنها من المحرمة دولياً، من التي تلحق بالناس أبلغ الضرر، وأشد المرض، البعض منها ينشر السرطان بين المجتمع، والبعض منها يتلف الكبد لدى الإنسان، والبعض منها يلحق بالبشر أمراضاً خطيرة جداً، فلا يبالي بذلك، همه أن يحصل على المال، ولو أدخل إلى البلد ما يضر بالناس، وبصحتهم، وحياتهم، هو لا يكثر ذلك.

فهكذا كل ما يضر بالناس، مثلاً أشياء تضر بالشباب، تضر بالناشئة، البعض من الأشياء التي تدخل في إطار التوابع والرغبات الشخصية، لكنها فتاكة، ضارة، تسبب الإدمان، تؤثر على حياة الناس، فكل ما يمثل ضرراً على المجتمع، ما فيه ضررٌ محقق يجب أن يمنعوا من جلبه للناس؛ لأن البعض منهم بشحه القبيح لا يبالي بالناس، ولا بحياتهم، ولا بما يعانونه مما يجلبه لهم، وهو آثمٌ في ذلك، إثم كبير، وزره عظيم، لكن طمعه أعماه.

البعض منهم قد يجلب المحرمات شرعاً، لا يفرق بين الحلال والحرام، قد يجلب مثلاً لحوماً مستوردة غير حلال، من بلدان غير إسلامية، يأتي بها ويدخلها إلى الناس ويبيعها منهم، كان يمكن أن يوفر لحوماً حلالاً، وبطريقة إسلامية، من بلدان إسلامية، أو للإنتاج المحلي، وهو أفضل، لكن يهمله فقط أن يحصل على الأموال بأي طريقة.

البعض منهم مثلاً قد يجلب أزياء تتنافى تماماً مع الهوية الإسلامية للمجتمع، وتستخدم في بعض البلدان لفئات معينة من الفئات المتحللة أخلاقياً، الفئات التي هي استباحية، لا تلتزم بأي أخلاق ولا قيم، ويجلبها إلى البلدان الإسلامية، مع أن بإمكانه أن يجلب البديل عنها، أو أن ينتج محلياً ما يتناسب وما يليق وما يجوز بحسب الشرع الإسلامي، والهوية الإسلامية للبلد، وهكذا مسألة الحلال والحرام أن تؤخذ بعين الاعتبار.

مما يمنعون منه: الغش، وكذلك رداءة الجودة؛ لأن البعض منهم يجلب بضائع فاسدة، أو بضائع تالفة، أو حتى يبقى مستمراً في بيع البضائع التي قد انتهت صلاحيتها، والمفترض إتلافها، فيستمر في بيعها من الناس، ولا يتحرج، إذا لم يكن هناك رقابة من المسؤولين، وعناية بهذا الأمر بكل جد، وحذر من الاعتماد على من يمكن إغراؤهم بالمال ليسكتوا عن ذلك، المسألة مهمة جداً، فممنع الغش، ومنع رداءة الجودة، ومنع الاستمرار في بيع البضائع التالفة، أو جلب مواد رديئة جداً، مثلاً: البضائع التقليد إلى أنهى حد، أدوية ليست جيدة، أدوية تالفة ليس لها أي إيجابية، ويؤخذ في مقابلها مبالغ كبيرة، فمسألة الجودة مسألة مهمة جداً.

منع الاحتكار مسألة مهمة، ويأتي التفصيل عنها أكثر.

وضبط الأسعار مسألة مهمة جداً، ويأتي التفصيل عنها أكثر.

منع الربا، أيضاً يمنعون من الربا، من المضار ومن المفاسد التي تؤثر على الوضع الاقتصادي، وعلى الحركة التجارية، التعامل بالربا، ضرره شنيع وكبير وفضيع ومدمر على المستوى الاقتصادي والمعيشي للمجتمع.

منع النصب والاحتيال، وكذلك- في إطار منع النصب والاحتيال- ضبط مسألة المعاملات على أساسٍ صحيح، وبشكلٍ صحيح.

أيضاً من الأشياء المهمة في هذا الجانب: مراعاة التوازن الاجتماعي، وعدم السماح بسحق الطبقة المتوسطة والفقيرة، مثلاً: البعض من كبار التجار قد تكون طريقته في نشاطه التجاري بما يضر تماماً بذوي الدخل المحدود، والطبقة البسيطة، أو الطبقة المتوسطة أيضاً.

فعلى سبيل المثال: قد يأتي البعض مثلاً ليؤسس له مولاً تجارياً في منطقة معينة بشكل كبير جداً؛ لأنه صاحب رأس مال ضخم، في نفس الوقت كل أصحاب المحلات التجارية في ذلك الشارع يخسرون، أتى إلى جانبهم، ووضع له منشأةً تجارية بشكل مول تجاري ضخم جذاب، وتركهم هناك، لم يستوعبهم في إطار هذا السوق التجاري مثلاً، وتركهم هناك، وأضر بهم، فتعطلوا، وأخذ زبائنهم، وأضر بهم، وأثر عليهم؛ مستفيداً من قدراته الضخمة، وإمكاناته الكبيرة، كان بالإمكان إذا أنشأ سوقاً تجارياً أن يستوعبهم فيه؛ حتى يكونوا مستفيدين معه، وأشياء كثيرة شبيهه بهذا الأمر، فمسألة المراعاة لهذه المسألة تؤخذ بعين الاعتبار.

أيضاً ملاحظة مثلاً طريقة تقديم الخدمات في المرافق التجارية الأخرى، مثلاً: المستشفيات الخاصة، مع أهمية كذلك ملاحظة الموضوع في المستشفيات الحكومية، وكذلك المستشفيات الخاصة، كيف تقدّم الخدمات فيها، هل بأمانة؟ وما هو مستوى الأسعار فيها أيضاً؟ كيف تتم المعاملة للناس في داخلها؟ سواءً مستشفيات مثلاً، أو مطاعم كذلك، أو أماكن ترفيهية... إلى غير ذلك.

فلا يترك الحال بالنسبة للتجار، وذوي الصناعات، والمنتجين، وأصحاب المرافق الاقتصادية، الذين يستفيدون بشكل كبير من الناس، ويترك لهم الحال ليتصرفوا كيفما يشاءون تحت عنوان تقديم التسهيلات لهم؛ إنما المطلوب التعامل بعدل وحكمة، والنظر للمصلحة العامة، ومراعاة المستهلك والتاجر، مراعاة الطرفين، مثلما تقدم: ملاحظة الإيجابيات، ومنع السلبيات.

((وَشَحًّا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ))

البعض قد يحتكر ما يمثل منفعة، أو خدمة ضرورية، أو احتياجاً ضرورياً للمجتمع، ليستغل من خلال الاحتكار ذلك في رفع السعر إلى أقصى حد، وهذا يضر بالناس، وهذا من المحرمات.

((وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ))

يمثل مشكلة كبيرة على الناس، البعض قد يستغل مثلاً انعدام مواد معينة، أو احتياجات معينة، مثلاً: كما يحصل أحياناً في مسألة المشتقات النفطية، عندما تقل في السوق، فيحتكرها البعض، ثم لا يبيعها إلا بأسعار غالية جداً، يحقق أرباحاً رهيبَةً، في مقابل أنه تسبب بمعاناة كبيرة للناس، البعض مثلاً في مواد أساسية، كالقمح، أو غير ذلك، لا ينبغي أن يسمح بالاحتكار أبداً، ((وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ)).

((وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ))

لأنهم إن تجاهلوا ذلك، أو قصروا في ذلك، أو غفلوا عن ذلك، فهو تقصيرٌ في مسؤوليتهم، وإخلالٌ بواجبهم، وتفريطٌ تجاه الناس، وإهمال، يتهمون، في المقابل إمّا أن لهم مصالح في ذلك، مصالح مشتركة مع أولئك المحتكرين، أو أنهم يتعاملون بطريقة ضعيفة جداً، لا تعالج مثل هذه المشكلة.

((فَإِذَا مَنَعَ مِنَ الْإِحْتِكَارِ))

لا تسمح به.

((فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ وَلَيْكُنِ الْبَيْعُ بِيَعَا سَمْحًا، بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ))

كذلك مشكلة الأسعار، مشكلة الأسعار من أكبر المشاكل التي يعاني منها المجتمع؛ لأن البعض من التجار مثلاً إذا لم يوضع له حد معين، بطمعه وجشعه لن يتحرج في أن تكون أرباحه هائلة، ولو ألحق بالناس أبلغ المعاناة، يعني: البعض مثلاً قد تكون أرباحه مائة في المائة، يعني: مثل كلفة وقيمة وغرامة السلعة، يعني: يحسب بكم اشتراها، وكم غرم عليها، وكم كانت تكلفة إيصالها إلى السوق، ثم يكون ربحه مثل ذلك كاملاً، البعض مائتين في المائة، أو ثلاثمائة في المائة، فقد لا يتحرجون من أن تكون الأسعار مرتفعة جداً، وهذا يسبب معاناة كبيرة للناس، إذا اشترى سلعة معينة، أو حاجة ضرورية، يحتاج أن يبذل أكثر ماله، أو كل ماله، أو أن يستدين في مقابل أن يتمكن من الحصول على حاجة من احتياجاته الضرورية.

ف ضبط الأسعار من أهم المسؤوليات والأمور المهمة، وموازين عدل، كما قال الإمام عليّ عليه السلام: ((بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ))، لا تجحف بالبائع، هذا التاجر، أو صاحب السلعة، لا تجحف به: لا تغرمه، لا تفقده الربح بمقابل أن يبيع سلعته، إذا لم يعد يربح، قد يترك البيع والشراء، وقد يترك العمل في توفير وجلب تلك السلع؛ لأنه لم يعد يربح فيها، إذاً خذ بعين الاعتبار ألا تظلمه، أن يكون له هامش ربح معين بالعدل والحق، ولا يكون في ذلك أيضاً إجحاف بالمبتاع، بالمشتري، بالمستهلك

والمشتري، يتحمل غرامات كبيرة، وكلفة هائلة جداً؛ حتى يربح ذلك البائع أرباحاً خيالية.

((فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً))

يعني: مارس الاحتكار.

((بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ))

قد أصدرت التحذير، ومن المهم أن تتأكد من وصول التحذير إليه؛ لأن في هذا إقامة للحجة، لا تفاجئه، تكون ساكتاً عنه، ثم تباغته، لم تحذره، ولم تمنعه، ولم تؤكد عليه، ولم تكلمه أصلاً.

((بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ))، سبق بالنهي، ابدأ بالنهي والتحذير، فإذا لم ينته،

والم يستجب، تأتي ماذا؟ العقوبة، الإجراءات العقابية، ويفترض أن يكون هناك إجراءات عقابية تجاه ذلك.

((فَنَكِّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ))

لا تكون العقوبة على المزاج، تكون عقوبة بالعدل، وبما يمثل ردعاً له ولغيره من الاستمرار في الاحتكار.

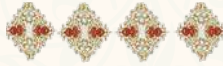
يفترض أن يكون هناك أيضاً تحديد لأنواع العقوبات، بحسب الأحوال، وبحسب الظروف، وبحسب نوع المحتكر، وما يمثله من ضرورة وأهمية لحاجة الناس.

فوجد هذه كلها منهجية متكاملة، ما الذي يُمنع، وما هو الجانب السلبي، وكيف تكون المواقف تجاهه، وما الذي يتم العناية به، وتقديم التسهيلات فيه، ويمثل إيجابية ومنفعة حقيقية للناس، بحيث يكون التاجر، والصانع، والمستهلك،

والمشتري، الكل يستفيدون من غير ضررٍ ولا ضرار، وبما يعود بالمصلحة العامة على المجتمع بشكلٍ عام.

نسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛



درس من

عَمَدُ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الصفحة: ٢٣٧

الدرس: الحادي عشر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

وصلنا إلى الحديث عن فئة مهمة من الفئات التي سبق الحديث عنها على وجه الإجمال، ثم ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل التفصيل.

قال **عليه السلام**:

((ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى، مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَالْمُحْتَاجِينَ، وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظِ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ)).

عندما أتى الحديث عن هذه الفئة من أبناء المجتمع، من الذين هم بحاجة ماسة إلى الرعاية الاجتماعية، وإلى العناية بهم، أتى الحث والتأكيد بهذا التعبير المهم، بقوله **عليه السلام**:

((ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ))

استشعر مسؤوليتك بينك وبين الله **ﷻ** بالنسبة لهؤلاء، للعناية بأمرهم، أنت مسؤول عنهم أمام الله، فاذكر الله، وتذكر أنك مسؤول أمامه عنهم، فلتبذل اهتمامك، ولتبذل جهدك، ولتبذل كل ما تستطيع من أجل العناية بهم، لا تغفل عنهم، وتتوجه بكل اهتماماتك نحو بقية الأمور، بقية جوانب المسؤولية فيما يتعلق بالمجالات السابقة: التجارة، والصناعة، والجانب الخدمي، والجوانب الأمنية والعسكرية... وغير ذلك، ثم تنسى أبناء المجتمع من هذه الفئة المتضررة، المعانية، التي هي بحاجة إلى الرعاية والاهتمام بها.

((ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى))

وتقدّم الحديث عما يعنيه هذا التعبير، أنه يقصد من حيث ظروفهم ووضعهم في المجتمع، وظروفهم المعيشية.

((مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ))

يعني: لا يمتلكون التدبير والقدرة على اكتساب المعيشة، والأخذ بأسباب الرزق، والسعي لتوفير احتياجاتهم، فهم لا يمتلكون التدبير، والخبرة، والمعرفة لذلك، ولا القدرة، عندهم عجز.

((مِنَ الْمَسَاكِينِ، وَالْمُحْتَاجِينَ))

يشمل هذا التعبير مختلف الفقراء بحسب ظروفهم، البعض مثلاً هم أشد فقراً، وأشدّ بؤساً وعناءً.

((وَأَهْلَ الْبُؤْسَى))

((أَهْلَ الْبُؤْسَى)): من ذوي الفقر المدقع، والمعاناة الشديدة جداً.

((وَالزَّمَنَى))

الذين يعانون من ظروف صحية، وأمراض مزمنة، أعاقتهم عن العمل، وحالت بينهم وبين التكسب والأخذ بأسباب الرزق، فهم بحاجة إلى مساعدتهم، البعض منهم يحتاج إلى مساعدة للعلاج بشكل مستمر، إضافةً إلى مساعدة في واقعه المعيشي، لتوفير متطلبات حياته الضرورية.

((فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا))

منهم من هو يعيش الظروف الصعبة إلى درجة أن يسأل، أن يمد يده للسؤال، وأن يتسول، والبعض منهم قد لا يصل إلى درجة أن يعرض نفسه للسؤال؛ لحرصه على حفظ ماء وجهه، ولتعففه عن ذلك، ولكنه يعيش ظروفاً صعبةً جداً، وعلى كلٍّ ينبغي الاهتمام بالجميع، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١)، الكل بحاجة إلى الرعاية والعناية.

وطبعاً في مسألة المتسولين، وفي مسألة الفقراء بشكل عام والمساكين، من ضمن برامج الرعاية الاجتماعية التي ينبغي أن توجه نحوهم، وأن يحظوا بها، ما يؤهل من يمكن تأهيله منهم، من يتمكن مثلاً بالنظر إلى وضعه الصحي لا بأس به، إلى تأهيلهم عملياً، لكسب الرزق، وإلى الحصول على ما يحتاجون إليه من ضروريات الحياة بدون الاستمرار في مهنة التسول؛ لأن امتهان التسول أمر مسيء، وغير محبب، وينبغي السعي للحد منه، لكن بهذه الطريقة التي فيها بدائل، وإعانة، وإغاثة، واهتمام بهم، وليس منعاً مع الحرمان والإهمال.

وأيضاً من المؤسف جداً أن البعض يمتنون التسول، وليسوا بمستوى الحاجة الملحة، التي تصل بالإنسان مثلاً إلى تلك الحالة، يعني: البعض منهم يعتبرها وسيلةً تناسبه - لأنه فقد الشعور بالكرامة - لأن تكون مصدراً للدخل المالي، قد يعتبرها طريقة أيسر عليه من بعض الأعمال، ويجدها موفرة، يستطيع من خلالها الحصول على المال بشكل أكثر وأيسر من بعض المهن الصعبة، فالبعض بدافع الكسل، وبفقدانه الحياء والكرامة، يجعل منها وسيلةً للكسب، لا ينبغي أن تكون وسيلةً للكسب، وينبغي فيمن يعانون من ظروف صعبة جداً، أوصلتهم إلى مستوى السؤال والتسول، أن يكون هناك برامج للعناية بهم، وتوفير ضرورياتهم، والتأهيل لهم عملياً بما يغنيهم عن ذلك، وما يرتقي بهم إلى مستوى حصولهم على أرزاقهم واحتياجاتهم الضرورية من مصادر دخل، إمّا وفق رعاية اجتماعية، أو أيضاً من خلال العمل الذي هيأت لهم فرصه وأسبابه، وهيأت لهم الظروف العملية له، سواءً يحتاجون إلى تأهيل عملي، يتم ذلك، أو غير ذلك.

((وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ))

تعامل مع هذه المسؤولية باهتمام كبير؛ لأنها مسؤولية كبيرة أمام الله ﷻ، وهي واجب إنساني، وأخلاقي، وديني، فاسع للاهتمام بذلك، لا تهمل هؤلاء، لا تتجاهل هؤلاء؛ بحجة الانشغال ببقية الأمور، يجب أن يكونوا هم- في العناية برعايتهم، والاهتمام بظروفهم- من ضمن أولوياتك العملية، واهتماماتك الأساسية.

((وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَاتِ صَوَائِفِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ))

هذه كانت من الموارد المالية آنذاك.

- (بَيْتِ الْمَالِ): كان عبارة عن البنك في ذلك الزمن (بنك الدولة)، والذي تجمع إليه الإيرادات المالية من مختلف مصادرها المشروعة.

- و(الغَلَاتِ): كذلك الأراضي التي كانت تجبى منها جبايات بحسب الشرع الإسلامي.

وعلى كُلِّ فالْمَقْصُودُ: أن يكون لهم حصة من الإيرادات المالية، مثلاً: الزكاة، فيها حصة واضحة، ونسبة محددة لهم، أضف إلى ذلك ما يمكن إضافته إلى الزكاة من الموارد الأخرى، يجب أن يكون هناك اهتمام بهم بشكلٍ أساسي، ولا ينبغي التفريط بحقوقهم في أي ظرفٍ من الظروف، ولا في أي وضعٍ من الأوضاع، الاهتمام بهم من ضمن الأولويات الأساسية.

((وَقِسْمًا مِنْ غَلَّتِ صَوَائِفِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى))

العناية بهم بشكلٍ عام، وليس وفقاً لفرز، بأي اعتبار، لا اعتبار قرابة، ولا اعتبار منطقة، ولا أي اعتبار، النظرة إليهم نظرة إنسانية، أخلاقية، دينية، بشكلٍ عام بحسب حالتهم وظروفهم.

((وَكُلُّ قَدٍ اسْتُرِعِيَتْ حَقَّهُ))

من واجبك الاهتمام بهم بشكلٍ عام، لا ينحصر الاهتمام بفتةٍ منهم، أو في نطاقٍ محدودٍ مثلاً، بل اهتماماً واسعاً في إطار ونطاق مسؤوليتك بشكلٍ عام.

((وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ))

وفي بعض النسخ: **((وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ نَظْرٌ))**

معنى ذلك: لا يشغلك عنهم شواغل أخرى، واهتمامات أخرى، ترى فيها أنها تمثل أهمية، إمّا أحداث كبيرة، أو مشاكل كبيرة، أو تحديات كبيرة، أو مسؤوليات معينة، يبقى الاهتمام بهم من الأمور المهمة، يبقى دائماً من الأولويات، فلا يشغلك عنهم أمور أخرى تشغل بها، تنظر فيها، وتعتبرها أنها هي تمثل الأولوية لاهتماماتك، وتديريك، ونظرك، ومتابعاتك العملية، هذا بالنسبة للنظر.

البطر كذلك: لا يشغلك عنهم البطر بالنعمة، وتضييع المال في أشياء تافهة، أشياء معينة لا تمثل أولوية بمثل ما يمثلونه هم وظروفهم من أولوية، مثلاً: البعض من المسؤولين قد ينشغل ببعض المشاريع، أو ببعض الأعمال،

أو ببعض الأشياء التي لا تمثل أولوية قصوى؛ إنما هي تمثل جانباً جمالياً، أو ترفيهياً... أو نحو ذلك، مثلاً: البعض قد يعمل مشروعاً عملاقاً، لكنه لا يمثل أهمية خدمية؛ إنما يمثل مثلاً طابعاً رمزياً، أو يمثل مثلاً جانباً ترفيهياً، أو جمالياً، أو نشاطاً اعتيادياً، مثل: بعض الأنشطة الرياضية، قد لا تكون في ضرورتها وأهميتها تعادل مثل هذا الموضوع الإنساني الملح: معاناة الجائعين، والبائسين، والمحرومين، والمتضررين جداً، الذين لا يجدون لهم ما يأكلونه، لا يجدون لهم ما يحتاجونه للعلاج، وما يحتاجونه لضروريات الحياة.

فالبعض مثلاً قد يبطر بالمال في مشاريع لا تمثل أهمية كبيرة، إذا جاء الإنسان ليحسب الأولويات بمعايير صحيحة، معايير إنسانية، أخلاقية، إيمانية، دينية، قيمية، فيلاحظ أن هؤلاء هم أولى بكثير من المشاريع التي قد تستنفد فيها الأموال الكثيرة، وهي ذات طابع حضاري، أو جمالي، أو رمزي، أو... نحواً من ذلك، مثلاً البعض تحت عنوان بوابة، أو مدخل مدينة، عقد معين، ومبنى معين، وشكل معين، يكلف مبالغ هائلة جداً، مثل هذا المشروع في الوقت الذي قد فاضت فيه الأموال عن الضروريات، عن الأشياء الأساسية، عن مثل العناية بهؤلاء، المحتاجين جداً، البائسين جداً، المتضررين جداً، فالإنسان في العناية بهم في ضرورياته يمثل أولوية، قبل الأشياء الأخرى، الأشياء التي هي ذات طابع جمالي معين، أو ترفيهي معين، الضروريات الملحة لها أولوية، فالبطر بالنعمة، والتبذير، وما بالك إذا كانت المسألة مسألة فساد مالي، أو مكاسب شخصية، أو عبث بالمال، هذه كارثة.

((فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافَهُ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ))

يعني: حتى لو كانت لديك اهتمامات معينة، بحسب الأولويات الكبيرة

والخطيرة والمهمة، يبقى لبعض الأمور أهمية كبيرة جداً، ولا تعذر بتضييعك لها، لاعتبارك لها أموراً بسيطة مقارنة بالأمور الأخرى، مثلاً: أمام التحديات والمخاطر الكبيرة، التي قد يرى فيها البعض أنها بالشكل الذي تأخذ منه كل اهتمامه، وكل عطائه، وكل جهده، وكل ما يقدمه، تبقى لبعض الأمور أهمية في كل الأحوال، مثل هذه المسألة، هذه مسألة إنسانية، وإيمانية، وأخلاقية.

((فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ))

لا تصرف اهتمامك عنهم، بحجة الانشغال بالأشياء الأخرى، احسبهم من ضمن أولوياتك، ومن ضمن ما تنشغل به وتعطيه من اهتمامك.

((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ))

لا تتعال عليهم، وتعرض عنهم، وتجاهلهم، تكبراً وازدراءً لهم، هم فئة مهمة من أبناء المجتمع، عليك تجاههم مسؤولية أمام الله ﷻ، واهتمامك بهم جزء من التزامك الإيماني والديني والأخلاقي، ومن ضمن مسؤولياتك الأساسية، ويشرفك، مما فيه شرفٌ لك، مما فيه ما يرفع قدرك، ويعلي منزلتك عند الله ﷻ أولاً.

((وَتَفَقَّدَ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ))

هناك من الفقراء، ومن الزمنى (من المصابين بأمراض مزمنة، أو إعاقات)، من ليس لديهم وساطة، ولا هناك من يتابع أمورهم، ويتوسط لهم، ويشفع لهم، ويعتني بأمرهم، ويلفت النظر إليهم، فإذا تركوا، حرموا، وكانوا أكثر الناس تضرراً ومعاناة، مثل هؤلاء تفقدهم أنت، اسع لأن تعرفهم، لا يقتصر اهتمامك

على من لديهم وساطات، وشفعاء، ولديهم من يلفت النظر إليهم، بل احرص على أن يصل اهتمامك، ورعايتك، وعنايتك، حتى إلى أولئك الذين يعرض عنهم الناس، ويهملونهم، ولا يهتمون بهم، قد يحتقرونهم، وقد لا يركزون عليهم.

((فَرَّغْ لِأَوْلَائِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَّاضِعِ))

فَرَّغْ لَهُمْ مِنْ أَعْوَانِكَ مِنْ تَثِقْ بِهِ فِي أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ، وبالتالي عنده اهتمامٌ بالمسؤوليات التي يُكَلَّفُ بها، ينفذها بجد واهتمام؛ لأنه يستشعر المسؤولية أمام الله ﷻ، ويحرص على أن يعمل ما يرضي الله ﷻ، معيار الأهمية للأعمال عنده معيار مرضاة الله ﷻ، العمل الذي يرضي الله ﷻ هو بالنسبة له عملٌ مهم؛ لأن البعض من الناس قد يحتقر بعض الأعمال، ولا يعطيها حقها من الاهتمام؛ لأنها ليست من الأعمال ذات الشهرة، وذات المكان والمقام الاعتباري بين الناس، فهو يريد نوعاً من الأعمال التي يظهر فيها وكأنه شخصٌ مهمٌ وكبير، فركز في هذا الموضوع الإنساني، الأخلاقي، الإيماني، الحساس، على الاعتماد على من تثق به في أنه يخشى الله ﷻ ويتقي الله، وعنده اهتمام بمثل هذه الأمور؛ لأنه يدرك قيمتها الإيمانية والأخلاقية، وموقعها ومنزلتها في الأعمال الصالحة، وفي القربة إلى الله ﷻ.

((مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَّاضِعِ)): إنسان هو متواضع، تثق بتواضعه،

ليس متكبراً، ولا مغروراً؛ ولذلك بقدر تواضعه سيكون قريباً من هؤلاء الناس المعانين، البائسين، الضعفاء، لا يأنف من البحث عنهم، ومن الوصول إليهم، ومن الاهتمام بهم، والرعاية لهم، والعناية بأمرهم، بل يدرك قيمة ذلك، القيمة الإيمانية، والإنسانية، والأخلاقية، وفي القرب من الله ﷻ.

والتواضع من أهم المواصفات التي لا بدَّ منها للإنسان في موقع المسؤولية، في أي موقع من مواقع المسؤولية، البديل عن التواضع هو: الكبر، والغرور، والعجب، والتعالي، وهي كلها صفاتٌ مذمومة، وقييحة، وتعتبر من المعاصي الكبيرة، ومن الانحرافات الشنيعة، ومما يدل على ابتعاد الإنسان عن الإيمان، وعن الاستقامة، ومنفرة جداً، ومؤثرة سلباً على أداء المسؤولية.

من أسوأ الناس في أداء مسؤولياتهم، من أسوأ المسؤولين، المسؤولون المتكبرون، المتعالون، المغرورون، الذين يتعاملون مع الناس بتعالٍ وكبرياء وغطرسة، من أسوأ الناس، حتى الناس يمقتونهم، يكرهونهم، يستأوون منهم، ينفرون منهم، يصعب التعامل معهم، يعسر التفاهم معهم، فالتواضع مسألة مهمة جداً، **((مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَّاضِعِ))**، ليؤدي مسؤوليته بإخلاص، وليصل إلى أي إنسانٍ من أبناء المجتمع من الذين يعانون هذه المعاناة دون ترفع، أو تكبر، أو تخرج من تخرج ذوي الكبر والتعالي.

((فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ))

ليتفقد أحوالهم بشكلٍ عام، على أساس من له مظلومية، من يعاني من الظروف الصعبة، يعني: أكثر من مسألة الرعاية المادية، رعاية أوسع، من له شكوى، فتشمل هذه الرعاية المادية، والرعاية الشاملة الأوسع.

((فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ))

اعمل فيهم، من رعايتك، واهتمامك، ومعالجتك لأوضاعهم، واهتمامك بأموالهم، بما يكون عذراً لك يوم تلقى الله ﷻ، فيسألك عنهم، لتكون قد

بذلت جهدك، لا تلقى الله وأنت مفرط، متساهل، متهاون، غافل عن الاهتمام بهم، وعن العناية بشأنهم.

((فَإِنَّ هَؤُلاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ))

هؤلاء من الفقراء، وأهل البؤسى والزمنى: المرضى المعاقين، والمصابين بالأمراض المزمنة، والفقراء جداً، الذين لا يجدون من يتشفع لهم، وليس لهم وساطة، ولا يصل صوتهم إليك، ولا إلى غيرك، هؤلاء هم أحوج إلى الإنصاف من غيرهم؛ فلذلك إذا لم يصل صوتهم إليك، فلتصل أنت باهتمامك ورعايتك إليهم، لتفقد أحوالهم من خلال ثقافتك، الذين تثق بهم، وتعتمد عليهم لأداء هذه المهام، التي هي مهام مقدّسة، مهام إنسانية، وأخلاقية، وإيمانية، وضمن مسؤولياتك الأساسية.

((وَكُلُّ فَاعِذِرٍ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ))

ابذل جهدك ما بينك وبين الله ﷻ أن تؤدّي واجبك نحو الجميع، نحو كل الفئات، استشعر مسؤوليتك أمام الله في ذلك؛ لأن الله سائلك، ومحاسبك، ومجازيك، استشعر ذلك واحرص بشكلٍ عام تجاه كل الفئات في نطاق مسؤوليتك، أن تبذل جهدك في العناية بهم، والاهتمام بهم، وأداء مسؤولياتك نحوهم.

((وَتَعَهَّدَ أَهْلَ الْيَتَمِّ))

اليتامى، واليتامى من الفئات التي تحتاج إلى الرعاية، والعناية، والاهتمام، وفي القرآن الكريم تركيز كبير على مسألة اليتامى، والرعاية لهم، والإكرام لهم، والاهتمام بهم، فهم بحاجة إلى الرعاية والاهتمام الشامل، على المستوى المادي من هم فقراء، والرعاية في تربيتهم، وتنشئتهم، والحفاظ على حقوقهم... إلى غير ذلك.

((وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ))

((ذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ)): المتقدمون في العمر، من وصلوا إلى الشيخوخة، وأصبحوا عاجزين عن العمل والكسب، ويحتاجون إلى العناية بهم، هذه حقوق الإنسان الحقيقية في عهد الإمام عليٍّ عليه السلام لمالك الأشر، وفي القرآن الكريم وفي الإسلام أرقى ما قدّم لحقوق الإنسان، ولرعاية الإنسان، وللاهتمام بالإنسان.

((مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ))

((لَا حِيلَةَ لَهُ)): ليس لديه تدبير وخبرة في أمور الاكتساب، ولا قدرة له، ((وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ))، فبادر أنت بألياتك العملية، بمن تعتمد عليهم وثق بهم لأداء هذه المسؤولية، فيما ينبغي أن يكون عليه الواقع العام، أن تكون هناك جهات محددة تناط بها هذه المسؤوليات، تكلف بأداء هذه المسؤوليات، مع التقييم لأدائها، ومراقبة أدائها، والاهتمام بذلك.

((وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ))

الاهتمام بكل هذه الفئات، والمتابعة الجادة، والنهوض بهذه المسؤولية على الوجه المطلوب، ثَقِيلٌ عَلَى الْوَلَاةِ؛ من حيث طبيعة الإنسان، وغرائزه، وميله إلى الدعة؛ أَمَّا من يتحلى بالإيمان، ويمتلك الوعي الكافي لأهمية مثل هذه الأعمال، وقيمتها الإيمانية والإنسانية والأخلاقية، فهو سيؤدّي وإن كان هناك أحياناً صعوبات كثيرة تواجه الإنسان، لكن سيؤدي مثل هذه المسؤوليات برحابة صدر، وبتقربٍ إلى الله تعالى، بدافعٍ إيمانيٍّ، وأخلاقيٍّ، وإنسانيٍّ؛ ولذلك قال:

((وَأَحَقُّ كُلَّهُ ثَقِيلٌ))

يعني: بهذا الاعتبار: باعتبار رغبات النفوس في الدعة، والراحة، والميل إلى المصالح الشخصية... وغير ذلك.

لكن من يتجه وينطلق من منطلقات إيمانية، وتوجه إيماني، يعرف قيمة مثل هذه الأمور، وأهميتها، ونتائجها العظيمة، ويستعين بالله، ويعتمد على الله، فيحظى من الله ﷻ بالعون والتمكين؛ ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: **((وَقَدْ يُخَفِّضُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ، فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ))**

الله ﷻ وعد في القرآن الكريم بالتمكين: ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِيَسْرَى﴾^(١)، يمنحك الله التيسير في أمورك، وإذا واجهت عوائق معينة، أو صعوبات معينة، مع استعانتك بالله، وتوطينك نفسك على الصبر، تجتاز تلك المراحل الصعبة، وتلك العقبات والعوائق الكبيرة، تجتازها في نهاية المطاف، بمعونة الله وتوفيقه ﷻ.

الإنسان إذا طلب العاقبة عند الله ﷻ، يريد رضوان الله، ويريد الجنة، يريد أن يحظى بمحبة الله، وتوفيق الله، وأن يؤمن نفسه من عذاب الله، وأن يسعى لما فيه السلامة من عذاب الله ﷻ، وكان واثقاً بصدق وعد الله؛ لأن الله وعد: وعد الصابرين، وعد المتقين، وعد المحسنين بخير الجزاء، وبأحسن الجزاء في الدنيا والآخرة، فمن يثق بوعد الله؛ سينطلق وهو يمتلك الحافز الكبير، والدافع الكبير، ويعرف قيمة هذه الأعمال في عواقبها، وخواتمها، ومآلاتها، وما يثيبه الله عليها، فيتجه بدافع كبير، وتحمل كبير، وصبر على الصعوبات والعوائق.

((وَأَجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا، تُفْرَغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ،
وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ،
وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشَرِطِكَ؛ حَتَّى
يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا
حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ»)).

((اجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا))

في إطار عمل الإنسان، عمل المسؤول في أي موقع من مواقع المسؤولية،
ينظّم وقته في اهتماماته بمسؤولياته ومتابعاته لأعماله، ثم يحدد وقتاً معيناً،
وقتاً مفتوحاً، وقتاً عاماً، يجلس فيه، ويستقبل بشكلٍ مفتوح، بشكلٍ عام، من
لديهم شكاوى، من يريدون الوصول إليه بموضوعٍ معين، أو قضايا معينة؛ حتى
يتمكنوا من ذلك، وهذه مسألة هامة، إذا عمل بها كل المسؤولين، فخصوصاً
وقتاً مفتوحاً، وقتاً عاماً من أوقاتهم، يستطيعون بحسب ظروفهم العملية،
وبحسب الأعمال نفسها، والمهام العملية، البعض قد يستطيع بأكثر من يوم
مثلاً في الأسبوع، قد يستطيع أياماً معدودة في الأسبوع، والبعض في الأسبوع
كذلك يوماً، ليكون يوماً مفتوحاً، يستقبل فيه ذوي الحاجات، من لديه شكاوى،
من لديه تظلم، من لديه قضايا معينة... بشكلٍ عام، ويهيئ الظروف فيها لهم
(لاستقبالهم) بطريقة ميسرة، وفي أجواء مبسّطة وعادية، بكل تواضع، لا تكون
أجواءً مخيفة، مهيبية، مرعبة؛ حتى يتمكن البسطاء من الناس، ذوي الحاجة
من الناس، والضعفاء من الناس، الوصول إليه، سواءً كان لديهم تظلمات معينة،

أو شكاوى معينة، أو قضايا معينة، أو مطالب معينة، هذه لها أهميتها الكبيرة جداً؛ ولذلك يقول:

((فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ))

تتواضع لله بتواضعك لعباده، أنت عبدٌ لله ﷻ، ووظيفتك التي تؤديها في موقعك في المسؤولية، هي في نطاق وإطار عبوديتك، أنت تعمل كعبد لله ﷻ في خدمة عباده، فتؤدّي هذا الدور على هذا الأساس.

((وَتَقْعُدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشَرِطِكَ))

يعني: لا تكون ترتيباتك الأمنية بالشكل الذي يربعهم، يخيفهم، يزعجهم، يؤثّر عليهم، لا يهيئ لهم الظروف الاعتيادية البسيطة التي يتمكنون فيها من تقديم ما يريدون تقديمه، أو إيصال ما يريدون إيصاله من قضاياهم، ومواضيعهم، وشكاواهم، أو تظلماتهم، هيئ ظروفًا عادية، بسيطة، غير معقدة، وغير مخيفة، وغير مرهبة، جوًا عاديًا بسيطًا، يستطيعون فيه أن يقدموا ما يريدون تقديمه براحة بال، من دون قلق، ومن دون ازعاج، ومن دون إخافة، ومن دون ضغط، هيئ جوًا يبعث على الطمأنينة، والارتياح النفسي، والهدوء، وتقديم ما يريدون تقديمه إليك، أو أن يقولوه لك.

((حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ))

يكلمك باطمئنان، غير مضطرب في كلامه، ومرتبك، وقلق؛ لأنه محاط بعدد كبير من الحراس، كلٌّ ينظر إليه بعينٍ مفتوحة، وعبوس، وطريقة مخيفة، اعمل جوًا مطمئنًا، متواضعًا، قريبًا من الناس.

((فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»))

الأمة التي لا يؤخذ فيها للضعيف حقه من القوي، هي أمة مفلسة أخلاقياً، خسرت إنسانيتها، خسرت قيمتها الأخلاقية، أمة لا تبني واقعها على أساس العدل والحق، أمة متوحشة، الواقع فيها هو واقع الغابة، واقع الحيوانات المفترسة، القوي يأكل الضعيف.

أما الأمة المقدسة، الأمة الطاهرة، الصالحة، الأمة المستقيمة، الأمة التي تلتزم وتبني واقعها على أساس الأخلاق والقيم، فهي الأمة التي يسودها العدل والإنصاف، فيؤخذ للضعيف حقه من القوي براحة بال؛ لأن الناس يقفون مع الحق حيث هو، ومع صاحب الحق أياً كان، من غير تمييز على أي اعتبار، أو أي تصنيف.

((ثُمَّ احْتَمَلَ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ))

يعني: في حديثك معهم، وسماعك لهم، وفي تعاملك معهم، في ذلك اللقاء المفتوح، تحمّل منهم ما قد يبدر منهم من زلةٍ في الكلام، أو إساءة، أو... البعض - مثلاً- قد يقدم قضيته، أو شكواه، وهو منفعل، وقد يزيد في كلامه، أو ينقص، أو يصدر منه إساءة، أو طريقته في التعامل والحديث مزعجة، وغير مؤدبة، تحمل ذلك، في ذلك اللقاء المفتوح.

وكذلك ((العيَّ))، بعضهم لا يمتلك القدرة التعبيرية لتوضيح قضيته، أو مطلبه، بالشكل السليم والسريع والسهل، يتعبك وأنت تسمع له حتى تفهم منه ماذا يريد بالتحديد، تحمل، واصبر، بعضهم قد يكون لديهم مطالب غير واقعية، لا تنفعل عليه، لا تقابله بطريقة مسيئة، تحمل ذلك.

((وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ))

(نَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ): ضيق الصدر، لا تتعامل معهم وأنت في حالة من التوتر، والغضب، والانفعال، والاستياء، والانزعاج، ثم تتعامل وتتصرف بناءً على ذلك، في حديثك معهم، وتعاملك معهم، وفي الواقع كذلك، يعني: هيئ التعامل معهم بطريقة ميسرة، وبطريقة غير ضيقة، في سوء الخلق، أو في طبيعة الإجراءات والترتيبات وأسلوبها.

((وَالْأَنْفَ))، ((وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ)): كذلك لا تتعامل

معهم بتعالٍ، واستكبارٍ، وأنفةٍ منهم، تعامل معهم بتواضع، اصغِ إليهم، تفهم ما يقولونه، واصبر على ذلك، إذا كان هناك أسلوب مزعج، أو طريقة مزعجة، كن صبوراً، أنت في موقع مسؤولية.

((وَنَحَّ عَنْهُمْ الضِّيقَ وَالْأَنْفَ، يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ))

لهذا الصبر، لهذا التحمل في أداء المسؤولية، وأنت تسعى لخدمة الناس، والاهتمام بأمورهم، وأنت تصبر عليهم، حتى على ما يستفزك منهم، ويزعجك ويسيء إليك، لهذا عاقبته الحسنة، أنت تحظى برحمة الله ﷻ، والثواب العظيم، والأجر الكبير، والرعاية الواسعة، لهذا فضله، العناية بأمر الناس، مع الصبر، والتحمل، وسعة الصدر، والاستعانة بالله في ذلك، عملٌ عظيم، عملٌ مهمٌّ جداً ومقدَّس، وله أجره الكبير، وفضله العظيم، وله نتائج الطيبة، وثمرته العظيمة في نفس الإنسان، وفي حياته، وفيما يكتبه الله له في الدنيا والآخرة.

((وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأَعْطِيَ مَا أَعْطَيْتَ هَنِئًا))

ما تعطيه لهم، أو لغيرهم ممن تعطيه، ممن يستحق أن تعطيه، ما تعطيه اعطه هنيئاً، بطريقةٍ سليمةٍ من المنغصات، لا يكون بطريقةٍ فيها من، أو فيها أذى، أو فيها إزعاج، أو فيها تضجر، أو فيها صعوبات كبيرة أيضاً في إيصاله إليهم، أو إخراجه لهم، لا يخرج إلا بشق الأنفس، اعطه بطريقةٍ هنيئة.

((وَأَمْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ))

امنع في الظروف التي تقتضي المنع، حيث ليس هناك - مثلاً - حاجة، أو ضرورة، أو مبرر لأن تعطي، أو لا تستطيع، طلب منك ما لا تجد، ما لا يتوفر، ما لا يمكنك تقديمه له، فيكون مع ذلك الإعذار والإجمال، يعني: طريقة مؤدبة محترمة، من دون إساءة، ومن دون جرح للمشاعر، ومن دون كلام قاسٍ.

((ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا، مِنْهَا))

من ضمن مسؤولياتك، ومن ضمن الأمور التي أنت معنيٌّ مباشرةً بالاهتمام بها، ولا يكفي أن تحيلها على أعوانك، ومن في مكتبك، لابد أن تباشرها أنت.

((مِنْهَا: إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْجَا عَنْهُ كُتَّابُكَ))

أن تتابع أنت، وأن تجيب على عمالك، على المسؤولين الذين تتابعهم، وأنت مسؤولٌ عنهم، وهم في نطاق مسؤوليتك، أن تتابع معهم مباشرةً، وتجييبهم أنت بشكلٍ مباشر، ((بِمَا يَعْجَا عَنْهُ كُتَّابُكَ))؛ لأن بعض المواضع، وبعض القضايا هامة، قد يعيا عنها من هم من كتابك، من أعوانك، ممن يقومون بدورٍ مساعدٍ لك، قد لا يتمكنون هم أن يؤدوا هذا الدور بالنيابة عنك، مواضع مهمة، ومواضع حساسة، وقضايا معينة، تحتاج إلى الاهتمام المباشر، والمتابعة المباشرة، فلا تبني على إيكال كل شيء من الأمور إليهم.

((وَمِنْهَا: إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ))

كذلك في حاجات الناس، ومطالبهم، وأمورهم، هناك منها ما ((تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ))، إمَّا يماطلون فيه، أو لا يتفاعلون معه، أو لا يستوعبون أهميته، ويتطلب هذا منك الاهتمام المباشر؛ لذلك تفقد الأمور والمواضيع، وباشر ما ينبغي أن تباشره أنت.

((وَأَمَضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ))

في طريقتك في العمل، وأسلوبك العملي، احرص على الإنجاز اليومي، لكل يومٍ ما فيه من العمل، نظّم وقتك بشكلٍ جيد، واستثمر وقتك بشكلٍ جيد، واحذر من إضاعة الوقت، من أكبر المشاكل في الأعمال الإدارية والمسؤوليات هي: إضاعة الوقت، وعدم تنظيم الوقت، وبالذات أن البعض من الناس روتينهم في الحياة، وأسلوبهم وطريقتهم في الحياة، مما يساعد على ضياع كثيرٍ من الوقت المهم، الذي يمكن استثماره لإنجاز الأعمال بشكلٍ جيد.

مثلاً: عندنا في اليمن، البعض من الناس قد يضيع وقته ليلاً وهو يمشي القات ويسهر، من دون ضرورةٍ للسهر، وفي النهار ينام إلى وقتٍ متأخر، فلا يتحرك للدوام إلا قرب منتصف النهار، ثم يكون دوامه لساعتين مثلاً، وقد أضع وقتاً طويلاً، هذا تضييع للوقت، وإضاعة للمسؤولية، وتفريط في أداء المسؤولية، وذنبٌ على الإنسان، عندما يفرط في أداء مسؤولياته، ويضيع الكثير من وقته خارج نطاق اهتمامه بمسؤولياته، التي هو محمّلٌ بها، ومسؤولٌ عنها أمام الله ﷻ، وتجاه عباد الله.

فعلَى الإنسان أن ينظم وقته بشكلٍ جيد، ويسعى للإنجاز اليومي، أن ينجز في كل يوم أعماله الأساسية والمهمة، إذا طرأ طارئٌ له أولوية، أو له أهمية، أخذ ذلك بعين الاعتبار، وإلا فليحرص على الإنجاز اليومي.

((وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَّا فِيهِ))

أنت قد تؤجل بعض الأعمال إلى اليوم الآخر، فيأتي في اليوم الآخر شواغل أخرى إضافية، أو مشاكل إضافية، فيكون التأخير كذلك من تأخير إلى تأخير، ثم تزدحم فيما بعد الأمور، والمشاكل، والقضايا، ولا تدرك البعض منها، ولا تنجز الكثير منها، وتتأخر الكثير من الأمور، والبعض من الأمور في تأخيرها خطر، أو خلل، أو تضييع لحقوق، أو سبب لمأس، أو سبب لحدوث مشاكل، التأخير خطر، فمسألة الإنجاز مسألة مهمة جداً.

((وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ))

عندما تنظم وقتك، وتنظم برنامجك العملي ووقتك، كيف تؤدي مسؤولياتك بشكلٍ منظم.

((وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ)): اختر أحسن الأوقات للقربة إلى الله، والعبادة والرجوع إلى

الله ﷻ؛ لأنك بحاجة إلى الله، وبحاجة إلى توفيقه، وإلى رعايته، ومعونته، وهدايته، وأنت بحاجة إلى القربة إلى الله ﷻ بما يقربك إلى الله ﷻ، فمع القيام بالمسؤولية بدافع إيماني، وإخلاص لله ﷻ، سيكون ذلك كله عبادة، وقربة إلى الله ﷻ، ولكنك تحتاج إضافةً إلى ذلك إلى الاستفادة من العبادة الروحية،

تحتاج إلى العناية بالذكر لله ﷻ، والتسبيح، والصلاة، وتلاوة القرآن، والاهتمام بالعبادة الروحية، التي لها أثرها الكبير عليك في نفسك، ومشاعرك، ووجدانك، وفي تزكية نفسك.

((وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ، إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ))

اختر من أهم الأوقات التي تستفيد منها مثلاً خارج نطاق العمل؛ لأنك تستطيع أن تخصص مثلاً أوقات العمل الاعتيادية؛ أمّا الأشياء الطارئة، والأشياء المهمة جداً، فلها اعتبارها وأهميتها في كل الأوقات، ليلاً، أو نهاراً، ولكن على مستوى المتابعة العملية الاعتيادية والدوام، ثم خارج هذا، تستطيع مثلاً: أوقات الصلوات، مثلاً: في الثلث الأخير من الليل، مثلاً: ما بعد صلاة الفجر إلى وقت وجبة الفطور، وتكون وجبة الفطور مبكرة، لا تكون في وسط النهار، أو من يؤخر صلاة الفجر، فالمبادرة في ذلك، يستطيع الإنسان أن يستفيد من تلك الأوقات في الذكر لله تعالى، والتقرب إلى الله ﷻ، والاتجاه إلى الله.

((وَإِنْ كَانَتْ))، يعني: كل أعمالك في أدائك لمسئولياتك.

((كُلُّهَا لِلَّهِ، إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ)): إذا كنت مخلصاً لله، تتقرب

إلى الله بأدائك للمسؤولية تجاه عباده.

((وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ)): لا يكون فيها ما يضر بالرعية، الأداء

الصحيح، والسليم، الأداء الذي يرضي الله ﷻ، العمل الذي هو وفق توجيهات الله ﷻ، يكون قرباً إلى الله وعملاً صالحاً، لا يكون فيه ضرر على الرعية.

((وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ إِقَامَةً فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ))

ليكن من أول ما تهتم به، وتخلص لله فيه، وتؤديه بإخلاص وجد واهتمام: إقامة الفرائض، العناية بالصلوات، وما فرضه الله عليك، مثل: الصلاة، والصوم... وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها، لا تفرط فيها، بحجة انشغالك بمسؤولياتك وأعمالك، فلم تعد تهتم بالصلاة، وكأن المسألة من شدة اهتمامك بمسؤولياتك وأعمالك، ليس لك مبرر في ذلك، لا تحتاج أن تكون اهتماماتك بأداء المسؤولية على حساب اهتمامك بفرائض الله ﷻ.

((إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا، غَيْرَ مَثْلُومٍ، وَلَا مَنْقُوصٍ))

أده كما شرعه الله، والله ﷻ هو في تشريعه ﷻ الرحيم بعباده، شرع ما يناسب مختلف الأحوال: حالة السفر، حالة الحضر، حالة المرض، حالة العافية، لمختلف الظروف هناك في شرع الله ﷻ ما يلائم ذلك، لكن أنت أد كما شرع الله من دون نقص.

((بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ))

ابذل جهدك، لا تكن مهملاً لذلك بدافع الرحمة لنفسك، أنك تريد الراحة لنفسك، لا تريد أن تتعبها.

((وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ))

كنت إماماً للصلاة في مسجد، أو في موطن من المواطنين.

((فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفِرًا وَلَا مُضِيْعًا))

((فَلَا تَكُونَنَّ)) في صلاتك وأنت تصلي بالناس **((مُنْفِرًا))** بالتطويل الزائد في الصلاة، تطول في القراءة، وتتأخر في أدائك للصلاة ببطءٍ شديد، وتطويل كبير، **((وَلَا مُضِيْعًا))**: ولا تسارع في اختصار الصلاة حتى تقصر في أدائها ولا تؤديها كاملة، حتى يكون أداؤك لها منقوصاً، لم تكمل أركانها، وأذكارها، وهياتها، بالذات الهيئات الأساسية فيها، في قيامها، وركوعها، وسجودها، وعودها، والاعتدالات من الركوع والسجود... وغير ذلك، تسرع فتقصر وتضيع، تضيع بالنقص في شيءٍ من أركانها.

((فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ))

فراع ظروف الناس حتى في الصلاة، لا تطول في الصلاة، والصلاة وهي من أعظم أركان الإسلام، ومن أعظم القرب إلى الله، لكن لاحظ كيف رحمة الله بعباده، لا يريد منك أن تطول حتى في الصلاة، بما يسبب المشقة والعسر على البعض ممن يصلون خلفك، البعض منهم من ذوي الحاجة، أو من ذوي العلة. من ذوي العلة: مريض، يعاني من وضع صحي معين، يشق عليه التطويل والتأخير في الصلاة. والبعض من ذوي الحاجة: ممن لهم حاجة ملحة، هو مستعجل لأدائها، أو للتحرك من أجلها في ظروف حياته. فلا تتأخر بهم حتى تنفرهم، فتكون منفراً للناس؛ بسبب تطويلك وتأخيرك.

((وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ: كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْعَفِهِمْ»))

رسول ﷺ أرسل الإمام علياً عليه السلام إلى اليمن، وأسلم على يده أهل اليمن، أرسله لثلاث مرات إلى اليمن، واحدة منها بقي لأشهر عديدة في اليمن، فسأل رسول الله ﷺ كيف يصلي بالناس، يعني: هل يطول، أم يختصر، أم كيف؟ **((فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْعَفِهِمْ»))**، وهذا مقياس مهم لكل إمام للصلاة، ولكل من يصلي بالناس، ممن يأتون به، أو ممن هو حتى في موقع مسؤولية: أن يصلي بهم كصلاة أضعفهم، يأخذ بعين الاعتبار ما إذا كان من الحاضرين من هو مريض، أو متعب، أو يشق عليه التأخير، أو ضعيف؛ لأنه طاعنٌ في السن... أو غير ذلك، البعض ممن يصلي بالناس يبقى متأخراً حتى يتساقط البعض من المؤمنين، يسقطون، إمّا مرضى، أو طاعنين في السن... أو غير ذلك.

((فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَوْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»))

وهذه قاعدة عامة: التعامل على أساس الرحمة، مثلما قال في بداية الحديث: **((وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ))**، الرحمة أساس في التعامل مع الناس، أساس في كيفية التحرك بهم، أساس في كيفية أداء المسؤولية نحوهم، أساس مهم، وأساس عظيم ومقدس.

سأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،



درس من

عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الصفحة: ٢٦١

الدرس: الثاني عشر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارض اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين والمجاهدين.

أيها الإخوة والأخوات

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

بعد استكمال الحديث عن فئات المجتمع، مكونات المجتمع، الذين يعبر عنهم بالرعية في ظل نظام الإسلام، أتت التعليمات في عهد الإمام علي عليه السلام

إلى مالك الأشر، وهي تعليمات ختامية، لكنها ذات أهمية كبيرة جداً، وشملت بقية الأمور الهامة.

قال عليه السلام:

((وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقَلَّتْ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيَشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ)).

((لَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ))

لا تنقطع عن لقاءاتك بهم، والحديث إليهم، يمكن للإنسان المسؤول والوالي أن ينظم أوقاته، وأن ينظم أعماله، وبذلك سيتمكن من أن يخصص وقتاً من الأوقات للقاءات بالناس، وللحديث إلى الناس، فالانقطاع عن اللقاءات، والانقطاع عن الحديث إلى الناس، له تأثيرات سيئة على الإنسان نفسه في موقع المسؤولية، كوال، أو مسؤول، في طريقة أدائه، وفي خلفية الأمور لديه، التي يستند إليها، فيما يتخذه من قرارات، أو يعتمده مما يصل إليه، أو كذلك يتعامل من خلاله مع الأمور، وكذلك له تأثيرات سيئة على واقع الناس أيضاً؛ لأن البعض مثلاً من المسؤولين، أو من الولاة، قد يتوجه كل اهتمامه نحو الانشغال بالعمل، فيقول: [لا داعي للقاءات، ليست ضرورية، الأهم هو الأعمال التي أنشغل بها وأوديتها بناءً على مسؤوليتي]، وكذلك قد يتأخر كثيراً عن الحديث إلى الناس بما يقتضيه الحال، بما تقتضيه الظروف، بما يتعلق بالمستجدات، فيكون لذلك تأثيرات سيئة

جداً في الواقع العملي، وفي واقعه هو، وفي واقع المجتمع أيضاً، فالإمام يقول:

((فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيْقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ))

له تأثيراته السيئة عليك أنت كمسؤول، أو كوالٍ، فله أثره السيئ حتى في مدى علمك وإطلاعك على الحقائق، على الواقع؛ لأن انقطاعك عن اللقاء بالناس، والسماع منهم، يحصر مصادر المعلومات لديك، وما تطلع عليه من خلال قنوات محدودة جداً، من بعض المقربين منك، أو بعض من تعتمد عليهم، فلا يصل إليك إلا ما يوصلونه هم إليك، وقد يكون شيئاً محدوداً، قد تغيب الكثير من الحقائق عنك، فتتغير نظرتك إلى الواقع، تكون نظرةً ضعيفةً محدودةً، لا تمتلك كل المعطيات، والحقائق؛ وبالتالي تبني على هذه النظرة الجزئية المحدودة، التي غاب عنها الكثير من الحقائق والمعطيات، تبني عليها سياسات خاطئة، أو قرارات خاطئة، أو توجهات خاطئة، وتهمل أشياء، وإهمالك لها له تأثيرات سيئة في واقع الناس؛ وبالتالي حتى في موقفهم منك، فمسألة الاحتجاب الطويل، التأخر الطويل عن الناس في اللقاءات، التأخر الطويل عن الناس في الحديث إليهم له تأثيراته السيئة، هذا من جانبك، يؤثر عليك حتى نفسياً، تتعود على حالة الانعزال والعمل في نطاقٍ مغلقٍ محدود، ويؤثر على نفسك، ويؤثر عليك في قراراتك وتوجهاتك، التي لا تستند إلى الحقائق كاملة، وإلى الواقع من خلال تشخيصٍ دقيقٍ وإطلاعٍ تامٍ على الواقع.

((وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ))

كذلك الولاة من جانبهم، والمجتمع من جانبه، الكل يتأثر، فالولاة باحتجابهم عن الواقع تصل إليهم الأمور مشوشة وناقصة؛ وبالتالي قد تكبر عنده من خلال ما يصل من مصادر محدودة، أو قنوات محدودة يعتمدون عليها في الاطلاع على الواقع، في أن ينقل إليهم ما ينقل من الواقع، تكبر عندهم الأمور الصغيرة، وأحياناً تضخم، مثلاً: تضخم مشكلة معينة، أو قضية معينة، حتى تظهر وكأنها كبيرة جداً، أو تصغر الأمور الكبيرة، ويكون لها تأثيراتها السيئة؛ لأنك ستتعامل معها بناءً على ذلك، فأنت- بالتالي- ستتعامل مع مسألة صغيرة وكأنها مسألة كبيرة جداً، وتتعامل مع مسألة مهمة، كبيرة، خطيرة، بتعاملٍ ضعيف، وبارد، ومحدود، ولا تعطيها ما تستحق من الاهتمام، ولا تتعامل معها بما ينبغي، بحجمها، بتأثيراتها، فسيكون لذلك تأثير كبير على طريقتك في العمل، وطريقتك في التعامل، وطريقتك في اتخاذ القرار، فهي مسألة حساسة، ومسألة خطيرة.

((وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ،

فِيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبَحُ الْحَسَنُ))

لأن النقل أحياناً قد يكون بهذه الطريقة التي تشوه الحقائق، وتقدم الصورة المختلفة عن الأمور، إلى درجة أن تُقْبَحَ الحسن، يعني: تقدم صورة سيئة، مشوهة، مختلفة تماماً عن الواقع في قضية معينة، أو موقف معين، أو شخص معين، وتنقل صورةً حسنةً، مجملَةً، مزينَةً، تجاه قضية هي بالعكس تماماً، قضية فيها ظلم، أو إساءة، أو تصرف خاطئ، عن شخصٍ كذلك هو شخص سيئ، هذا بالنسبة للولاة.

بالنسبة أيضاً للناس مع الاحتجاب، مع الانقطاع عن اللقاءات بهم، والحديث لهم، والتوضيح لهم، والتبيين لهم، مع النشاط المعادي والمناوئ، الذي يتحرك

بطريقة سلبية في الساحة، فيسعى للتشويش حول كثيرٍ مثلاً من القرارات، من والمواقف، والإجراءات العملية التي قد تكون ضرورية، أو قد تكون مهمة، أو قد تكون مفيدة، قد تكون في مصلحة المجتمع، وتقتضيها الظروف، ولكن لا علم للناس بحيثياتها، ودوافعها، وخلفياتها، وأسبابها، فيأتي من يثير التشويش حول ذلك، ومن يتحرك بالدعايات المسيئة، وأحياناً الدعايات الكاذبة، التي لا أساس لها من الصحة، ويخلط الأمور، فيرسخ في الساحة نظرةً سلبيةً جداً، وقناعةً خاطئةً لدى الناس، وبالتالي ردود فعلٍ سلبية من جانب الناس، والسبب هو ذلك الانقطاع عن الناس، في اللقاءات بهم، وفي النقاش معهم للأمر، وفي توضيح الحقائق لهم، وفي السماع منهم، فلذلك تأثيرات سيئة.

((وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيَشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ))

يمزج أحياناً الحق بالباطل؛ من أجل التشويه، أو من أجل نقص الحقائق والمعطيات، أو ما شاكل ذلك.

((وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ))

بشرٌ، لا يعلم الغيب، ولا يطلع على الخفايا، فإذا انقطع عن الناس في لقاءاته بهم، غابت عنه الكثير من الحقائق، ولم يعرف بها، انقطاعه عن اللقاءات بالناس يغيب عنه - حتماً - الكثير من الحقائق في الساحة؛ لأنه لا يعلم الغيب.

((وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكُذِبِ))

فقد تصل الأمور إلى الإنسان، تصل معلومات معينة، أو ينقل إليه عن بعض الأمور والقضايا نقل خاطئ، ليس هناك لون، أو شكل، لما يصل إليك من المواضيع تتبين صدقه من كذبه، إن لم يكن لديك اهتمامٌ بالتحري، وبالاطلاع على الواقع، فالانقطاع عن الواقع يغيب عنك الحقائق، ويمكن من خلال ذلك

التلبيس عليك، لكن إذا كنت تلتقي بالناس، وتتحرى عن الواقع، وتطلع على الواقع، لديك اطلاع واسع، ومصادر وقنوات كثيرة، وتسمع الكثير، فيمكنك أن تكتشف أن ما نقل إليك كان نقلاً غير صحيح، أو نقلاً ناقصاً، أو قاصراً، أو زائداً، أو ما شاكل، فتستطيع أن تصل إلى صورة مكتملة حقيقية، وواقعية، وأن تكون واقعياً بالتالي في طريقتك في العمل والموقف، وفي قراراتك وتوجهاتك.

((وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ))

أنت كوال، كمسؤول، أحد رجلين:

((إِمَامًا أَمْرُؤُ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَدَلِ فِي الْحَقِّ))

إمّا أن تكون قد وطّنت نفسك على أن تبذل الحق، وأن تبذل جهدك وما تستطيع في أداء مسؤوليتك، فإذاً لا تتخرج من اللقاءات، ليس هناك ما يبرر لك أن تتخرج من اللقاءات؛ لأنك موطنٌ نفسك على أن تبذل الحق، وأن تعمل المستطاع، وأن تقدم المستطاع والممكن، وهذا الذي عليك.

((فَفِيهِمْ اِحْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ، أَوْ فِعْلِ كَرِيمِ تُسَدِّيهِ؟))

هل تحتجب من ألا تقدم حقاً، أو تعطي حقاً، أو تبذل كذلك فعلاً كريماً، ما الذي يمنعك، أو يعيقك عن اللقاءات بالناس، أو يخرجك؟

((أَوْ مُبْتَلَى بِالْمَنْعِ))

أو أنك إنسانٌ مبتلى بالمنع، شحيح، لا تريد أن تبذل، ولا تريد أن تعطي، لا تريد أن تخدم المجتمع، وأن تقدم شيئاً للمجتمع.

((فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ، إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَدْلِكَ))

إذا أيس الناس من بذك، وعرفوك بالشح والمنع، وأنك لست جهة خير، ولا يؤمل فيك الخير، ولا ينتظر منك الخير، يأسهم منك سيجعلهم يتركونك ولا يؤملونك، ويتجهون إلى غيرك.

((مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَتُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ))

لأن البعض مثلاً من المسؤولين، أو الولاة، من أكبر ما يخرجه عن اللقاءات بالناس، ويجعل البعض إماً يقلل من لقاءاته بالناس، أو يترك اللقاءات بالناس، الحرج من الطلبات، البعض من الناس مثلاً قد يلتقيك ومعه طلبات شخصية، ولا تمتلك الميزانية الكافية لتلبية الطلبات وفق رغبات الناس وأهوائهم، وبالذات أن الكثير، وخاصة من الجهات الكثير منهم طلباته طلبات غير ضرورية، يطلب بحسب رغباته الشخصية، وأهوائه، وطموحاته، مطالب كبيرة، مرهقة، مكلفة، لا تفي بها ميزانية الدولة، أو ميزانية المحافظة، أو ميزانية الدائرة، أو ميزانية الوزارة، أو أي ميزانية، لا تفي بها، متطلبات كبيرة، والبعض من الناس أيضاً بطبيعته إنسانٌ كريم، يشق عليه ويصعب عليه أن يرد من يطلبه، فيواجه الحرج؛ فيؤثر الانقطاع، حسب ما يقولوا: [غفلة ولا بدية]، فيؤثر الانقطاع، ويكون لهذا الانقطاع تداعيات، ونتائج، وآثار سلبية، على العمل وفي واقع المجتمع، وتجاه من أنت مسؤولٌ عنهم، فيمكن للإنسان في هذا أن يكون واضحاً، بمعنى: أن يبين أن ما بيده من إمكانيات هي إمكانيات في نطاق مسؤولية، ولا يمكنه أن يبعثها، وأنه أصلاً لا يمتلك ما يمكن أن يفي به ما يطلبه البعض وفق رغباتهم وطموحاتهم في ظروفٍ عسيرةٍ وصعبة، ويعتذر كما قال الإمام عليٌّ عليه السلام فيما سبق: (بإجمال)، يبين بطريقة رائعة وجميلة عذره في

ذلك، ولكن لا يكون هذا عائقاً عن اللقاءات بالناس؛ لأنه ليس الناس بكلهم لديهم مطالب مالية، أو مادية، هناك الكثير من الناس حاجاتهم إليك لا مؤنة فيها عليك، مثلما ذكر هنا:

((مِنْ شَكَاةٍ مَظْلَمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ))

هناك من هو بحاجة إلى اللقاء إليك؛ من أجل أن يشكو إليك مظلمةً معينة، من جهة من أنت مسؤولٌ عنهم، في نطاق مسؤوليتك أنت، وخدمتك له هي في إنقاذه، في إنصافه مما لحق به من الظلم، **((أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ))**، كذلك قد يكون هناك عراقيل في معاملة، أو عدم إنجاز، أو استغلال... أو غير ذلك.

فترك اللقاءات تخرجاً من ذوي الطلبات، يؤثر على مساحة واسعة هي الأكثر، وهي: الشكاوى، والمعاملات المتعثرة، والمظالم... وغير ذلك، فاللقاءات مهمة جداً، والمسؤولون المنقطعون عن الناس يسببون الخلل الكبير في مسؤولياتهم، وفي نطاق مسؤولياتهم على المجتمع، والمجتمع عادةً يضج ويتألم من ذلك.

فالتواصل مع المجتمع يجب أن يكون نشطاً، سواءً اللقاءات المباشرة، والاتصالات... ومختلف أنشطة العمل، التي تساعد على التواصل مع المجتمع، على وصول شكاوى الناس، وعلى النظر فيها، وعلى الاهتمام بأمورهم، الانقطاع عنهم، عن واقعهم، عن مظالمهم، عن شكاواهم، يسبب احتقاناً كبيراً جداً، وتكاثراً للمشاكل، ويصنع بيئةً سلبيةً محتقنة، يمكن أن يستغلها الأعداء، ويمكن أن تتكاثر فيها الفتن، وأن تتفاقم فيها المشاكل حتى تصعب، ويصعب حلها.

((ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ اسْتِثْنَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةٌ
إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَتِهِ))

عادةً ما يكون للوالي من لهم به علاقة خاصة، وارتباط خاص، وقد يستغلون هذه العلاقة الخاصة بالوالي، للاستناد إليها في ظلم الناس الآخرين، أو في تحقيق مكاسب شخصية، بممارساتٍ ظالمة، أو بمصادرة حقوق، وهم يتكئون ويستندون إلى تلك العلاقة الخاصة بالوالي، الذي يوفر لهم الحماية، وهم يتسلطون على الناس.

((فَاحْسِمِ مَادَّةَ أَوْلِيَّتِكَ، بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ))

لا تفتح مجالاً لذلك، لا تفتح مجالاً لأحد ممن له بك علاقة خاصة، أو ارتباط خاص، أو صلة قرابة، أن يستند إليك، وإلى مسؤوليتك، وحمايتك، وموقعك في السلطة، ثم ينطلق من خلال ذلك ليصادر حقاً، أو يظلم أحداً، أو يأخذ على أحد شيئاً بغير وجه حق، أو يتحرك في ممارسات استغلالية ظالمة، لا تفتح مجالاً لذلك.

((وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَّتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً))

الحامة: القرابة، لا من المحيطين بك، ممن هم حولك من أصحابك ومن أعوانك، ولا من قرابتك، ولا من أصدقائك.

((وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَّتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً))، تعطيه

مثلاً قطعة أرض، تعطيه في منطقة معينة مثلاً مساحة معينة؛ لأنه من أقربائك، أو من أصدقائك، أو له علاقة خاصة بك.

((وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبٍ، أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرِكٍ، يَحْمِلُونَ مَثْوَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْنِيهِ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))

أيضاً عندما تعطيهما ما هو حق، إمّا حقّ مشترك للناس، فتدخلهم فيه، وبشكل يفرضون لهم فيه أكثر من الآخرين، أو يصادرون فيه حق الآخرين، أو يكون على حساب حقوق الآخرين، مما هو عادةً مشترك، مثل: شرب، مثلاً: منطقة فيها أراضٍ زراعية، وهناك مثلاً شرب إليها، سواءً هذا الشرب نهر، أو بئر... أو أي شيء مشترك بين الناس، أو كذلك ما يأتي من خلال أمطار في مساحة معينة، في مصاب للماء من أودية، أو من جبال... أو نحوها، فتصادر حقوق الآخرين لمصلحتهم هم، أو تحوّل شيئاً من حقوق الآخرين لمصلحتهم هم، أو تمكّنهم من الاستئثار على الآخرين في شيءٍ من حقوقهم لمصلحتهم هم، فتمكّنوا هم من إلحاق الظلم بالآخرين، نتيجةً للاستناد إلى حمايتك، وتمكينك أنت لهم من موقعك في السلطة، أو فرضت لهم في شيءٍ مشترك، سواءً الأرض، أو في تجارة... أو في غيرها، فرضت لهم بشكلٍ إجباري ما استأثروا به على الآخرين، أو فرضوا أنفسهم فيه على الآخرين بما ليس لهم فيه حق، ولم يكن برضا من أولئك الآخرين، ((فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ)): أنت لك من ذلك الوزر فقط، ((وَعَيْنِيهِ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)).

((وَأَلْزَمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ))

((أَلْزَمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ))، سواءً كان قريباً لك، أو بعيداً عنك، لا تتعامل مع الناس بتمييز، فإن كان الحق لقريب لك، أو لصديق لك، أو لأحدٍ له بك ارتباط معين، ارتباط شخصي بأي شكلٍ من الأشكال اخذته له، ثم إذا كان الحق عليه فأنت تتجاهل ذلك، ولا تنصف منه.

((أَلْزَمَ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً))

حتى لو عوتبت، لو غضب القريب عليك، لو فقدت صداقة الأصدقاء، وخسرت ود الأقرباء، لو نتج عن ذلك ما نتج.

((وَأَقِمْ ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ))

بل احرص على أن ترسخ هذه المفاهيم لدى اقربائك وأصدقائك، أن يعرفوا موقفك في ذلك، وأن يحرصوا هم أن يكونوا هم من يبذلون الحق، من يُنصفون.

((وَابْتَعِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ))

قد يثقل على الإنسان، وقد يسبب ذلك له الحرج مع كثيرٍ من أصدقائه وأقربائه، ومن لهم علاقةٌ خاصةٌ به، وقد يبادرونه بالجفاء، والإساءة إليه، والقطيعة له، فليصبر، ولينظر في عاقبة ذلك، فعاقبته محمودة عند الله ﷻ في الدنيا والآخرة، ولذلك قال: ((فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ))

العواقب لهذا الإنصاف، ولهذا الالتزام بإعطاء الحق، ولهذا الأداء للمسؤولية على الوجه الصحيح، بما الإنسان مؤتمناً عليه، ومسؤولٌ عنه أمام الله، لهذا العواقب المحمودة والأثر الطيب، والنتائج الطيبة.

((وَأِنْ ظَنَنْتِ الرَّعِيَّةَ بِكَ حَيْفًا، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِأَصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرَفْقًا بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ))

قد تظن الرعية بك ((حَيْفًا))، يعني: جوراً تجاهه مثلاً إجراءات معينة، أو سياسات معينة، أو قرارات معينة، أو تصرفات معينة، وخاصةً مع التشويش، عندما يكون هناك من يشوش، تتخذ أنت مثلاً قراراً ضرورياً، هو حق، وهو لمصلحة الأمة، وهو ضرورة، وفيه مصلحة للناس، ولكن ليس للناس خلفية عن أسباب هذا القرار، أو عن أسباب هذا الإجراء، أو عن حقيقة هذا العمل، ويأتي من يشوش على ذلك، أو يفترى عليك، ويقدم الدعايات الكاذبة، ومن يحوّل حسناتك إلى سيئات، وإيجابياتك إلى سلبيات، ومواقفك الصحيحة، وأعمالك المهمة المفيدة، إلى أعمال خاطئة بنظر الناس، وهذا يحدث كثيراً، فعليك أن تبين للناس، وأن توضّح لهم السبب في ذلك القرار، أو في ذلك الإجراء، وأن توضّح لهم التوضيح الكافي عن خلفيات ذلك، وما يتعلق به؛ حتى تتضح القضية لهم، لا تترك الأمر ملتبساً عليهم، ولا تترك المجال للمشوشين، والمغرضين، والحاquدين، والأعداء، الذين يقدمون صورةً مغلوطةً عن خلفية ذلك القرار، أو العمل، أو الأجراء، أو الموقف، وهو حق، وهو في مصلحة الناس، أو هو ضرورة حتمية لمواجهة خطر معين، أو إشكالية معينة... أو أياً كان، وهذا يشمل مختلف الإجراءات؛ لأن الناس عادةً قد تخفى عليهم الحقيقة إذا لم يحصل هذا التبيين، فلا يسمعون إلا صوتاً واحداً، هو الصوت الذي يتجه نحو التشويش على المسألة، على الإجراء، أو على القرار، أو على العمل، أو على الموقف، وقد يكون الموقف عادلاً، قد يكون حقاً، قد يكون لمصلحة الأمة، قد يكون ضرورياً، ولكن لا يعرف الناس

بذلك؛ نتيجةً لعدم التبيين لهم، فلا تركهم يظنون بك الظنون السيئة لسكوتك وصمتك، وعدم تبيينك وتوضيحك، وتقصيرك في تقديم الحقيقة لهم، هذا مهمٌ لك حتى أنت، تروّض نفسك على الحق؛ لأنك تدرك أن لقراراتك، ولإجراءاتك ردة فعل لابد أن تكون في الموقف الصحيح، الذي عندما تبيّنه للناس يقتنعون، ويطمئنون، ويكون لك في ذلك الحجة، والبرهان الواضح، والتبرير المقنع، وفيه رفق بالريعية، فيه إعدار أيضاً وإقامة للحجة، و**((تَبْلُغُ فِيهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ))**؛ لكي يبقى موقفهم في نفس الاتجاه الصحيح.

((وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوَّكَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا))

في الصراع مع الأعداء، عادةً ما يطول الصراع، ويحتاج الناس إمّا إلى هدنة، أو إلى كذلك إنهاء للمشكلة مع عدوٍ معين بحسب مستويات الصراعات، وأسبابها، وطبيعة الخصوم والأعداء، فعندما يكون هناك دعوة من العدو إلى صلح، وصلاح منصف، صلح كما قال الإمام عليٌّ عليه السلام: **((لِلَّهِ فِيهِ رِضًا))**، يعني: لم يتضمن شروطاً، أو فرضيات مجحفة، تمثل إشكالية على الأمة فيما بينها وبين الله، لا يتضمن مثلاً مصادرةً لحقوق الأمة، أو لحق شعب، أو فرضاً لباطل، أو فرضاً لظلم، أو فرضاً لنتائج سيئة، أو مصلحة للأعداء على حساب كرامة الأمة، ودينها، ومبادئها، وقيمها.

((وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوَّكَ لِلَّهِ فِيهِ رِضًا))، فهذا

هو المعيار: **((لِلَّهِ فِيهِ رِضًا))**، يعني: لا يتضمن ما ينتقص من الحق، أو يمكن أعداء الله، أو يكون فيه ما ينتقص من مبادئ الناس، ما يمكن للأعداء منهم، من الانتقاص لسيادتهم، لكرامتهم، لحقوقهم، ليؤثروا على مبادئهم، وقيمهم، وأخلاقهم.

((فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِحُنُودِكَ))

يعني: راحةٌ لهم، يعطيهم هذه الفرصة ليستريحوا البعض من الوقت، وليعدوا الإعداد اللازم.

((وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ))؛ لأن الإنسان في أثناء الحرب عادةً ما يكون مشغولاً بهمَّ الحرب، وهو همٌّ كبير.

((وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ، وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ))

- فأول ما تأخذه بعين الاعتبار في الصلح: ألا تقبل بصلحٍ مسخطٍ لله ﷻ، فيه قبولٌ بالباطل، فيه مصادرةٌ للحق، فيه تنازلات عن مبادئ الأمة، عن كرامتها، تمكّن أعداءها منها، تسبب لها الظلم، تفتح أبواب الفساد.

- ثم أن تأخذ بعين الاعتبار في فترة الصلح أن تكون في منتهى الحذر، أن تكون في حالة حذر تام، وجهوزية مستمرة، ويقظة دائمة، واستعداد لكل ما هو متوقع، واستعداد لأي مرحلة يغدر فيها العدو، أو يتجه العدو فيها إلى الاعتداء من جديد.

((وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ))؛ لا تغفل أبداً، كن في منتهى الحذر، منتهى الاهتمام، منتهى الجهوزية والاستعداد.

((وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارِبٌ لِيَتَغَفَّلَ))

ربما حرص العدو على أن يدخل في صلحٍ معك؛ من أجل أن تطمئن، وأن تغفل، وأن تهمل، فيستغل حالة الغفلة عندك، وحالة الإهمال، وفقدانك للجهوزية والاستعداد؛ فيضربك الضربة القاضية.

((فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهَمِ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ))

((خُذْ بِالْحَزْمِ)): فلتسع إلى أن تكن في حالة اهتمام مستمر، وانتباه مستمر، وجهوزية مستمرة، وسعي لرفع مستوى الاستعداد والتجهيز والبناء، بحيث إذا غدر العدو في أي لحظة، تُوجَّه إليه أنت الضربات القوية، وتخيَّب آماله فيما كان يؤمِّله من غفلتك، وعدم استعدادك، وهذه مسألة مهمة حتى للأمة نفسها، ألا تغفل، ألا تتواني في كل ما يلزم من الاستعداد والجهوزية.

((وَاتَّهَمِ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ)): لا تحسن ظنك بعدوك، أو تركز مثلاً

إلى متغيرات سياسية، قد تقول: [هذه الظروف لا تسمح للعدو بأن يهجم عليّ]، توقع هجومه في كل حال، وفي كل ظرف؛ وبالتالي اعتمد على الله ﷻ، وعلى الاستعداد، والتجهيز، واليقظة المستمرة، واغتنام الفرصة من جانبك في الجهوزية اللازمة، في السعي لأن تكون أقوى مما مضى، وفي أن تبني واقعك على مستوى أفضل، حتى على المستوى العسكري، والجهوزية، والقوة، والقدرة العسكرية.

((وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ))

قد تكون التفاهمات مثلاً في صلح معين مع الأعداء:

- إمَّا تفاهمات شفوية واضحة، محددة، معلنة.
 - أو قد تكون بشكل عقد، اتفاق، ميثاق معين، أو معاهدة معينة، أو وثيقة معينة.
- فما تضمنته تلك الوثيقة من التزامات، أنت من جانبك احرص على أن تكون وفياً وصادقاً؛ لأن المبادئ والقيم من أهم ما فيها: الصدق والوفاء حتى

فيما بينك وبين عدوك، لا تكن أنت من يغدر بالعدو، إذا غدر العدو؛ فكن جاهزاً، وهو سيتحمل مسؤولية وتبعات غدره، وحينها لم يعد عليك مسؤولية في أن تتخذ إجراءتك، وأن تعمل بحزم، وأن تتصدى له بكل قدرتك، وبكل ما تستطيع، لم يعد عليك لومٌ ولا مذمةٌ، لكن لا تغدر أنت،

((حُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ، وَارَعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ)): حتى لو استدعى الحال أن تضحي، لا تكن أنت من يغدر أبداً، كن جاهزاً، وكن حذراً، وكن مستعداً، إذا غدر العدو هو؛ فوجه إليها الضربات، وحينها لم يعد عليك مسؤولية، إذا كان هو من قد بادر بالغدر.

((فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعاً، مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتُّتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ))

يعني: المجتمع البشري بشكلٍ عام يعظّم الوفاء بالعهود، والالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات ما بين الأعداء، معاهدات الصلح، ومعاهدات الهدنة، فالغدر مذمومٌ عند المجتمع البشري قاطبة، الكل يعرف أنّ الغدر مذمة، ونقص، وخيانة، وسوء، ونكرانٌ لمكارم الأخلاق، وانسلاخ عن القيم، أمر مذموم حتى عند المشركين، ما بالك في من ينتمي للإسلام، ما بالك في من يقف موقف الحق، يجب أن يحمل أيضاً مع موقف الحق القيم هذه: قيم الوفاء والصدق.

((وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ بِمَا
اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ))

يعني: حتى المشركين فيما بينهم، حتى غير المسلمين، الآخرون من الأمم الأخرى، يدركون سوء عواقب الغدر، أن الغدر مذمة، ونقص، وخيانة، وسوء، وفي نفس الوقت له عواقب وخيمة، ونتائج سيئة على الذي يستمر على الغدر، ويعتمد على الغدر.

((فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلَا تَخْتَلَنَّ عَدُوَّكَ))
كن وفياً في تلك الالتزامات التي التزمت بها، احرص على أن تكون أولاً التزامات منطقية، وصحيحة، وسليمة، فلا تلتزم بشيء فيه ما يسخط الله، فيه ما يضر بمجتمعك، وفيه ما يصادر حقوق مجتمعك، احرص من البداية على أن تكون البنود بنوداً صحيحة، ثم كن وفياً، لا تكن أنت من يغدر، ولا من ينقض تلك الالتزامات، ولا من يتنصل عنها، أوفِ بذلك.

((فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ))

لأن الالتزام بالعهود والمواثيق والمعاهدات يصبح التزاماً بين الإنسان وبين الله، التزاماً دينياً، أخلاقياً، إنسانياً، قيمياً.

((وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ،
وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَيْهِ مَنْعَتِهِ، وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَيْهِ جِوَارِهِ))

فإن الله ﷻ جعل مسألة العهد والميثاق، التي قد تكون هي الصيغة التي يعتمد عليها الأعداء والمتخاصمون لصلح معين فيما بينهم، أو هدنة معينة فيما بينهم، لتكون عاملاً يساعد الناس على الهدوء، وعلى الاستقرار، وعلى حقن

الدماء، فإذا لم يبق بين الناس وفاء فيما يتفقون عليه، أو يلتزمون به، وأصبحت حالة الخوف والقلق هي الحالة الدائمة، وحالة الغدر هي الحالة السائدة، فهذا تأثيره السيئ على حياة الناس وواقعهم.

((فَلَا إِذْغَالَ، وَلَا مُدَالَسَةَ، وَلَا خِدَاعَ فِيهِ))

لا تعتمد الخداع، ولا محاولة الالتفافات لنقض ما اتفقتم عليه، أو التزمت به، أوفٍ على كل حال، احرص من البداية أن يكون ما تلتزم به، ما توافق عليه شيئاً صحيحاً سليماً، ثم إذا غدر العدو، أو نقض العدو، أو وصلت أنت والعدو إلى نتيجة معينة في الخروج مما التزمتما به، فهذا خروجٌ أيضاً مشرفٌ، بطريقة لا تنكر فيها للأخلاق والقيم.

((وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تُجَوِّزُ فِيهِ الْعِلَلَ، وَلَا تَعَوَّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ التَّأَكِيدِ وَالتَّوَثُّقَةِ))

في البداية احرص على أن يكون أي صيغة اتفاق صيغة واضحة، بيّنة، وتتضمن بنوداً واضحة، فتكون التزاماتك بناءً على ذلك: على شيء واضح، وصریح، وبيّن، وصحيح، ولا تعوّل على مسألة الاحتمالات في بعض العبارات؛ لأنها ستكون مدخلاً لك للنقض، ليكن ما تستند إليه شيئاً واضحاً، أو شيئاً مؤكّداً.

((وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزَمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ إِلَيْ طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ))

قد تضيق من بعض الالتزامات، التي وافقت عليها في وثيقة الصلح، ثم تكتشف بعد ذلك أنّ لها تأثيرات سيئة على الواقع، فلا تتجه إلى طلب فسخها بغير الحق، إذا كان هناك حق في فسخها؛ لأن فيها مثلاً مضرّة مؤكدة على الناس،

أو خطراً حقيقياً على الناس، أو إشكالية معينة، فيكون موقفك مستنداً إلى الحق في ذلك، أما مجرد الضيق؛ فاصبر، فقد تنفرج الأمور لصالحك بأكثر بكثير.

((فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقٍ تَرْجُو أَنْفِرَاجَهُ، وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبَعْتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَتُهُ، لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ))

لأن الغدر يمثّل خطورةً عليك ما بينك وبين الله، ستُسَخِّطُ الله عليك بغدرك، وتلحقك بذلك تعبات وعقوبات خطيرة في الدنيا والآخرة، فالوفاء هو لصالحك، أما إذا غدر العدو؛ لم يعد عليك أي مسؤولية بعد أن يكون هو من يبتدئك بالغدر.

((إِيَّاكَ وَالِدِّمَاءِ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا))

سفك الدماء (بغير حِلِّهَا): بغير حق، ظلماً وعدواناً من أكبر الظلم، ومن أعظم الجرائم، ومن أكبر ما يسخط الله، ومن أعظم ما يسبب سرعة زوال النعم، ونزول النقم؛ لأن من أكبر الجرائم هو جريمة القتل ظلماً وعدواناً.

((فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لِتَبَعَةٍ، وَلَا أُخْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا))

ولذلك هي من أكبر المحاذير التي يجب الحذر منها، والانتباه منها، سواءً لدى الجانب العسكري، أو لدى الجانب الأمني، أو لدى صاحب القرار في موقع المسؤولية... الكل يكونون حذرين جداً من التورط في ذلك: من التورط في سفك الدماء ظلماً وعدواناً؛ لأنها جريمة خطيرة جداً، هي من أهم الأسباب التي تسرع بالنقم، ومن أكبر أسباب زوال النعم، من أكبر ما يسبب لزوال دول بأكملها، أو سقوط أنظمة بأكملها، قضية خطيرة جداً.

((وَلَا أَعْظَمَ لَتَبَعَةٍ، وَلَا أُخْرَى بَزْوَالِ نِعْمَتِهِ، وَانْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

أول ما يفصل الله به يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)، عندما يقومون للحساب والجزاء، أول ما يفصل الله بينهم على الدماء، ما حصل بينهم من سفكٍ للدماء، قضية خطيرة عندما يكون الإنسان متورطاً في القتل بغير الحق؛ لأنه استند إلى قوته العسكرية، أو إلى سلطته، أو إلى منصبه، قضية خطيرة، وقضية خطيرة في كل الأحوال.

((فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ))

وهذا ما وقع فيه الطغاة، والجبابرة، والظالمون، ونالوا عواقبه السيئة، ووصلوا إلى عواقبه الوخيمة، يتصورون أن تقوية سلطتهم، وتثبيت أركان دولتهم هو بالقتل، ظلماً وعدواناً، القتل أحياناً على الشك والتهمة، وعلى أئفه الأسباب، فكانت النتائج خطيرة عليهم، فالقتل ظلماً وعدواناً، وسفك الدماء بغير حلها، هو من أسباب سقوط الأنظمة، من أسباب زوال الملك والأمر، ((بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ)).

((وَلَا عُدْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمَدِ))

يعني: في قتل العمدة ظلماً وعدواناً لا عذر لك، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً مثلاً في كل مواقع المسؤولية: للأمني، وللعسكري، لكل مسؤول، لا عذر له في قتل العمدة عدواناً وظلماً.

((لَإِنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ))

فيه القصاص.

((وَإِنْ ابْتُلِيَتْ بِخَطَا، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ، أَوْ يَدُكَ، بِعُقُوبَةٍ،
فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ
سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ))

أما فيما كان نتيجة لخطأ، أو كان مثلاً في إطار عقوبة لمستحق العقوبة،
ولكن الخطأ فيه كان في زيادة غير متعمدة، أو تضرر مثلاً الذي يستحق العقوبة
تضرر منها بأكثر؛ نتيجة لما كان خفياً من ظروف صحية، أو غير ذلك في واقعه،
فالخطأ فيه الدية، وفيما غير الدية، مثلاً: إذا لم تصل الحالة إلى حالة الوفاة،
فالخطأ فيه أيضاً الأرش، فيه الإنصاف لهذا المتضرر بقدر ما يستحق، وبقدر
مستوى الضرر الذي كان زائداً على الحق.

((فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ
الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ))

لا تتكبر بسلطتك وموقعك، فتبخل وتمتنع من إعطائهم حقهم، أعطهم
الدية، وأعط ذلك الذي تضرر تضرراً زائداً على العقوبة الحق ما فيه إنصافه،
كن منصفاً في ذلك.

((وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ
الْإِطْرَاءِ))

مشكلة الإعجاب بالذات وحب الإطراء هي من أكبر المشاكل الخطرة جداً
على المسؤولين والولاة، هم أكثر الناس عرضةً لها، وكلما كان منصب الإنسان

أكبر، وموقعه ومسؤوليته أكبر، كلما كان معرضاً لها أكثر.

والثقة، البعض أيضاً يكون واثقاً، يتصور أن المسألة فعلاً كذلك.

((وَحُبِّ الْإِطْرَاءِ))، وهذه حالة خطيرة، سبق الحديث في بداية العهد عن خطورة هذه المسألة، وما لها من تأثيرات سيئة على المستوى النفسي والتربوي، وعلى علاقتك ما بينك وبين الله؛ لأنك تنسى نعمة الله عليك، وتعتبر نفسك أنت مصدر النعمة، ومصدر الإنجاز، ومصدر النجاح، وتنسى فضل الله عليك ونعمته عليك.

أيضاً على المستوى النفسي والتربوي، الإنسان المعجب بنفسه هو إنسان غير واقعي، يعني: هو ينظر إلى نفسه نظرة غير واقعية، بأكبر من حجمها، يرى لنفسه من القدر أكثر من قدره الحقيقي، له تصور خاطئ تجاه نفسه، يعظم نفسه، ويغفل عن جوانب النقص لديه.

أضف إلى ذلك أن لهذا تأثيراً سيئاً على مدى تفهم الإنسان لما يأتيه من نصائح، أو ملاحظات، أو ما ينبه عليه من أخطاء، لا يتقبل ذلك، هو مغرور بنفسه، معجب بنفسه، فلهذا تأثيرات سيئة جداً، وعلى علاقة الإنسان بالآخرين، يحتقرهم، ويشعر بالتعالي.

فهذا الداء له سلبيات كثيرة، وأضرار متفرعة عنه، وخطورته كبيرة على الإنسان، وهو مما يجعل الإنسان يصر على الخطأ، وعلى الظلم، ولا يستفيد من الآخرين، ولا يعتبر بأي شيء، يتمحور حول ذاته، وينطلق من هذا المنطلق في تقييمه للأمور، وفي اتخاذ القرارات، وتصبح مسافة الحق والباطل، والقرب

والبعد، وعلاقته بالناس، كل شيء يصبح مرتبطاً بذلك وعلى أساس ذلك، ومقياسه للأمر من خلال ذلك، قضية خطيرة للغاية.

((وَحُبُّ الْإِطْرَاءِ)): حب المديح، إذا أصبح الإنسان يحب المديح، هو يرغب من الناس بأن يمدحوه، وينتظر منهم أن يمدحوه، فإذا مُدِحَ ارتاح كثيراً، وكلما بالغوا في مدحه، كلما زاد ارتياحاً، وهذا عادةً من أكثر ما يحصل للناس في موقع السلطة والمسؤولية.

((فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثِقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ))

ثغرة خطيرة جداً للشيطان، إذا أصبحت هكذا، فتحت للشيطان ثغرةً كبيرة، وأعطيته فرصةً كبيرة، يوجه لك ضربة قاضية.

((لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ))

هذا يؤثر عليك؛ لأنك حتى ما تقدمه مما يعود إلى مسؤوليتك وواجبك، تقدمه بتعالٍ وتكبر، وتشعر في مقابل ما تقدم من أي مجهود عملي بتعاضد للنفس، ولهذا تغفل عن شكر الله ﷻ، وتغفل عن أنك تؤدي الحق الذي عليك.

((فَإِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ))

لا تتمن عليهم بإحسانك؛ لأنه واجبك، هي مسؤوليتك، وما تقدمه أنت تقدمه مما هو لهم، فلا داعي لأن تمن عليهم، [أنا الذي أعطيتكم، وأنا الذي فعلت لكم، وأنا، وأنا...]، وهكذا تتمن عليهم.

((أَوْ التَّزِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ))

أو أن تبالغ وتزيد في كلامك عما تقدم، فتنسب إلى نفسك أشياء لم تفعلها أصلاً.

((أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ))

تعدهم بمواعيد معينة، ثم تتبعها بالخلف، لا تفي بذلك، احذر، هذه خطيرة جداً؛ لأنه يمكنك ألا تعد بالأشياء التي لا تستطيع فعلها، أو إذا كانت أشياء في حدود الأمل، تؤمل، فليكن كلامك واضحاً وصريحاً، [إذا تحقق كذا، أو تيسر كذا، أو تمكنا من كذا، أو حصل كذا، فإن شاء الله سنفعل كذا]، المواعيد التي لا يصدق فيها المسؤول، تسبب انعدام الثقة بينه وبين الناس، حتى لا يثقون به، بل يكرهونه ويمقتونه، وهذا أيضاً مكروه عند الله ﷻ.

((أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الإِحْسَانَ))

إذا كنت تتمن عليهم بإحسانك، تبطل إحسانك في أجره وقيمته، وحتى أثره لدى الناس، يستأوون منك.

((وَالتَّزِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ))

عندما تزيد في كلامك، فتنسب إلى نفسك أنك فعلت، وقدمت... إلخ. ما لم تفعل، هذا يذهب بنور الحق، يذهب بنور الحق من نفسك، يظلم قلبك، وفي نفس الوقت يبطل قيمة ما تفعله، إيجابية ما تفعله، بسبب التزويد.

((وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمُقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ))

عند الله أولاً.

((وَالنَّاسُ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾، وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا))

في سياساتك، في تدبيرك، في خططك، في إجراءاتك، في مختلف أعمالك كوالٍ ومسؤول، تصرف فيها بكلها بالحكمة.

((وَأِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا)): لا تستعجل في الأمور قبل أن يحين وقتها، وأن تتوفر أسبابها.

((أَوْ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا))

أو كذلك إذا حصلت وأمكنك، فتعامل فيها بشكلٍ متوازن، وليس بشكلٍ فيه جشع، وإفراط في التعامل معها بشكلٍ مشوه.

((أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ))

اللَّجَاجَةُ: تحاول أن تصر وتلح فيما ليس متاحاً، وفيما ليس ممكناً، فيما ليست ظروفه مهيأة، ولا الأوان أوانه، ولا الظروف مهيأة له، فلا تحاول أن تكون لجوجاً في ذلك، مصراً، ملحاً في شيءٍ غير متاح، غير مهيأ أصلاً.

((أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ))

فتكون فاتراً، وضعيفاً، ومتأخراً، وغير مهتم في الأمور الواضحة، الأمور الواضحة اعمل على إنجازها.

((فَضَعَ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ وَأَوْقَعَ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ))

هذه هي الحكمة، تصرف في الأمور بما يناسب، في حجمها، وفي أهميتها، وفي تأثيرها، وفي وقتها.

((وَأَيَّاكَ وَالْأَسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ))

فيما هو حقٌ عام، لا تستأثر به لك على نحوٍ شخصي.

((وَالْتَّغَابِي عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ))

لا تتغافل عما أنت معنيٌّ به، ومسؤولٌ عنه، وقد وضح للناس، اعمل على إصلاحه إن كان خلافاً، أو القيام به إن كان مسؤوليَّةً.

((فَإِنَّهُ مَاخُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ))

لا تستهتر بالأمور بالاستناد إلى مسؤوليتك، وإلى موقعك، وبالاستناد إلى سلطتك وقدرتك، فتهمل ما أنت مسؤولٌ عنه، ومعنيٌّ به، فالأمور قد تتغير، ما أنت فيه من القدرة والسلطة يمكن أن يتغير بالكامل.

((فَإِنَّهُ مَاخُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَعْظِيَةُ

الْأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ))

ولذلك احرص على أن تؤدي أمانتك ومسؤوليتك بقدر ما تستطيع، وألا تكون مستهتراً، ولا مهملاً، ولا غافلاً، بالاستناد إلى ما أنت فيه من القدرة والسلطة، كل ذلك يتغير.

((أَمَلِكْ حَمِيَّتَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ))

سيطر على نفسك حال الغضب، وأثناء الانفعال.

من أخطر الأمور على الوالي وعلى المسؤول في موقع المسؤولية: أن تكون قراراته، أو مواقفه، أو إجراءاته، ناتجةً عن سخطه، عن غضبه، وانفعاله، وإرضاءً لحالة الانفعال لديه، كل هذا مبعث للظلم، أساس للجبروت، وللطغيان، وأكثر ما يحصل من الظلم هو عادةً ما يكون من هذا القبيل، قرارات في حالة غضب وانفعال، أو إجراءات في حالة غضب، أو تصرفات، أو مواقف معينة، ناتجة عن الغضب والانفعال، لإرضاء حالة الانفعال والغضب، كثير من الظلم، كثير من القرارات الكارثية، كثير من الممارسات الظالمة تعود إلى ذلك؛ لأنه اتخذ ذلك القرار وهو في حالة غضب وانفعال، أو تصرف ذلك التصرف وهو في حالة انفعال، ليرضي انفعال نفسه، هذا شيء يتنافى مع المسؤولية، ويتنافى مع الحكمة، ويتباين مع التقوى والإيمان.

ولذلك يقول: سيطر على نفسك في حال الغضب والانفعال، في لسانك، وفي يدك، وفي تصرفك، وفي موقفك، بأي مستوى، سيطر على نفسك في تلك الحالة وأنت في موقع المسؤولية.

((وَاحْتَرَسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ))

ما يبدر من لسانك من كلام سيء، أو تعليمات خاطئة... أو غير ذلك.

((وَتَأْخِرِ السَّطْوَةَ))

تأخير الإجراء القاسي، الذي قد توجه به، أو تأمر به.

((حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبَكَ، فَتَمْلِكَ الْاِخْتِيَارَ))

حتى تهدأ، ويسكن الغضب، ويزول الانفعال، فتملك الاختيار في اتخاذ القرار الصحيح، الذي ليس مبنياً على الانفعال والغضب؛ وإها مبنياً على ما تقتضيه الحكمة، والحق، والعدل.

((وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ))

لن تصل إلى هذا المستوى من السيطرة على النفس عند الانفعال والغضب الشديد، فتتوقف عن اتخاذ أي قرار خاطئ، أو إجراء سيء، أو ممارسة ظالمة، أو تصرف طائش، لن تصل إلى هذه الدرجة من السيطرة على النفس، إلا إذا كنت ((تُكْثِرُ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ))، تتذكر رجوعك إلى الله، تتذكر أنك ستقف موقف الحساب بين يدي الله ﷻ، وأنت ستجازي، ستحاسب وتجازي، هذا يمثل ردعاً للنفس، وعملاً مساعداً في السيطرة على النفس عند الغضب، وهذه مسألة من أهم المسائل، القرارات الكارثية، التصرفات الخاطئة، الممارسات الظالمة، الكثير من الجرائم، الكثير من التصرفات الطائشة والحمقاء، تحصل في حالة الغضب والانفعال، فالذي هو في موقع مسؤولية عليه أن يدرك هذه الحقيقة جيداً، وأنها من أهم الالتزامات التي عليه أن يتحلى بها، من أهم الالتزامات أن يسيطر على نفسه عند الغضب والانفعال، فلا يتسرع بأي إجراء في تلك الحالة، وإجراءً ظالم، وإجراءً خاطئ، ينتظر حتى يسكن غضبه، ويملك الاختيار، ويتخذ إجراءه، أو قراره، بتجردٍ عن حالة الغضب والانفعال، وبالاعتماد على معيار الحق والعدل والحكمة.

((وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا ﷺ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا))

الواجب عليك ألا تعتمد كلياً على نفسك أنت، في حدود ما تعرفه، أو في حدود قناعاتك الشخصية، الإنسان هو ناقص، قاصر، جاهل، يجهل الكثير، الواجب عليك هو الاقتداء والاهتداء، لتكن ممن يتجه إلى الاهتداء بكتاب الله، والاقتداء برسول الله ﷺ، والاقتداء بما ((مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ))، الاقتداء بأمر المؤمنين ﷺ، ((فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا))، لترى فعلاً التطبيق الصحيح للمنهجية الإلهية في أداء المسؤولية، وإدارة شؤون المجتمع، فمسألة الاقتداء والاهتداء هي مسألة أساسية في أن تتحرك على الوجه الصحيح، وأن تؤدي مسؤوليتك بشكل صحيح؛ أما إذا كنت تريد أن تقتصر في الاعتماد على نفسك، وقناعاتك، وحدود فهمك، ففهمك محدود، ومعارفك محدودة، وتصوراتك ناقصة، وذلك لا يكفيك.

((وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهَدْتَ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا، وَاسْتَوْثَقْتَ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ؛ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عَلْتٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا))

يقول له: وأن تلتزم باهتمام واجتهاد وجد بما ورد في هذا العهد؛ لأنه حجة عليك، يقول: هو حجة لي عليك؛ لأني مسؤول عنك، وأنت في موقع المسؤولية تنفيذها، وقد أقمت الحجة عليك عندما وضحت لك وقدمت لك كل هذه التعليمات.

وفعلًا هذه الحجة هي على كل من هم في موقع المسؤولية؛ لأنها من نور الله، من هدي الله، هي تعاليم الإسلام، قدمها أمير المؤمنين عليه السلام، حجة بالغة.

((وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ))

ختم هذا العهد المبارك بهذا الدعاء العظيم.

((وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ))

يعني: على إعطاء كل ما يُرغب فيه من الخير.

((أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَا))

رضا الله هو غاية الغايات، هو الهدف الأسمى والأعظم لكل مؤمن يسعى له.

((مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ))

يعني: في بذل ما نستطيع من الجهد في أداء المسؤولية، وفي التزام العدل.

((مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ))

مضاعفة الكرامة، يعني: زيادتها أضعافاً.

((وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ))

وهذا ما خُتِمَ لهما، ما خُتِمَ به لأمير المؤمنين عليه السلام بالسعادة والشهادة، وما

خُتِمَ به لملك الأشرار عليه السلام بالسعادة والشهادة.

((إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ»))

نسأل الله أن يُمنَّ علينا ويختم لنا بالسعادة والشهادة، وأن يُمنَّ علينا بتوفيقه
لما يرضيه عنا.

تضمن هذا العهد المبارك التعاليم العظيمة، والقيمة، والمفيدة، عرضناه
عرضاً موجزاً، وقدمنا له قراءةً أولية، وما يستفاد منه هو أكثر بكثير مما قدمناه
عنه، نحن قدّمنا قراءة مبسطة، أولية وموجزة؛ لنلفت النظر إلى الاستفادة منه،
ولكي نسعى نحن، ويسعى الآخرون معنا إن شاء الله، ممن هم ضمن توجهنا
الإيماني الجهادي، في النظرة إلى المسؤولية نظرةً مقدسة، نظرةً أخلاقية، ودينية،
وقيمية، وإنسانية.

نسأل الله ﷻ أن يوفّقنا وإيّاكم لما يرضيه عنا، وأن يرحم شهداءنا الأبرار، وأن
يشفي جرحانا، وأن يفرّج عن أسرانا، وأن ينصرنا بنصره، إنه سميع الدعاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

